الجمهـــوريـــة الجـــزائريـــة الديمـــقراطيـــة الشّعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلمـــي

جـــامعة الأمير عبد القادر
للعلـــوم الإسلاميـــة
- قسنطيـــنة -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قســـم : التـــاريخ

رقم الإيـــداع : .....

الرقم التسلسلي : .....

- موضـوع البحـث -

دايـات الجـزائر صور وأبعاد

(1671 ـ 1830م)

بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطـــالبة :
رجاء رهيـوي

إشراف الأستاذة الدكتورة :
فاطمة الزهراء قشي

- أعضـــاء لجنـــة المنـــاقشـــة -

الصفـــة	الاسم واللقب	الرّتبـة العلمية	الجامعـة الأصلية
1 - الرئيس	- عائشة غطـاس	- أ. التعليم العالي	- جامعة الجزائر
2 - المشرف والمقرر	- فاطمة الزهراء قشي	- أ. التعليم العالي	- جامعة منتوري قسنطينة
3 - العضـو	- خليفة حمّـاش	- أ. محـاضر	- جامعة الأمير عبد القادر
4 - العضـو	- أرزقي شويتـام	- أ. محـاضر	- جامعة الجزائر

نـوقشت يـوم : 01 جويلية 2008.

السنـة الجـامعية : 2007م / 2008 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

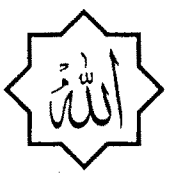

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والتقدير

- لا يسعني في البداية، إلا التوجه، بكل آيات الشكر الجزيل والتقدير البالغ إلى الأستاذة الدكتورة فاطمة الزهراء قشي، التي قامت بالإشراف على هذا البحث، ومنحته كل العناية والاهتمام منذ البداية، فمن أجل كل المجهودات التي بذلتها في القراءة المتأنية له، وتوجيهاتها الصائبة، لا أجد غير التوجه بآيات الشكر والامتنان والعرفان لجميل صبرها.
- كما لا يفوتني التوجه بآيات الشكر لكل من الأستاذ خليفة حمّاش والصديقتين أمال لدرع وسهيلة علّوش، وعمال المكتبة والدوريات بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية وكذا عمال أرشيف قسنطينة، لكل مجهوداتهم التي ساهمت في إنجاز هذا البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المختصرات

- د. م. ج. : ديوان المطبوعات الجامعية.
- م. و. ك. : المؤسسة الوطنية للكتاب.

- An. : Année.
- C. R. A. S. C. : Centre de recherche en Anthropologie sociale et culturelle.
- J. A. : Journal asiatique.
- N. : Numéro.
- O. P. U. : Office des publications universitaires.
- R. A. : Revue africaine.
- R. O. M. M. : Revue d'occident musulman et de la méditerranée.
- S. N. E. D. : Société nationale d'édition et distribution.
- T. : Tome.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمـــة :

إنّ الارتباط التاريخي للجزائر بالعثمانيين في القرن السادس عشر، غير الكثير من المعطيات بالنسبة لما كان يعرف بالمغرب الأوسط، وأكثر ما مسّ هذا التغيير الوضع السياسي والدور الإقليمي للمنطقة، حيث أصبحت الجزائر كيانًا شبه مستقل بحدودها الحالية تقريبا. كما تأسست فيها حكومة عدّها الكثيرون حالة خاصة بين الولايات العثمانية الأخرى.

استطاع النظام السياسي في إيالة الجزائر أن يصمد لمدة ثلاثة قرون، معتمدًا في ذلك على خصائصه، وكذلك لعبه (عن إدراك أولا) على تناقضات الدول الأوروبية. إن هذا النظام الذي ظهر كنتيجة تغيرات كبرى في حوض البحر المتوسط ، انهار بسبب تموضع جديد للقوى الكبرى، والذي لم يكن له مكانًا فيه. لكنه تمكن في فترة تواجده على الساحة الدولية أن يفرض على الدول الأوروبية شكلاً جديدًا في التعامل الدبلوماسي، حيث يمكن أن نلاحظ بسهولة التنافس بين ممثلي هذه الدول في الإيالة لحماية مصالح بلدانهم.

إن بروز الجزائر "كدولة — مدينة" في العهد العثماني، أكسبها غموضًا وسحرًا، فهي في الكتابات المحلية "المدينة المحروسة" حاملة لواء الجهاد في الحوض الغربي للمتوسط، أما الكتابات الأوروبية فصورتها على أنّها "عش القراصنة" الذي ألقى الرعب في قلوب دول الضفة الأخرى للمتوسط.

وحسب نوال لافو (Noël Laveau) وأندري نوشي (André Nouschi) (في تقديمها لكتاب لوجي دوتاسي (Laugier de Tassy) تاريخ مملكة الجزائر(Histoire du royaume d'Alger)) فإنّ الفضل يعود "للقرصنة" في تحول الجزائر من مدينة صغيرة إلى "الجزائر الغنية". وفي الوقت نفسه فإن القرصنة إلى جانب طبيعة النظام "التركي" وعمليات أسر الأوروبيين، تعد العوامل الرئيسة التي تركّز عليها الرعب في أوروبا، وبمثابة قلب الأسطورة التي لفت تاريخ إيالة الجزائر، حيث اعتبرا أن "الرعب الباربرسكي" (المغربي)، أصبح منذ القرن 16 أسطوريا بشكل سريع. ورغم استنفار القوى الأوروبية للقضاء على هذا الخطر، إلا أن جميع المحاولات فشلت في التصدي له[1].

---

(1) — Loysel, paris, 1992 (المقدمة).

وهكذا أصبح تاريخ الجزائر في العهد العثماني، خليطًا من الحقيقة التاريخيـــة والأســـطورة، يشهد بذلك كثيرًا ممن حاولوا الغـــوص في البحـــث في عديـــد الظـــواهر والقضـــايا المتعلقـــة بالجزائر في تلك الفترة. وهذا ما جعل قـــودفري فيشـــر (Godfrey Fisher) صـــاحب كتـــاب (Legende Barbaresque)، وأحد المهتمين بفصل الأسطورة عن الحقيقة، وضبط تفسير يخـــص تاريخ المغرب، يكون على قدر أكبر من الموضوعية (وإن اعتبره البعض قـــد انحـــاز إلى الجانـــب الآخر)، يقول : « لفّ تاريخ المغرب، على الدوام، وإلى الآن، أسطورة حقيقية ».

لقد غرق إذا تاريخ الإيالة في مجموعة من الكليشيهات والتسطيح والتناقضات، زاد من توسع حجمها الاحتلال الفرنسي، الذي أراد أن يكرّس بعض الصور السلبية. عملت المدرسة التاريخية الوطنية الجزائرية كرد فعل منها، على خلق صور أخرى مناقضة للأولى[1].

واطلاعنا على الكتابات الأوروبية، جعلنا نلاحظ أن رأس السلطة آنذاك (الوالي العثماني)، قد أخذ حظه من الصور النمطية بشكل واضح. وهذا ما دفعنا لاختيار موضوع "دايات الجزائر صور وأبعاد (1671-1830)". ويعود تحديدنا لعهد الدايات كفترة للدراسة، بسبب الاستقرار الذي عرفه الحكم العثماني بالجزائر، في تلك المرحلة، وكذا النهاية المأساوية التي آلت إليها الإيالة في آخر هذا العهد، على إثر الغزو الفرنسي، الذي عملت الأدبيات الغربية، على تبريره بالأداء المعادي لحكومة الداي ضد البلدان المسيحية.

أما اختيارنا للفظة "صور" في العنوان فيرجع لكون هذه الكلمة، لا تعني أننا بصدد تقرير حقيقة، بل توحي إلى نظرة الآخر لهذه الحقيقة، كما رسمت وصورت في الكتابات، بما يمكن أن يعتريها من تشويه أو تزييف أو ابتعاد عن الواقع. وليس بعيدًا عن هذا المعنى يقول الباحث التونسي محمد الجويلي في شرحه لتعريف جون بول سارتر للصورة "إن الصورة لا يمكن أن تكون إلا وعيًا يزيف موضوعه ويشوّهه ما دام لا يستطيع البتة أن ينقله لنا كما هو"[2]. لكن هذه الصورة هي التي تتحكم في التفاعل مع الآخر.

ومما تقدّم تظهر لنا جليًا الإشكالية الأساسية لدراستنا وهي : البحث عن الصورة بل الصور

---

(1) – Lemnouar Merouche, Recherches sur l'Algérie à L'époque ottomane II. La course mythes et réalité, Bouchene, Paris, 2007, p p. 13 – 15.

(2) - الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدّس والمدنّس، د.ط، سراس للنشر، تونس، 1992م، ص. 29.

التي تكرّست عن الدايات في المصادر (الأجنبية، المحلية)، والعوامل التي ساهمت في تشكل تلك الصور. وبمعنى آخر، ما هي الصور الأكثر تكرارًا بخصوص الدايات ؟ وما طبيعتها ؟

ما هي آليات تشكل هذه الصور ؟ وما مدى مساهمة كل فئة من الكتاب (الأوروبيين المحليين) في تشكل صور الدايات ؟ وما دوافع ومنطلقات كل فئة ؟

ولمعالجة هذا الموضوع قسّمنا خطة البحث إلى أربعة فصول :

- **الفصل الأول** : تحت عنوان " "الداي" بين المصطلح والتطور التاريخي". أردنا من خلاله التعريف بلفظة داي لغة، وكيف دخلت كمصطلح في أدبيات الحكم العثماني. وكذا اعتمادها كتسمية لفترة طويلة من هذا العهد، رغم استخدامها الضيق محليًا. بالإضافة إلى ظروف تولي : أول داي، وطبيعة الألقاب التي تمتع بها الدايات، ومكانتهم بين مراتب الإدارة العثمانية.

- **الفصل الثاني** : "تراجم دايات الجزائر" عملنا في هذا الفصل على جمع كل ما استطعنا الحصول عليه من مادة خبرية، تتعلق بالدايات، مثل ماضيهم المهني والاجتماعي، وبشكل أخص الآراء التي قيلت في كل داي منهم وكيف تناولتهم المصادر.

- **الفصل الثالث** : "الدايات ونظام الحكم"، توخينا من خلاله رسم بعض ملامح النظام السياسي، والتي ترتبط مباشرة بالدايات، لإعطاء فكرة عن الظروف التي عمل ضمنها هؤلاء الحكام. ولهذا حاولنا إلقاء الضوء على طبيعة النظام، والشروط الواجب توفرها فيمن يتولى منصب الداي، وكذا السلطة التي يتمتع بها بعد توليه، والوظائف المنوطة به.

- **الفصل الرابع** : "تجليات صور الدايات في الكتابات الأجنبية والمحلية" رصدنا في هذا الفصل حضور الداي وغيابه في مختلف المصادر، وكيفية هذا الحضور، والصور التي تكرّست بخصوصه، ومنطلقات هذه الصور.

وحسبما تقتضيه طبيعة البحث التاريخي اعتمدنا على منهج يقوم على تأصيل المادة الخبرية من مصادرها وقراءتها قراءة وصفية تحليلية نقدية.

وإنّ أهم ما اعترضنا في إنجاز هذا البحث، من صعوبة، إضافة إلى ما يمكن أن يعترض أي باحث في هذا المجال –تاريخ الجزائر في العهد العماني- من نقص في الكتابات المحلية بالمقارنة مع الكتابات الأجنبية، هذه الأخيرة التي تطرح عدة إشكالات على مستوى نوعية المادة الخبرية التي

توفرها، هي صعوبة وضع خطة تتناسق فيها المقاربات التي نريد معالجتها مع عنوان البحث، ومع ما هو متوفر من مادة أمكننا الإطلاع عليها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مادة خبرية استقيناها من أنواع مختلفة من المصادر، كانت دعامتها الأساسية المصادر المحليّة وبشكل أكبر الأجنبية، حيث تركزت الأولى في القرن الثامن عشر وبعض المناسبات الهامة في تاريخ الإيالة مثل فتح وهران الأول والثاني، في حين توزعت الثانية على طول الفترة المدروسة مع وجود بعض الثغرات، وهذه المصادر هي التي استخرجنا منها صور الدايات. هذا بالإضافة إلى مجموعة من الوثائق المنشورة وغير المنشورة، والتي تتمثل خاصة في الرسائل من الدايات وإلى الدايات، وقد استخدمناها في تتبع استخدام مصطلح "الداي" وما يرافقه من ألقاب. أما بعض الدراسات والأبحاث فقد استغليناها في البحث عن الأسباب والعوامل المنتجة لهذه الصور.

- المصـــادر المحليـــة :

لقد لاقت الكتابات المحلية –خاصة من طرف الكتّاب الأوروبيين– نقدا لاذعًا، بسبب مستواها وقلتها. ولا نخفي سرًا إن قلنا أن هذه الكتابات، في عمومها لم تفدنا بشكل كبير في موضوعنا، باستثناء بعضها، بسبب طبيعتها، وعدم اهتمامها، بشكل خاص، بسيّر الدايات. ومع هذا فإنّه لا يمكن إغفال ما قدمته طليعة من المحليين، في القرن 18، حيث استطاعوا، عبر تآليفهم، سد بعض الثغرات، نضيف لها عددًا من الكتابات المناسباتية، والتي أُلّفت بتشجيع من بعض الحكام.

ويعد كتاب "مذكرات نقيب أشراف الجزائر" لصاحبه أحمد الشريف الزهار، أهم كتاب (محلي) استفدنا منه في هذه الدراسة، حيث غطى الفترة ما بين 1754 و 1830م. ورغم أن معلوماته حول الدايات لا تروي عطش الباحث، إلا أنّه بالمقارنة مع صمت المصادر المحلية فيما يخص هذا الجانب من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، يمكن اعتباره كنـــزًا قدّمه لنا أحمد توفيق المدني، فهو الوحيد من نوعه حول تلك الفترة.

كذلك لدينا كتاب ابن ميمون "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، فإلى جانب المادة الخبرية التي قدّمها لنا حول سيرة الداي محمد بكداش، فإنّه يجيبنا ولو جزئيا على

سؤال كبير، لماذا لم يكتب "الجزائريون" سير الدايات ؟ وتركوا الباب مفتوحًا أمام الكتابات الأجنبية تكرّس صورها الخاصة حول الدايات، وحول إيالة الجزائر بصفة عامّة، إنّ الداي بكداش يعتبر استثناءا فيما يتعلق بعدد من خلدُوا ذاكرة نثرًا أو شعرًا، لأنّه كان مهتمًا بكتابة سيرته، عن طريق تقريبه لعلماء ذلك العصر، وهذا ما لاحظناه بالنسبة لبعض البايات.

وثالث مصدر كان له الأثر البارز في بحثنا، هو تقييدات ابن المفتي التي نشر دلفان ترجمة فرنسية لها، تحت عنوان "تاريخ باشاوات الجزائر من 1515 إلى 1745"، لقد زودنا هذا الكاتب الذي أهمل ذكر اسمه، بمعلومات دقيقة حول الدايات وخاصة تواريخ توليتهم وبعض الملاحظات الهامة عن النظام السياسي وطريقة التداول على الحكم وما يعقبها من أحداث.

- المصـــادر الأجنبيـــة :

على عكس المصادر المحلية، فقد تميزت المصادر الأجنبية بالغزارة وتنوع طبيعة الكتّاب من أسرى ومفتدي أسرى وقناصل ورحالة، وبعض من جاء في بعثات علمية. ويستند هذا البحث في جانبه الأكبر على هذا النوع من المصادر، ومن هنا تبرز أهمية الكتابات الأجنبية، فلا يمكن الاستغناء عنها، ولكن دون إغفال التعامل بحذر مع الشحنة الإيديولوجية الموجودة بين طياتها، والتي اختلفت دوافعها من قرن إلى آخر.

في البداية يجب أن نشير، إلى أنّه وبعد عملية إحصاء للمصادر التي استخدمناها في البحث، وجدنا أنّها تتصف بميزتين : أولاً : أن القسم الأكبر منها يعود إلى فرنسيين، ثانيًا : أن أغلب الكتّاب ينتمون إلى فئة الدبلوماسيين.

تأثرت هذه الكتابات، بنشاط الحركة الفكرية في أوروبا، وازدحام الساحة الثقافية لتلك الفترة، بالتيارات المختلفة والمتنافسة، وكذا تصاعد الرعب الأوروبي، بسبب "أسطورة القرصنة"، بالموازاة مع رفض ونفور من الآخر الباربارسكي.

إستعر هذا الرفض منذ الثلث الثاني للقرن 17، واستمر الأمر كذلك رغم ما أصاب القرصنة من تقهقر وضعف، بدءا من سنة 1725م. وإذا كان لهذا ما يبرره في القرن 16 و 17، مع وجود ظاهرة الاستعراضات التي كان ينضمها مفتدو الأسرى في أوروبا، للأسرى المضطهدين، الآتين من بلاد المغرب، بغرض جمع أموال الفداء، فإن الأمر بعد تلاشي خطر القرصنة، يرجع إلى تنامي

التيارات الفكرية، التي كانت المؤسسة للنظام الاستعماري في القرن 19 والتي تقوم على التعصّب واحتقار الآخر.

ويُعد كتاب الدبلوماسي الفرنسي لوجي دوتاسي (1724م)، أهم ما ألّف في تلك الفترة، للكشف عن وجود هذا الاتجاه في الكتابات الأوروبية. حيث ذكر كيف أنّ الأوروبيين، في عصره، يجهلون تمامًا حقيقة إيالة الجزائر. وحمّل مسؤولية تزييف تاريخها لمفتدي الأسرى وبعض الأسرى، الذين يطوفون العالم متسولين، مصفدّين بسلاسل لم يحملوها يوما في إفريقيا، وكذا بعض الرحالة الذين ينظرون للأمور بسطحية، ويعادون كل مالا ينتمي إليهم[1]. وهنا يجب التأكيد على أن لوجي دوتاسي هو نتاج الحركة الإنسانية، وأزمة الضمير، التي ظهرت في أوروبا في القرن 17 و 18، والتي أنتجت عصر الأنوار.

ولا تعود أهمية هذا الكتاب، بسبب اتجاه صاحبه الفكري ومحاولته لكتابة تاريخ موضوعي للإيالة فقط، بل وتتأكد هذه الأهمية إذا عرفنا أن كثيرًا ممن نعتمد عليهم في كتابة تاريخ الإيالة، اقتطعوا أجزاء هامة منه، أمثال بايصونال وديسفانتان وبواري والانجليزيان توماس شو وجوزيف مورغان. إلا أنّهم ليسوا جميعًا استفادوا من اتجاهه الفكري.

وعلى العموم، مهما قيل عن هذه الكتابات، فإننا لا نتصور، تكوين صورة عن الدايات، دون جهد هؤلاء الأوروبيين، الذين تقاطروا على مدى ثلاثة قرون على الإيالة.

أما أهم المراجع والدراسات التي اعتمدنا عليها، فنذكر أعمال بياربوابيه، الذي تعمّق إلى حد ما في دراسة تطور النظام السياسي للإيالة، كما رصد أهم التحولات التي طرأت عليه، وقد استفدنا، في بحثنا، بشكل أخص، من مقالة " من عهد الباشاوات الثلاثيين إلى ثورة علي خوجة داي (1571-1817)".

كما استفدنا من تفسير لمنور مرّوش، لكثير من الظواهر السياسية، في دراسته الجادة والمعنونة بـــ "أبحاث في تاريخ الجزائر العثمانية -I- العملات، الأسعار والمداخيل من 1520-1830". وعرضنا بعض ملاحظات دنيس براهيمي حول النصوص الأوروبية، ومؤلفي هذه النصوص، من خلال كتابها "آراء ونظرات أوروبيين حول المغرب في القرن السابع عشر والثامن عشر".

---

(1) - Op. Cit., , p p. 09 – 11.

هذا وتبنينا في هذا البحث تقسيم خليفة حمّاس للفترة العثمانية، وكذا ملاحظاته الدقيقة حول لقب داي، في رسالته "العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830"، انطلاقا من **الوثائق المنشورة وغير المنشورة.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

"الداي" بين المصطلح والتطور التاريخي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأوّل : " الداي" بين المصطلح والتطور التاريخي

قسّمت الفترة العثمانية في الجزائر إلى مراحل أخذت تسميتها من اللقب الذي اشتهر به حكام كل فترة ؛ مرحلة البايلربايات (1515-1588م) مرحلة الباشاوات (1588-1659م)، مرحلة الأغاوات (1659-1671م)، مرحلة الدايات (1671-1830م)[1]. لكن هناك من المؤرخين من اعتبر هذا التقسيم الكلاسيكي لا معنى له ؛ على أساس أنّه لم يحدث خلال هذه المراحل ما غير من سمة الحكم نحو الجزائريين، وأنّ كل ما كان يعنيه بعض التغيير في علاقة الولاة بالسلطان العثماني[2].

ولهذا السبب وبناءً على معايير أخرى، توصّل خليفة حمّاش[3] إلى تقسيم الفترة

---

(1) - هذا هو التقسيم المعتمد في أغلب الكتب مع بعض الاختلاف البسيط، قسّمها ناصر الدين سعيدوني إلى مراحل : البايلرباي (1518-1588م)، الباشاوات (1588-1659م)، الأغاوات (1659-1671م)، الدايات (1671م-1830م). ينظر : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط.2، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص. 23، 24. وقسّمها بيشو (L.Péchot) إلى مرحلة البايلرباي (1546-1587م)، الباشاوات الثلاثيين (1587-1659م)، الآغاوات (1659-1671م)، الدايات (1671-1830م)، ينظر : Histoire de l'Afrique du nord avant (1830), Gossojo, imprimeur - éditeur, Alger, 1914, p. 8. وقسّم أحمد توفيق المدني حكم العثمانيين إلى خمسة أدوار، سمّى الدور الأوّل عصر الفتح (بابا عروج وخير الدين) (1512-1546م)، وبقية الأدوار تشبه ما ذكرناه سابقا، ينظر : محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م)، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص. 23. وأخيرا نختم بتقسيم واتبلاد (E. watbled) : (1518-1659م) : حاكم عام مرسل من طرف السلطان العثماني، يحمل لقب بايلرباي، وينتمي إلى فئة الباشاوات. (1659-1672م) : حاكم عام، يعين من طرف الميلشيا التركية بالجزائر، يحمل لقب أغا، بالإضافة إلى باشا مرسل من طرف السلطان العثماني. (1672-1710م) : حاكم عام منتخب، يمثل المصالح المحلية ويحمل لقب داي، مع بقاء الباشا دون صلاحيات. (1710-1830م) : اختفاء الباشا المرسل من طرف الباب العالي ؛ وبقاء حاكم عام منتخب مباشرة من طرف الميليشيا والذي جمع بين وظائف ولقبي الباشا والداي. - ينظر : "Pachas - Pachas -Deys", in. R. A. N. 7, An. 1873, p.442.

(2) - هذا رأي أبو القاسم سعد الله، ينظر : تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص. 138، 139. (هامش (2)).

(3) - الأسباب التي ذكرها هي أنّ : اسمي "بايلرباي" و "باشا" اللذين أطلقا على المرحلتين الأولى والثانية، لم يكونا في الواقع سوى لقبين إداريين، وليس نظامين أو مرحلتين ظل ولاة الجزائر يحملونهما حتّى نهاية العهد العثماني، أما اسم "أغا" الذي أطلق على حكام المرحلة الثالثة فيقصد به أغا الإنكشارية الذي عينه الجيش الإنكشاري ليحكم إلى جانب الباشا الذي كان يرسل من استانبول خلال نفس المرحلة. وأمّا "الداي" الذي أطلق اسمه على حكام المرحلة الرابعة، فهو الجندي الذي حل عام 1671م محل "أغا" الانكشارية إلى جانب الباشا، وذلك حتّى عام 1711م عندما تخلّص الداي علي من الباشا شارفان إبراهيم الذي أرسله الباب العالي، وانفرد بالحكم وتوقف في نفس الوقت عن حمل لقب "داي" وحمل بدلا منه لقب "باشا"، واستمر الوضع على هذه الحال حتى نهاية العهد العثماني في الجزائر. =

العثمانية بالجزائر إلى ثلاث مـــراحل :

- **المرحلـــة الأولـــى** : (1520-1659م) حكم ولاة يعينهم الباب العالي ويرسلهم من إستانبول.

- **المرحلـــة الثـــانية** : (1659-1711م) مرحلة الحكم الثنائي، وهي مرحلة انتقالية للمرحلة الثالثة، وفيها أصبح منصب الباشا صوريا، لأنّ الجيش الإنكشاري جرّده من معظم سلطاته وسلّمها لممثل عنه كان في البداية "أغـــا" وأصبح عام 1671م "الـــداي".

- **المرحلـــة الثـــالثة** : (1711-1830م) توقف إرسال الولاة من إستانبول وأصبحوا يعينون من قبل الجيش الإنكشاري في الجزائر، واقتصر دور الباب العالي على ترسيمهم دون أن يكون له أي نفوذ في اختيارهم[1].

وتبعًا لما سبق، فقد أرسى ما أصطلح عليه بـــ "ثورة الأغاوات" سنة 1659م، تقليدًا جديدًا يتمثل في إنهاء عهد الحكم الأحادي للباشا المعين من طرف الباب العالي، حيث أصبح يشترك معه في الحكم "الأغـــا" ثم "الـــداي"، هذا الأخير الذي نحن بصدد دراسة أعمق له، قام بالإنفراد بالحكم سنة 1711م.

I - ظهـــور لفظـــة "داي" كلقب للحاكم واستمرار استخدامهـــا :

نجد في مصادر التاريخ العثماني بالجزائر، أشكالاً مختلفة للرسم الخاص باللفظـــة الشـــائعة "داي" و "dey" منها "dév"[2]، "Dei"[3]، "daï"[4]، "daïy"، "دايي"[5]، "ضاي"[6]، "دَاءِـــى"[7]،

- 1830م. ينظر : العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجســـتير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م، ص. 31، 32.

(1) - المرجع نفســـه، ص. 33.

(2) - M.Emerit, "Un mémoire sur Alger par Pétis de la Croix (1695)", in annales de l'institut d'études orientales (A.I.E.O), Faculté des lettres et sciences humaine, université d'Alger, T. XI, An. 1953, p.10.

(3) - Godefroy et d'autres, État des royaumes de Barbarie, Tripoly, Tunis, et Alger (1700), A Rouen,?, p.246.

(4) - Venture de Paradis, "Alger au XVIII[e] siècle", in. R.A, N.40, An. 1896, p.257.

(5) - Diran Kélékian, Dictionnaire turc - français, Imprimerie Mihran, Constantinople, 1911, p.565.

(6) – من خلال قائمة لولاة الجزائر في العهد العثماني (مخطوط 1639، بالمكتبة الوطنية بالجزائر).

(7) - De Castries, Les sources inédites de l'histoire du Maroc, 2ème série, T.3, Gueuthner, Paris, 1927, p.502

هكذا جاء في دفتر التشريفات النسخة الأصلية الموجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، والتي صوّر عنها دوكاستري صورًا طبق الأصل أرفقها بالترجمة الفرنسية التي وضعها لمقاطع من هذا الدفتر تخص تاريخ المغرب.

والظاهر أن الغرض من ذلك هو محاولة محاكاة النطق السائد لهذه الكلمـــة والمتمثّـــل في "دايـــي" بتفخيم الدال ونطقها ضاد.

ومن معاني هذه الكلمة في التركية : الخال والعراب والسيد[1]، وكذلك الشجاع والبطل[2]، وذكر فونتير دوبارادي (Venture de Paradis)، أنّ أتراك الجزائر يعطونها هذا المعنى الأخير، وأنّهم يدّعون بأنّ والد الإخوة بربروسة عندما كانوا خارجين لإحدى غزواتهم طلب من اثنين منهما إطاعة خير الدين، قائلا لهم "إنّه دايكم"[3]. هذا عن معنى كلمة "داي" فماذا عن ظهورها على مسرح الأحداث في إيالة الجزائر ؟

بعد النتائج الكارثية لما عرف بفترة الأغاوات، يؤكد المؤرخون أنّ اغتيال آخر أغا قد أعقبته فوضى عارمة، اعتبرها بوايه (P.Boyer) ثورة عنيفة، وليست مجرّد مؤامرة محبوكة[4]. هذا ما حمل الإنكشارية على معالجة هذا الوضع، وتنصيب خمس أو ست أغاوات خلال ثلاثة أيام، لكنّهم جميعًا رفضوا هذا الشرف الخطر[5].

ذكر دوقْرامون (De Grammont)، أنّ الرياس استغلوا الفرصة وأزاحوا الإنكشارية من الحكم، ليعينوا واحدًا منهم، هذه النظرية التي بنى عليها دوقْرامون فهمه لتاريخ إيالة الجزائر، أي "الصراع بين الإنكشارية والرياس حول الحكم"[6]، والتي درج عليها أغلب من جاء بعده من المؤرخين، لشرح ما حدث في هذه الفترة. فنّدها بوايه واعتبرها تعسُّف من طرف دوقْرامون، فالأمر حسبه كان نتيجة تطور بدأ بتراجع الباشاوات، وانتهى عمليا بموت الأغا الحاج علي[7].

وقد اعتمد بوايه على عدة أدلة مفصّلة لتأكيد وجهة نظره، نذكر منها، أولا : إنّ اختيار رايس مسن، لا يملك نفوذ، لهذه المهمة، دليل على أنّه ليس هناك عملية استيلاء على السلطة بالمعنى الحرفي[8]، ثانيا : الداي الثاني وهو حسن شاوش لم يكن من الرياس على عكس ما بنى عليه

---

(1) - Diran Kélékian, Op. Cit., p.565.

(2) - Venture de Paradis, Op. Cit, N.40, p.257.

(3) - Ibid, p.257.

(4) - "La révolution dite "des Aghas" dans la régence d'Alger (1659-1671)," in R.O.M.M, pub. Par centre de la recherche scientifique et des universités d'Aix - Marseille , n° 13-14, 1ère semestre, An. 1973, p.168.

(5) - Ibid, p.168, et (H.D.) de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), présentation de Lemnouar Merouche, Bouchen, Paris, 2002, p.186.

(6) - Ibid, p. 187.

(7) - "Des Pachas triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey (1571-1817)", in revue Historique, n° 495, An. 1970. p.106.

(8) - "La révolution dite des Aghas...", Op. Cit., p. 189.

دوڤرامون نظريته بأنّ الرياس استولوا على الحكم وتمكنوا من أن يعينوا لمنصب الداي أربعة منهم على التوالي[1]، ثالثا : إنّ النّص الذي كتبه دولاكروا[2] ونقل عنه دوڤرامون نظريته، يؤكد عكس ما جاء به، حيث ذكر أنّ الداي الأوّل عيّن من أجل دفع مرتبات الجيش، فبوايه يرد على ذلك، بأنّ دفع مرتبات الجيش لم يكن الانشغال الأوّل للرياس حتى يستولوا على السلطة لأجله[3].

وهكذا خلص بوايه إلى النظرية التالية : بعد عدم تمكّن الثائرين من مواصلة نظام الأغاوات، لجؤوا باتفاق مع الرياس إلى حيلة قديمة استخدمت سنة (1644م-1645م) [4]، حيث عهد بمصير الإيالة، ومهمة دفع المرتبات إلى رايس مشهور وموسر[5].

بعد ان استعرضنا الصورة التي حدثت بها الأمور في الداخل، والكيفية التي انتقل بها الحكم إلى "الدايات"، يمكننا أن نوضح الصورة أكثر، وعلى مستوى آخر، وهو علاقة الباب العالي بهذا التغيير الذي حصل في إيالة جزائر الغرب.

ذكر لوجي دوتاسي (Laugier de Tassy)، أن الميليشيا (La Milice) التي ضاقت ذرعًا بتصرفات الباشاوات المرسلين من الباب العالي، بسبب استيلائهم على المال المرسل من طرف هذا الأخير وكذا على موارد الإيالة، ممّا كان يؤثر سلبا على عملية دفع المرتبات[6]، قامت مع بداية

---

(1) - "La révolution dite des Aghas....", Op. Cit., p.169.

(2) - M.Emerit, "Un mémoire ...", Op. Cit., p.10.

(3) - "Des Pachas triennaux...", Op. Cit., p.106. (note (1)).

(4) - يقصد بوايه تعيين الرايس المشهور علي بتشينين.

(5) - "La révolution dite des Aghas...", Op. Cit., p. 189.

رغم التفسير المنطقي لبوايه للأحداث، كون تعيين الداي محمد التريكي تم باتفاق بين كل من الإنكشارية والرياس لإنهاء الفتنة، يجب علينا التعامل مع هذا التفسير بتحفظ، ودراسة أعمق للكيفية التي جرت بها الأمور، وطرح أسئلة مثل : ما هي الفوائد التي يمكن أن يجنيها الرياس باستيلائهم على الحكم، وهل هم مجبرون على ذلك، وبعبارة أخرى ألم يستمكن الرياس من تحقيق طموحاتهم بوجود غيرهم على رأس السلطة ؟ خاصة وأنّ هناك من يؤيد دوڤرامون ويعطي تفسيرات، فجون.ب. وولف يُرجع ما أسماه بثورة (1671م) إلى أسباب خارجية، حيث سرد مجموعة من الأحداث التي ضيّقت على عمل الرياس في البحر، مما جعلهم يقومون بثورة يستولون بها على الحكم وبذلك يسيّرون الأمور الخارجية بما يتكيف مع مصالحهم، ينظر : الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، د.ط، م.و.ك، الجزائر، 1986م، ص. 142، 143. وفي المقابل هناك من دعّم نظرية بوايه بسرد دلائل أخرى مثل لمنور مرّوش، ينظر :

- De Grammont, Histoire d'Alger...., Op. Cit., p. 12 (المقدمة).

(6) - هي نفسها الأسباب التي أوردها ابن المفتي، ليفسّر ظهور "الأغا" على الساحة السياسية وتكفّله بدفع مرتبات الجنود، ونزع هذه الصلاحيات من يد الباشا. ينظر :

- G.Delphin, "Histoire des pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait d'une chronique indigène", traduit et annoté par G.Delphin, J.A., série 19, An. 1922, p. 209, 210.

القرن 17 بإرسال وفد مكون من عدد كبير منهم إلى الباب العالي لشرح هذا الوضع، كما أضافوا أنّ استمرار هذه الفوضى سيجعل الأمر أكثر سوءا ممّا قد يؤدّي بالسكان إلى التمرد على سلطة العثمانيين، ودعوة المسيحيين الذين مازالوا يحافظون معهم على اتصالات سرية[1].

لم يكتف أعضاء الوفد بذكر الوضع الكارثي للإيالة بسبب سوء تصرّف الباشاوات بل اقترحوا الشكل الجديد للنظام الذي يريدونه، وهو انتخاب رجل من بينهم يتصف بحسن السلوك والشجاعة والخبرة، ليحكمهم تحت اسم "الداي" ؛ هذا "الداي" سيتعهد بمداخيل الإيالة وبالتالي دفع المرتبات، والتكفل بكل ما يخص الإيالة دون مساعدة من الباب العالي، مع الاعتراف بالسلطان العثماني كحاكم للإيالة، وحفظ حقوق الباشا المعنوية والمادية بشرط أن لا يشارك سوى في جلسات الديوان العامة ولا يتدخل في شؤون الحكم إلا إذا طلب رأيه[2].

وحسب لوجي دوتاسي نفسه، فإن هذا الأمر راق للصدر الأعظم، بسبب المبالغ المعتبرة التي سيوفرها الباب العالي[3]، وكذا عودة النظام للإيالة، وقد نقل هذا الإحساس للسلطان العثماني الذي وافق على تشكيل قيادة تتطابق مع اقتراح الميليشيا[4].

لكن قبل الاستمرار في سرد أحداث هذا التغيير في حكومة إيالة الجزائر، يجب التوقف عند السؤال التالي، من أين جيء بلقب "داي" لإطلاقه على من شارك الباشا في حكم الإيالة ؟.

إنّ هذا المصطلح الذي يطلق عادة للتعبير على الاحترام والمودة اتجاه كبار السنّ[5]. أطلق أيضًا على قادة السفن[6]، و أطلق على وكلاء إيالة الجزائر المكلفين بتجنيد المتطوعين من الولايات العثمانية[7]،كما ذكر واتبلاد نقلا عن قاموس عربي فرنسي لـ (Kasimirski)، أنّ كلمة داي كانت تطلق على نوع من الدعاة المسلمين، كانوا يتواجدون على الحدود مع بلاد الكفار يدعون إلى الإسلام[8]. ويتفق المؤرخون أنّ "الجزائريين" استعاروا هذا "النظام" من جيرانهم في

---

(1) - Op. Cit., p.42.

(2) - Ibid., p. 42, 43.

(3) - هذه المساعدات التي كان يقدمها الباب العالي هي التي أفاضت الكأس عندما قام الباشا إبراهيم بالاستيلاء عليها، حيث كانت مخصّصة للرياس حتى يقبلوا الالتحاق بأسطول السلطان العثماني وهكذا كانت "ثورة الأغاوات" عند انتهاء عهدته ينظر : De Grammont, Histoire d'Alger ...., Op. Cit, p. 177 , 178.

(4) - Op. Cit., p. 43.

(5) - Mahfoud Kaddache, l'Algérie durant la période ottomane, O.P.U., Alger, 2002, p.91

(6) - Kélékian Op. Cit., p. 565.

(7) - حليفة حمّاش، المرجع السابق، ص. 170.

(8) - Op. Cit., p.440. (Note (1)) - لقد علّق على هذا المعنى، بأنّه إذا اعتبرنا أن الوظائف السياسية لدى المسلمين على العموم ذات صبغة دينية، نفهم بأنّ كلمة داي تعبّر على وظيفة دينية، مدنية وعسكرية.

طـــرابلس وتـــونس[1].

فحسب دائرة المعارف الإسلامية، فإنّ لقب "داي" كان يدل في تونس في أواخر القرن السادس عشر على رأس كل فرقة من الفرق الأربعين التي انقسم إليها الحرس الأهلي على يد سنان باشا. وفي سنة 1591م انتخب هؤلاء الدايات الأربعون من بينهم واحدا ليتأمّر على الجيش بالاشتراك مع الأغا. ومن ثم لم يمض وقت طويل حتى أصبح الداي المنتخب على هذا النحو رأس الحكومة، واستعاض بسلطانه عن سلطان الباشا الذي كان يمثل الباب العالي. على أن البايات جنحوا منذ النصف الأخير من القرن السابع عشر إلى الحلول محل الدايات، وكان البايات يتولون من قبل مناصب في الجيش أقل من مناصب الدايات. وفي مستهل القرن الثامن عشر اتخذ الباي إبراهيم لقب الداي، ثم ألغى حسين بن علي لقب الداي سنة 1705م[2].

ولتأكيد هذه الفرضية، اعتمد بواييه على النص التالي لابن المفتي : « بعده(أي علي أغا) رفع إلى الحكم حسين قبطان التريكي، دولاتلي. بعد عدة أيام اشترك معه في الحكم صهره حسن شاوش. بعد بعض الوقت سحب منه اليولداش شريكه حسن شاوش الذي عزل. وعين مكانه طاباق[3]،ليصبح التريكي داي ذا سلطة مطلقة، وطاباق تابعًا له. مضت أربعة أشهر كذلك، وتأكد التسيير الجيد للشؤون العامّة من طرف الداي، ونفي طاباق، وعين صهر التريكي حسن شاوش (أي أصبح داي). ويعتبر الأوّل الذي استعمل تسمية "بابا" ...»[4]، حيث قال أنّه من الصعب أن لا نرى في هذا النظام صورة عما كان موجودًا في الإيالة المجاورة تونس، أين السيادة مقسّمة في الواقع بين الداي والباي، والداي ليس لديه أي سلطة[5]، وحسب النص فإننا نجد في بداية هذا النظام تقاسم السلطة نفسه بين الحاج محمد التريكي "الداي" وحسن شاوش الذي أخذ رتبة "حاكم" التي حصل عليها قبله الأغا علي المغتال[6]. ويسترسل بواييه فيقول أن

---

(1) - ينظر : عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة : محمود علي عامر، ط.1، دار النهضة العربية، بـــيروت، 1989م، ص. 405 و Eugène Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, T. 1, Bouslama, Tunis, 1981, p.23 (المقدمة).

(2) - تعريب : محمد ثابت الفندي وآخرون، مج. 9، مادة داي، ص. 130، 131.

(3) - يبدو أنّ طاباق هذا ينتمي إلى الإنكشاريـــة.

(4) - G.Delphin, Op. Cit., p.205.

(5) - "La révolution dite des "Aghas"....", Op. Cit., p.169, 170.

(6) - يقول ابن المفتي أنّ الأغا علي هو أوّل من لقب "بحاكم" وهذا لأنّه حـــاز الســـلطة دون أن يقتســـمها مـــع أحـــد، وهذا كان له سلطة مطلقة، ينظر : G.Delphin, Op. Cit., p. 210.

حكومة "الدايات" لم تصبح واقعا إلا مع حسن شاوش (1681-1683م)، حيث قضى على هذه الازدواجية في الحكم، وجمع بين وظائف الداي والحاكم[1].

وتطورت الأمور بعد ذلك، عندما تولى الداي علي سنة 1710م، حيث قام بطرد الباشا، وبعث سفارة إلى الباب العالي رفقة هدايا، استعرض في رسالته شكواه من الباشا، مخبرًا الصدر الأعظم أنّ هذا الموظف يستحق القتل بسبب تعصبه وعمله على بث الشقاق، ولكن احتراما للسلطان لم يقم بذلك، هذا الشيء لن يستطيع ضمانه ثانية مع غضب الميليشيا من الباشا، مما سيكون خطأ في حق الباب العالي لا يمكن إصلاحه[2]. وأنهى عرضه هذا بقوله بما أن الباشا عديم الجدوى وضار بمصالح الحكومة، فإنّه من الملائم عدم إرساله ثانية، وتشريف الداي بلقب باشا، وهذا ما تم فعلاً[3].

لكن كم استمر استخدام لقب "الـــداي" ؟ الأكيد أنّ لقب داي قد استخدم في تاريخ جزائر العهد العثماني، بعد انتهاء حكم الأغاوات، للدلالة على شريك الباشا في الحكم، والأكيد أيضًا أنّ أغلب المؤرخين قد اصطلحوا على فترة ما بين 1671 و 1830م، "بعهد الدايات". لكن هل استمر استعمال هذا اللقب فعلا كل هذه الفترة ؟ وهل كان يمثّل وظيفة إدارية ؟.

يقول خليفة حمّاش بهذا الصدد : « أمّا من الناحية الإدارية فإنّ اللفظة لم تكن ترتبط بأيـــة وظيفة رسمية في نظام الحكم العثماني، وكانت مثلها مثل لفظة "ألب" تطلق عند الأتراك القـــدماء كلقب للرجل الشجاع »[4]، ليس هذا فقط، بل ذكر أن "الجزائريين"-حسب الشواهد التاريخية-[5] قد توقفوا بعد سنة 1711م عن اســـتخدام هـــذا اللقـــب[6]، باســـتثناء اســـتعماله في حـــدود

---

(1) - "La révolution.....", Op. Cit., p.170.

(2) - Laugier de Tassy, Op. Cit., p.43.

(3) - هذه رواية لوجي دوتاسي، لكن هناك تفاصيل مختلفة عن تلك التي رواها لوجي دوتاسي، نجدها، في : سامح إلتـــر، المرجع السابق، ص. 463 و Venture de Paradis, Op. Cit., N. 40, p.258 -

و De Grammont, Histoire ....., Op. Cit., p.227 -

(4) المرجع السابق، ص. 46.

(5) - لقد اعتمد في هذا الرأي على الكتابات الأثرية الموجودة في كتاب (Gabriel Colin) (Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie)، حيث نجد أن آخر استخدام للقب كان سنة 1711م، تحت حكـــم الـــداي علي.

(6) - المرجع السابق، ص. 46.

ضيقة[1]، مرافقا لألقاب رسمية أخرى، بشكل يمكن معه حذفه دون أن يضير ذلك بالمعنى[2]. وهذا ما جعل خليفة حمّاش يرى ضرورة إعادة النظر في إطلاق عبارة "عهد الدايات" على المرحلة (1671م-1830م) من تاريخ الجزائر في العهد العثماني[3].

وهذه بعض الملاحظات التي توصلنا إليها من خلال تتبعنا لاستخدام اللقب في مختلف المصادر :

أوّلا : نجد في الفرمانات التي أوردها سامح إلتر أنّ السلطان العثماني كان قبل 1711م، يخاطب الباشا بأمير الأمراء ويستخدم لفظ الداي لمخاطبة شريك الباشا في الحكم، لكن بعد 1711م ورحيل الباشا أصبح يطلق على حاكم الإيالة أمير الأمراء ودايها، ثم توقف ذكر لقب الداي وأصبح يخاطب بأمير الأمراء.

ثانيا : إنّ الكتابات المحلية لا تذكر هذا اللقب "داي" إلا نادرًا، بل تستخدم ألقابًا أخرى، خاصة الباشا بالإضافة إلى السلطان، الأمير وغيرها[4].

ثالثا : إنّ لقب "داي" هو الأكثر استعمالا في المصادر الأوروبية، للدلالة على حاكم إيالة الجزائر، مع استخدام ألقاب أخرى مثل : باشا، ملك، أمير[5].

رابعا : إنّ الرسائل والمعاهدات المترجمة سواءً إلى العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية والتي من المفروض أنّها كتبت بأمر من حاكم الجزائر بالتركية أو العربية، نجد المترجمين يستخدمون لقب

---

(1) - فمثلا نشر عبد الجليل التميمي مجموعة من الرسائل من الداي عمر إلى السلطان العثماني، يُلاحظ في النص الأصلي بالتركية في الشكل رقم 32 رسالة إلى السلطان العثماني يذكر من قبله من الحكّام في أربعة مواضع، تحت لقب داي وهم (مصطفى داي، المرحوم حاجي علي داي، أحمد داي)، (تاريخ الرسالة 16 ماي 1815م)، وفي الشكل رقم 33 الداي نفسه ذكر علي داي تحت نفس اللقب، ووقع رسالته بـ (عمر داي متصرّف جزاير غرب)، ت. 1 جوان 1816م، بينما في الشكل 34 وقّع بـ (عمر متصرّف جزاير غرب)، (ت. 12 سبتمبر 1816م)، ينظر : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تقديم روبار منّران، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972م، ص ص. 245-260.

(2) - المرجع السابق، ص. 48، 49.

(3) - المرجع نفسه، ص. 49 (هامش 3).

(4) - قائمة ولاة الجزائر، المخطوط سابق الذكر، وإن وجدنا بعض الخلط في التواريخ والأسماء، إلا أنّ كاتب القائمة، إستخدم لفظ ضاي مع حاكمين من حكام الجزائر جاءا بعد 1711م بمدة طويلة، بدل استخدام لقب باشا الذي استخدمه مع باقي الحكام.

(5) - قال وليام شالر بهذا الخصوص : « وأما لقب الداي، فهو لا يكاد يلفظ في الجزائر، وإنّما يستعمله الأجانب، والمرجّح أنّه كان في مبدأ الأمر مجرّد كنية، ...»، ينظر : مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، د.ط، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص. 43.

"داي" على طول الفترة من (1671م-1830م)، وهنا نسأل، هل فعلا احتوت هذه الوثائق جميعا على هذا اللقب أم أنّه خطأ في الترجمة ؟ نذكر من ذلك – والأمثلة كثيرة- الرسائل التي ضمّنها كتاب أوجين بلانشي (Eugène Plantet) بجزئية وكتاب يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798م). إلا أنّنا عثرنا في هذا الكتاب على صورة لرسالة أصلية كُتبت بالتركية بجانب الترجمة العربية، ورغم عدم وضوحها يمكننا القول أنّنا وجدنا في أعلى الرسالة العبارة التالية (جزاير غرب دايسي حسن باشا) أي حسن باشا داي جزاير غرب، وهي رسالة من الداي حسن إلى الوزير الأوّل الإسباني قودوي (Godoy) بتاريخ 7 رجب 1211هـ/6 جانفي 1797م[1].

وفي الأخير، لقد لاحظنا أن لقب "دولتلو" الذي يرافق كثيرا أسماء الدايات، والذي هو من المفروض لقب يدل على الاحترام وعلو المركز، على وزن ألقاب أخرى مثل رأفتلو، سعادتلو التي تعني على التوالي (صاحب الدولة، صاحب الرأفة، صاحب السعادة) [2]، يعوضه البعض عند الترجمة بلقب "داي". وفي هذا الصدد نجد أن أبو القاسم سعد الله في تحقيقه لكتاب رحلة ابن حمادوش، وعندما مرّ بهذا اللقب شرحه بأنّه تركيب من الداي والدولة، أي الحاكم غير المعين من قبل السلطان العثماني، كما كان الحال في السابق[3]. معتمدًا على قول نفس الكاتب (ثم القبطان الحاج محمد التريكي داي، وهو أوّل من سمي دولاتلي) [4].

- II - ألقـــاب الداي ومكـــانته بين مراتب الإدارة العثمـــانية :

رافقت أسماء الدايات العديد من الألقاب، تدل بعضها على الوظيفة التي يقومون بها (وظيفية)، وأخرى فخرية، والكثير منها يُعد من باب الإطناب، وتعتبر الرسائل ومعاهدات السلاء والكتابات الأثرية من أهم المصادر التي يمكن أن نستقيها منها. ولهذا ارتأينا أن نورد بعض النماذج، بغرض إعطاء صورة ولو جزئية عن هذه الألقاب، التي تستحق دراسة خاصة بها.

---

(1) - د.ط، د.م.ج، الجزائر، 1993م، ص. 203.

(2) - خليفة حمّاش، المرجع السابق، ص. 47.

(3) - عبد الرازق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تقديم وتحقيق وتعليق : أبو القاسم سعد الله، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص. 225 (هامش 600).

(4) - المصدر نفسه، ص. 226.

- **النموذج الأوّل** : عبارة عن مجموعة من الرسائل، نشرها شارل فيرو (L.Charles Féraud)، اخترنا منها أربعا موجّهة من دايات الجزائر إلى أفراد من عائلة المقراني، تتضمن امتيازات خُصَّ بها الفرع الموجود ببجاية، والفرع الموجود بجيجل من هذه العائلة. مع العلم أنّ فيرو أرفق دراسته بالنسخ العربية لهذه الرسائل.

1 - أول رسالة كانت من الداي محمد التريكي أول من اعتلى منصب الداي في الجزائر حيث أنهى رسالته كما يلي : « عن اذن المعظم الارفع مولانا الدولاتلي الحاج محمد باشا ايده الله بمنه امين اوسط (كذا) شهر جماد (كذا) الثاني (كذا) سنة 1093م ».

الختـــم : « الواثق بالـــردود الحـــاج محمد بن محمـــود »[1].

2 - « عن إذن المعظم الأرفع الدولاتلي السيد مصطفى داي اواخر حجة الحرام عام 1113 »[2].

3 - «كتب عن اذن المعظم الارفع مولانا الدولاتلي السيد علي باشة اوسط شوال عام 1168»[3].

4 - « كتب عن اذن المعظم الارفع مولانا الدولاتلي السيد علي باشا ايده الله بمنه ».

الختـــم : «المتوكل على المولى الجليل عبده الحاج علي بن خليل 1224 »[4].

- **النموذج الثـــاني** : مجموعة من الرسائل وجدناها في أرشيف ولاية قسنطينة، وهي صور طبق الأصل عن رسائل موجودة بأرشيف تونس، مرسلة من دايات الجزائر إلى حكام تونس، أغلبها في عهد الداي الأخير، الداي حسين، نذكر أجزاء من بعضها، للتشابه الكبير فيما بينها في طريقة التخاطب.

1 - « حضرة المعظم الأرفع والصّدر الهمام الأنفع والأسعد والأرضى... والأحضى ابننا الأعز علينا والأغلى والأعلى المكرّم لدينا السيد محمد باي ولاية تونس.....

---

(1) - "Exploitation des forêts de la Karasta, dans la kabilie orientale sous la domination turque", In, R.A., N., 12, An. 1868, p. 384, 385..

- شهر جمادى الاخر 1093هـ يوافق جوان 1682م.

والظاهر أنّ دوفرامون اعتمد على هذه الرسالة، عندما ذكر أنّ آخر عمل لهذا الداي هو تنصيبه لعبـــد القـــادر ابـــن المرحـــوم محمـــد أمقران كحاكم للأقسام الثلاثة لأولاد برباشة مستقلا عن بايات قسنطينة ينظر : Histoire..., Op. Cit., p.207.

(2) - "Exploitation des forêts...", Op. Cit., N.12, p.388.

- أواخر حجة الحـــرام عـــام 1113هـــ يـــوافق أفريل 1702م.

(3) - Ibid, N. 13, An. 1869, p.212. - أوسط شـــوال عـــام 1168 يوافـــق جويليـــة 1755م.

(4) - Ibid, p.212. - سنـــة 1224هـــ = 1809م.

امين والسلام وكتب عن اذن المعظم والارفع الدولاتلي السيد علي باشا وفقه الله بمنه تعالى أواسط رجب سنة 1171 »[1].

2 - « المقام الذي زكت فروعه وأصوله...الوجيه الأسعد الأكمل محمود باشا محروسة تونس ... والسلام التام في البدء والختام وكتب عن اذن الارفع الهمام الانفع مولانا الدولاتلي السيّد حسين باشا اعطاه الله من خير الدّنيا والآخرة ما يشا. آمين بتاريخ اوايل صفر الخير سنة 1234 »[2].

3 - « السيادة التي لها المكارم الراضية. والجلالة الراقية والمكانات العالية والعزايم المثابرة المرضية. والاعمال الصالحة الباقية. سيادة المعظم الاجل الزكي الافضل الخير الاشمل. المرعي المبجل. الامجد الانجد. الوجيه الاسعد. أخينا ومحبنا وصديقنا السيد محمود باشا محروسة بلاد تونس ادام الله له العافية والفضل والجود..... . وكتب عن اذن المعظم الارفع الهمام الانفع مولانا الدولاتلي السيد حسين باشا بالجزآير المحمية بالله تعالى من سوء الدوآير. المتوكل على الله الذي بيده الخلق والانشا اعطاه الله من الخيرات والمسرات ما يشا. امين بتاريخ اواخر شعبان المفضل. سنة 1237 »[3].

4 - « ... اخونا ومحبنا وصديقنا السيد محمود باشا محروسة بلاد تونس..... . وكتب عن اذن المعظم الارفع الهمام الانفع. مولانا الدولاتلي السيد حسين باشا محروسة بلاد الجزاير امنها الله من سّوء الدواير. واعطاه من الخيرات والمسرات ما يشا. آمين. آمين. آمين ∴ يا مجيب السّايلين ∴ تاريخ اواخر شهر رمضان الذي انزل فيه القران ∴ هُدى للنّاس وبينات من الهدى والفرقان سنة 1238 »[4].

5 - «المقام الذي له المكارم الراضية. والجلالة الراقية. والمكانة العالية. والاعمال الصالحات الباقية. مقام المعظم الاجل. الزكي الأفضل. الخير الاشمل. المرعي المبجّل. الاحضى الارضى. الخلاصة المرتطى. الامجد الانجد. الوجيه الاسعد. أخينا ومحبنا وصديقنا. واعز ما لدينا. السيد حسين باشا بلاد تونس المحمية..... . وكتب عن اذن المعظم الارفع الهمام الانفع.

---

(1) - الرسالة 93، العلبة 223، الملف 384 (حسب أرشيف تونس)، أواسط رجب سنة 1171هـ يوافق مارس 1758م.

(2) - الرسالة 99، العلبة 223، الملف 384 (حسب أرشيف تونس)، اوايل صفر الخير 1234هـ يوافق نوفمبر 1818م.

(3) - الرسالة 101، العلبة 223، الملف 384 (حسب أرشيف تونس)، أواخر شعبان سنة 1237هـ يوافق فريل 1822م.

(4) - الرسالة 81، العلبة 223، الملف 384 (حسب أرشيف تونس)، 1238هـ يوافق 1822 أو 1823م

مولانا الدولاتلي السيّد حسين باشا محروسة الجزاير. امنه الله من سوء الدواير. واعطاه من الخيرات والمسرّات ما يحب ويشا. امين بتاريخ غرة شهر ذي الحجة الحرام الذي هو. من عام 1239 »[1].

- **النموذج الثـــالث** : هذه اجزاء من بعض الرسائل الموجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1642، وهي 30 رسالة باللغة العربية اغلبها من محمد باي واحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا بين عامي (1232-1245هـــ)، (1816-1830م).

1 - « حضرة المعظم الارفع الهمام الانفع الصدر الشهير الامنع الافضل الاكمل الاجمل الابجل الاحضى الارضى الازكى الاكرم الافخم الامجد الاسعد الارشد مولانا وسيدنا عمر باشا الدولاتلي اعزه الله وايده وحفظه ونصره ... والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل قدمكم وخادم دولتكم محمد جافر باي وفقه الله بمنه. وذلك اواخر 25 جمادي الثانية سنة 1232»[2].

2 - « إلى حضرة المعظم الاسعد الامجد الأكرم الافخم الاحضى الارضى الافضل الاكمل الاوحد الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي اعزه الله وايده ونصره بمنه امين..... والسلام من الفقير لربه سبحانه عبده محمد باي وفقه الله في رمضان 5 ... »[3].

3 - « المقام الذي نطلب من الله ان يحيط جنابه وأن يقوي بالصالحات اسبابه مقام الهمام الاحضى المعظّم الاكمل الارضى الاسعد الامجد الصدر والملاد الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي اعزه الله ونصره وايده ورعاه واكرمه امين ... من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الكريمة يدكم احمد باي وفقه الله بمنه اواخر 22 ذي القعدة سنة 1245 »[4].

4 - « مقام المعظم الارفع الصدر الهمام الانفع المنصور بالله تعالى الموبد بنوره سبحانه السلطان المعظم الملاد الافخم الاكرم ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولاتلي اعطاه الله من خير الدنيا والاخرة ما يحب ويشا امين السلام التام والرضوان المبارك العام على حضرتك الزكية

---

(1) - الرسالة 106، العلبة 223، الملف 384 (حسب أرشيف تونس)، ذي الحجة 1239هـــ يوافق جويلية 1824م.

(2) - الرسالة 6، المجموعة 1642، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر. 25 جمادى 1232هـــ يوافق أفريل 1817م.

(3) - " 10، " " " .

(4) - " 3، " " " . 22 ذي القعدة 1245 هـــ يوافق أفريل 1830م.

وطلعتك المبجلة المرضية ... من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادمكم الحاج احمد باي وفقه الله بمنه يوم 13 الاحد ذي الحجة سنة 1243 »[1].

5 - « المقام الذي حبته السعادة وحوى الحسنى وزيادة واطال الله تعالى في العز والهناء ايامه واناله من سعادة الدارين ما تمناه واراده المعظم الاسمى الكهف الملاذ الاحمد المحفوظ برعاية القادر على ما يشا مولانا وولي نعمتنا الدولاتلي سيدنا حسين باشا السلام الاتم والرضوان الشامل الاعم محل حضرتكم العلية ... والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الكريمة قدمكم خادم دولتكم الحاج احمد باي وفقه الله بمنه في 23 صفر الخير سنة 1243 »[2].

لقد اخترنا هذه الرسائل الخمس من المجموعة (1642)، حيث أن كل الرسائل المتبقية يخاطب الداي فيها بالطريقة نفسها تقريبا، مع امتلائها بالدعاء، وتكرار الفاظ معينة لمخاطبة الداي نذكر منها : (جنابك، ذاتك، سيادتكم العلية، حضرتكم العلية، سيدنا، جنابكم الاعز الافخم الاكرم، حضرتكم العظيمة العلية الفخيمة، أمير المؤمنين، سيدي، مقامكم العظيم ...).

- **النموذج الـــرابع** : أما عن كيفية مخاطبة الدايات من طرف الباب العالي فقد اعتمدنا على كتاب الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية لعزيز سامح إلتر، هذا الأخير الذي أورد مجموعة من الفرمانات.

1 - فرمان مرسل إلى الداي شعبان، أوائل جمادى الآخرة 1101هـــ / مارس 1690م : « أمر إلى داي دار الجهاد بجزائر الغرب الداي شعبان وإلى أغا الانكشارية ومساعده الحاج محمد وإلى رؤساء المشاة والأقسام والشيوخ والأونباشية وإلى جميع الموحدين زيد قدرهم... نحن نعلم أنكم مجاهدون وتبذلون أرواحكم في سبيل الإسلام، إن صلاحيات الأوجاقات ومسؤولياته وما يتعلق بها نسمح لكم بها ونضعها تحت تصرّف الداي الحامي وولايتنا المرقومة تكون بالجملة تحت طوعكم،... »[3].

مع العلم أن الفرمانات الواردة إلى الباشا تذكره تحت لقب أمير الأمراء.

2 - فرمان مرسل إلى محمد بكطاش في صفر 1121هـــ/افريل 1709م، هنأ فيه الباب العالي الداي بمناسبة فتح وهران، ابتدأه كما يلي : « إلى داي جزائر الغرب الداي محمد بكطاش دام

---

(1) - الرسالة 7، المجموعة 1642. 13 ذي الحجة 1243هـــ يوافق جوان 1828م.

(2) - " 14. " " ". 23 صفر 1243هـــ يوافق أوت 1827م.

(3) - ينظـــر : المرجع السابق، ص. 431، 432. (هامش رقم 2).

إقباله، ...» [1].

3 - فرمان للداي عبدي، أواخر رمضان 1138هـ / ماي 1726م : « إلى أمير أمراء جزائر الغرب ودايها ومفتيها وقاضيها...» [2].

4 - فرمان إلى الداي إبراهيم، أواسط ربيع الآخر 1155 هـ/ جوان 1742م : « إلى أمير أمراء الجزائر ودايها وقاضيها وإلى كافة عناصر الأوجاق المذكورين والمعينين ... زاد قدرهم حكم : .... » [3].

5 - أورد سامح إلتر فرمانين مرسلين إلى الداي محمد بن عثمان خوجة (1766-1791م) : « إلى أمير أمراء الجزائر وقاضيها و .... » [4]. و « من عالي المقام وكريم الكرام إلى أمير أمراء الجزائر محمد دام إقباله حكم : .... » [5].

6 - أورد فرمانين مرسلين إلى الداي حسن (1791-1798م) : « إلى والي جزائر الغرب الوزير حسن باشاحكم : ... » [6]. و « إلى والي جزائر الغرب وزيرنا حسن باشا وإلى قاضي الجزائر حكم : .... » [7].

ويقول سامح إلتر أنّه عند فتور العلاقة بين الباب العالي والداي حسن، لم تعد الفرمانات ترسل إلى الداي تحت لقب الوزير بل تكتب إلى داي الجزائر[8]، لكنه وفي أوائل ذي القعدة 1208هـ/ ماي 1794م رجع الباب العالي إلى إرسال فرمانه بصيغة « إلى والي الجزائر الوزير حسن باشا »، بسبب زوال الخلافات [9].

7 - أورد سامح إلتر ثلاث فرمانات أرسلت للداي مصطفى، الأوّل في أواخر صفر 1213هـ / جويلية 1798م : « إلى جلالة والي جزائر الغرب. حكم : .... » [10]، الثـاني في أوائل

---

(1) - ينظر : المرجع السابق، ص. 460. (هامش 2).

(2) - المرجع نفسه، ص. 475.

(3) - " " ، ص. 491.

(4) - " " ، ص. 548.

(5) - " " ، ص. 549.

(6) - " " ، ص. 554.

(7) - أرسل أواخر رجب سنة 1206هـ/فيفري 1792م، ينظر : المرجع نفسه، ص. 556.

(8) - كان ذلك في بداية سنة 1208هـ، ينظر : المرجع نفسه، ص. 564.

(9) - المرجع نفسه، ص. 566.

(10) - ينظر : المرجع نفسه، ص. 573.

صفر 1215هـ/ جوان 1800م : « إلى أمير أمراء جزائر الغرب دام إقباله.حكم .... » [1].

الثـــالث في أوائل جمادى الآخرة 1217هـــ / سبتمبر 1802م : « إلى أمير أمراء جزائر الغرب مصطفى دام إقباله.حكم .... » [2].

8 - وهذا فرمان أرسل لتعيين الداي عمر، أوائل رمضان سنة 1230هـــ /أوت 1815م جاء فيه : « إلى آغا العرب في جزائر الغرب، بعدما رُفع إلى مرتبة أمير الأمـــراء عمـــر دام إقبالـــه. حكم ....كما نوجه إليك إمرة الأمراء في جزائر الغرب، .... » [3].

9 - وفي عهد الداي علي أرسل فرمان أواسط ربيع الأوّل 1232هـــ/جانفي 1817م جاء في بدايته : « إلى أمير أمراء الجزائر، حكم : .... » [4].

10 - ونختم بفرمان أرسله الباب العالي، لتعيين آخر داي، هو الداي حسين، جاء فيه : « حكم من ذوي المراتب العالية رفيع الشأن، مرفوعًا إلى صاحب المقام والطرف المعتبر أمير أمراء الجزائر حسين دام إقباله.... ونتمنى لك التوفيق بالتفرغ لإمرة أمراء الجزائر، وجميع المهام ومعالجتها.... » [5].

- **النموذج الخـــامس** : إنّ الرسائل والمعاهدات المترجمة والمنشورة كثيرة، فمنها حتّى المترجم إلى اللغة العربية، لكننا فضلنا عرض توقيعات الدايات على الرسائل التي جمعها أوجين بلانشي في كتابه :

1 - استمرت المراسلات بين الداي محمد والجانب الفرنسي بين13 جوان 1673م و 21 ديسمبر 1675م. كان يختم رسائله بـــ : (حاجي محمد داي الجزائر) [6].

2 - استمرت المراسلات بين الداي حسين والجانب الفرنسي بين 18 أفريل 1684 وجانفي 1686م. كان يختم رسائله بـــ : (حاجي حسين داي الجزائر) [7].

---

(1) - المرجع السابق، ص. 578.

(2) - المرجع نفسه، ص. 579.

(3) - " " ، ص. 602، 603.

(4) - " " ، ص. 613 (هامش 2).

(5) - " " ، ص. 617.

(6) - الرسالة مؤرخة بـــ 13 أكتوبر 1673، ينظر : Op. Cit. , t.1, p.71.

(7) - أرسلت يوم 18 أفريل 1684م، ينظر : Ibid., p.87.-

3 - استمرت المراسلات بين الداي إبراهيم والجانب الفرنسي بين 24 جويلية 1686 و 27 ماي 1688م. كان يختم رسائله بـــ : (إبراهيم خوجة داي الجزائر) [1].

4 - استمرت المراسلات بين الداي شعبان والجانب الفرنسي بين 13 أكتوبر 1689 و20 جويلية 1695م. كان يختم رسائله بـــ : (شعبان داي الجزائر) [2]، (شعبان داي مدينة ومملكة الجزائر) [3]، (شعبان داي مدينة ومملكة جزائر إفريقيا) [4].

5 - استمرت المراسلات بين الداي أحمد والجانب الفرنسي بين 18 أوت 1695م و 2 أفريل 1698م. كان يختم رسائله بـــ : (حاجي أحمد، داي مدينة ومملكة جزائر إفريقيا)[5]، (حاجي أحمد داي مدينة محروسة جزائر إفريقيا) [6]،(حاجي أحمد داي مدينة ومملكة جزائر بربارية) [7]، (حاجي أحمد داي مدينة جزائر إفريقيا القوية) [8]، (حاجي أحمد، داي مدينة ومملكة الجزائر، مسرح الحرب) [9].

6 - استمرت المراسلات بين الداي حسن والجانب الفرنسي بين 23 جويلية 1698م و 24 فيفري 1700م. كان يوقع : (الفقير بابا حسن داي مدينة ومملكة الجزائر المنيعة بإفريقيا) [10]، (الفقير بابا حسن داي مدينة ومملكة الجزائر القوية بإفريقيا)، [11] (بابا حسن داي مدينة وجهورية الجزائر) [12]، (حسن داي جزائر إفريقيا) [13].

7 - استمرت المراسلات بين الداي مصطفى والجانب الفرنسي بين 11 أوت 1700 و 17 أكتوبر 1705م. كان يختم رسائله : (الفقير مصطفى، داي مدينة ومملكة جزائر إفريقيا) [14].

8 - استمرت المراسلات بين الداي حسين والجانب الفرنسي من 18 نوفمبر 1705 ـ7 جانفي 1707م. كان يختم رسائله بـــ : (حسين داي مدينة ومملكة جزائر إفريقيا) [15].

---

(1) - أرسلت يوم 24 جويلية 1686م، ينظر : Op. Cit, t.1, p.120.

(2) - Ibid, p.175.
(3) - Ibid, p.370.
(4) - Ibid, p.382.
(5) - Ibid, p.493.
(6) - Ibid, p.507.
(7) - Ibid, p.533.
(8) - Ibid, p.536.
(9) - Ibid, p.544.
(10) - Ibid, p.548.
(11) - Ibid, p 550.
(12) - Ibid, p.555.
(13) - Ibid, t.2, p.3.
(14) - Ibid, p 24.
(15) - Ibid, p.38.

9 - استمرت المراسلات بين الداي علي والجانب الفرنسي بين 1710 و 19 جانفي 1718م. كان يختم رسائله بـــ : (علي داي مدينة جزائر إفريقيا) [1]، (علي داي مدينة ومملكة الجزائر) [2]، (علي داي وحاكم جزائر إفريقيا) [3].

10 - استمرت المراسلات بين الداي محمد والجانب الفرنسي بين 4 جويلية 1718 و 25 فيفري 1723م. كان يختم رسائله بـــ : (محمد داي مدينة ومملكة الجزائر) [4]، (محمد داي مدينة جزائر إفريقيا المحروسة) [5].

11 - استمرت المراسلات بين الداي عبدي والجانب الفرنسي بين ماي 1724 و 15 ماي 1732م. كان يختم رسائله بـــ : (عبدي داي جزائر باربارية المحروسة) [6]، (عبدي، باشا وداي جزائر باربارية المحروسة) [7]، (عبدي، نائب الملك وباشا مدينة جزائر إفريقا) [8]، (عبدي داي الجزائر المحروسة) [9].

12 - استمرت المراسلات بين الداي إبراهيم والجانب الفرنسي بين 21 جانفي 1733و7 مارس 1745م. كان يختم رسائله بـــ : (إبراهيم داي جزائر بربارية) [10]، (إبراهيم داي وسيد جزائر بربارية) [11]، (إبراهيم داي وحاكم الجزائر) [12]، (إبراهيم داي الجزائر المحروسة) [13].

13 - استمرت المراسلات بين الداي محمد والجانب الفرنسي من 4 نوفمبر 1748م وإلى 25 أكتوبر 1754م. وكان يختم رسائله بـــ : (محمد داي جزائر إفريقيا) [14]، (محمد داي وحاكم جزائر بربارية) [15]، (محمد باشا وداي مملكة وميليشيا الجزائر) [16]، (محمد داي وحاكم جزائر الغرب) [17].

---

(1) - Op. Cit., t. 2. p.63.
(2) - Ibid, p.66.
(3) - Ibid, p.84.
(4) - Ibid, p.100.
(5) - Ibid, p.104.
(6) - Ibid, p.120.
(7) - Ibid, p.127.
(8) - Ibid, p.132.
(9) - Ibid, p.133.
(10) - Ibid, p.170.
(11) - Ibid, p.176.
(12) - Ibid, p.180.
(13) - Ibid, p.196.
(14) - Ibid, p.204.
(15) - Ibid, p.208.
(16) - Ibid, p.217.
(17) - Ibid, p.219.

14 - استمرت المراسلات بين الداي علي والجانب الفرنسي بين 28 أفريل 1755 و 4 جوان 1764م. وكان يختم رسائله بـــ : (الفقير علي داي وحاكم الجزائر) [1].

15 - استمرت المراسلات بين الداي محمد بن عثمان والجانب الفرنسي بين 8 أفريل 1766م، و21 جانفي 1791م. وكان يختم رسائله بـــ : (محمد، داي وحاكم الجزائر) [2]، (محمد داي الجزائر المحروسة) [3]، (محمد داي وحاكم جزائر إفريقيا) [4].

16 - استمرت المراسلات بين الداي حسن والجانب الفرنسي بين 15 جويلية 1791م وديسمبر 1797م. كان يختم رسائله بـــ : (حسن داي وحاكم الجزائر المحروسة) [5].

17 - استمرت المراسلات بين الداي مصطفى والجانب الفرنسي بين جوان 1798 و 12 أوت 1802م. كان يختم رسائله بـــ : (مصطفى أمير وحاكم الجزائر) [6]، (مصطفى داي الجزائر) [7]، (مصطفى داي وباشا الجزائر) [8]، (مصطفى داي وحاكم الجزائر) [9].

18 - استمرت المراسلات بين الداي أحمد والجانب الفرنسي بين 4 أفريل 1806م و 23 سبتمبر 1806م. كان يختم رسائله بـــ : (أحمد باشا وداي الجزائر) [10].

19 - استمرت المراسلات بين الداي علي والجانب الفرنسي بين 20 ماي 1814م و 27 جانفي 1815م. كان يختم رسائله بـــ : (علي داي وحاكم الجزائر) [11].

20 - استمرت المراسلات بين الداي عمر والجانب الفرنسي بين 29 أفريل 1815 و 2 مارس 1816م. كان يختم رسائله بـــ : (عمر حاكم الجزائر المحروسة) [12].

21 - استمرت المراسلات بين الداي حسين آخر داي والجانب الفرنسي من 5 سبتمبر 1819م وإلى ما بعد سقوط الجزائر. كان يختم رسائله بـــ : (التقي حسين داي وحاكم الجزائر) [13]، (نائب ملك جزائر بربارية) [14].

---

(1) - Op. Cit., t.2, p.224.
(2) - Ibid, p.296.
(3) - Ibid, p.297.
(4) - Ibid, p.355.
(5) - Ibid, p.406.
(6) - Ibid, p.478.
(7) - Ibid, p.482.
(8) - Ibid, p.495.
(9) - Ibid, p.498.
(10) - Ibid, p.507.
(11) - Ibid, p.519.
(12) - Ibid, p.534.
(13) - Ibid, p.548.
(14) - Ibid, p.567.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد اكتفينا بترجمة التوقيع، مع العلم أنّ الرسائل وخاصة بداياتها تحتوي على صيغ أخرى يذكر بها الداي نفسه. أما الفرنسيون فكانوا في أغلب الأحيان يخاطبون الداي بالعبارة التالية (الأشهر السيد العظيم) (Très illustre et magnifique seigneur)، بالإضافة إلى استعمال عبارة (الصديق).

- **النموذج السادس** : تعدّ الكتابات الأثرية، إحدى المصادر الهامّة، التي يمكن أن نستقي منها الألقاب التي أطلقت على الدايات، وتعتبر بعض الأسماء الفرنسية، هي الرائدة في البحث في هذا الميدان، في العهد الاستعماري، نذكر منها دوفو (Albert devoulx)[1]، الذي نشر عدة أبحاث، وقابريال كولين سابق الذكر، حيث توجد تصحيحات هامّة في كتابه لما جاء في أبحاث دوفو، كذلك قدّم (Max Van Berchem) بالاعتماد على أبحاث دوفو وكولين دراسة تحت عنوان : " L'épigraphie musulmane en Algérie, étude sur le corpus" ومما جاء فيها أنّه لاحظ ضعف أهمية الكتابات الأثرية في الجزائر[2]، لكنه في المقابل استعرض بعض ما تمدنا به هذه الكتابات من معلومات، فالكتابات الأثرية للمنشآت العسكرية تدل حسبه على التنظيم الذي تميز به الدايات وكذلك الإنكشارية، واعتزازهم بالانتساب إلى هذا السلك[3]. كما تظهر تدخل الإنكشارية في الأمور الإدارية[4]، وكذا طبيعة العلاقة بالباب العالي[5].

أما فيما يخص الألقاب فأعتبر أنّه لا توجد قواعد معينة لإطلاق الألقاب الشرفية عند "الأتراك"، إلا ما تعلّق بأسماء الوظائف، فالألقاب لا تدل على حقيقة سياسية، ما عدا العسكرية منها فهي تخضع لبروتوكول محدّد[6]. إلا أنّها لا تخلو من فوائد كمعرفة الفترة التي اختفى فيها الباشا وظهر الداي[7]، كما أنّ الألقاب تعطينا فكرة عن الجدول السياسي للنظام ككل[8]. وبغض النظر عما جاء في هذا المقال فقد استفدنا من هذه الكتابات الأثرية في بحثنا خاصة فيما يتعلّق بالتأكّد من أسماء بعض الدايات وأصولهم.

إنّ المتتبع للقب الداي في مختلف المصادر (الرسائل، المعاهدات، الأختام، الكتابات الأثرية،

(1) - "Epigrahie indigène", In. R.A., N. 16, An 1872 et N. 17, An. 1873.
"Edifices religieux d'Alger", In. R. A., N. 12, An. 1868, et N. 13, An 1869 et N. 14, An. 1870.
(2) - In. R. A. , N. 49, An. 1905, p. 164.
(3) - Ibid., p. 163, 164.
(4) - Ibid, p. 164.
(5) - Ibid, p. 165, 178.
(6) - Ibid, p. 167, 170.
(7) - Ibid, p. 165 .
(8) - Ibid, p. 166.

الكتابات الأوروبية والمحلية)، يلاحظ أنّه قد حفّت به العديد من الألقاب، وإن كان الكثير منها من باب الإطناب[1]. ومع هذا فهناك ألقاب نجدها دائمة الحضور :

- على رأس هذه الألقاب لقب الباشا، الذي رافق جميع ولاة الجزائر في العهد العثماني بما فيهم الدايات.
- ألقاب تدل على الوظيفة، منها أمير الأمراء[2]، والي، حاكم، متصرّف.
- ألقاب فخرية مثل الدولاتلي، خوجة[3]، أفندي[4].
- ألقاب تدل على الوظائف التي مارسها هؤلاء الدايات قبل توليهم، واحتفظوا بها –سواء كانت مناصب هامة أو متواضعة- منها خزناجي، أغا، خوجة، شاوش، غسّال،....
- ألقاب تدل على صفات معنوية أو جسدية مثل بوصبع، الصغير، دالي، بكداش.....
- ألقاب تطلق من باب الإطناب، لا تمت للواقع بأي صلة، منها السلطان، الملك، أمير المؤمنين، الخليفة، الأمير.
- ألقاب أخرى نجدها دائمة الالتصاق بأسماء الدايات مثل حاجي، بابا، سي، سِيدِي.

وفي الأخير نشير، إلى انّه عند قيامنا بجمع المادة الخبرية لهذا العنصر، مع شعورنا بأهميته، تكدّست لدينا كمية هائلة من المصادر، جزء منها أصلي والجزء الآخر مترجم، وعند بدأ التحرير انتبهنا لهذه النقاط.

---

(1) – وبهذا الصدد يقول هاملتون جيب : « لكن ورود مثل هذا الكلام الطنان والنعوت الضخمة، كان أمرًا معهودًا في آثار ذلك الزمان ولكنه لا يعني حقيقة تاريخية، ولا يثبت نظرية فقهية ». ينظر : المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة : عبد المجيد القيسي، القسم الأوّل (I/I)، ط.1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 1997م،ص. 74. (هامش 27).

(2) – لقب وظيفي: عرف في العصر العباسي، وكان آنذاك لقبًا فخريًا تحول إلى لقب وظيفي ثم فقد أهميته كاسم وظيفة وصار مجرّد لقب فخري. والمرادف الفارسي لهذا اللقب لقب "ميرميران" والمرادف التركي بكلربكي والكاف الأولى تنطق ياء وفي العصر العثماني استعملت الألقاب الثلاث : أمير الأمراء – ميرميران – بكلربكي كمترادفات. ينظر : مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، د.ط، دار غريب، القاهرة، 2000، ص. 65.

(3) – أو خواجة بالفارسية، كان يطلق في الجزائر على الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة ويختارون من بين جنود الأوجاق ليعين من بينهم الباشا ومساعدوه كتابهم وأمناءهم. وكان الخواجات في الجزائر يكونون فئة مستقلة وسط الأوجاق على شكل إتحاد برئاسة "باش خواجة" الذي كان يتولى إختيارهم وتعيينهم في وظائفهم. ينظر : دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، مج. 9، مادة خوجة، ص. 28 وخليفة حمّاش، مرجع سابق، ص.68.

(4) – لقب فخري، قيل أنّ أصله الكلمة اليونانية العامية أفنديس Efendis المأخوذة من الكلمة القديمة Aventuns، دخلت في اللّغة التركية الأناضولية و ستعملها الترك في القرن الثالث عشر الميلادي. وتعني الصاحب والمالك والسيد والمسؤول، وقد شاع لقب أفندي في البلاد التي خضعت للنفوذ العثماني. ينظر : مصطفى بركات، المرجع السابق، ص. 152.

1. يحتاج موضوع الألقاب دراسة خاصة به، وليس مجرّد عنصر في بحث.
2. نعتقد أن النصوص المترجمة، قد فقدت الكثير من مصداقيتها بهذا الشأن (الألقاب)، خاصة وأنّ أغلبها لا ترفق بالنصوص الأصلية وإن أرفقت فهي غير واضحة.
3. رغم الكم الهائل للمصادر المتوفرة، إلاّ أن بحثًا دقيقًا حول هذا الموضوع يحتاج للإلمام بمصادر أكثر، ودراسة خاصة، للتمييز بين الألقاب الوظيفية والفخرية، الألقاب الرسمية والغير رسمية، والتعرّف على البروتوكول المتبع لهؤلاء الحكام فيما يخص الألقاب، خاصة وأن شبكة علاقاتهم متشعبة ؛ بينهم وبين الباب العالي الذي يمدّهم بشرعية هذه الألقاب، بينهم وبين البلدان المجاورة والأوروبية التي لدى كل واحد منها بروتوكولها الخاص في التخاطب، وبينهم وبين موظفيهم في الداخل والخارج.

لكن ما هي الرتبة التي تمتع بها الدايات في ظل الحكم العثماني ؟ عمل سلاطين آل عثمان على التمييز بين درجات ولاتهم على الأقاليم، بمنحهم شارات تدل على مقام ورتبة كل منهم، هذه الشارات أخذوها عن أسلافهم السلاجقة وطوروها، فبعد أن كانت عبارة عن بيارق (أعلام)، أصبحت تعرف بالطاغ أو الطوغ[1].

وكان عدد الطاغات التي يحملها الحاكم تختلف بالنسبة إلى مركز صاحبها، فأمير السنجق يحمل طاغة واحدة، ويحمل الحاكم العام أو البيكلربيكي طاغتين اثنتين، ويحمل الوزراء ثلاث طاغات، أما رئيس الوزراء أو الصدر الأعظم فيحمل خمس طاغات، في حين يحمل السلطان حين يستعرض جيشه في الحروب تسع طاغات[2].

فما عدد الطاغات التي حملها دايات الجزائر ؟

---

(1) - هاملتون جيب، المرجع السابق، ص. 181، 184.

- وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية المجلد السادس بأن "توغ" كلمة تركية معناها ذنب القطاس، وهي بقرة وحشية في بلاد التبت كان الترك يعلقون أذنابها في أعلامهم، وقد استبدل فيما بعد بذنب جواد معقول إلى عمود، وقد يعلوه هلال. وهو يستعمل راية أو شارة لفرق الجند. وكان يستعمل كذلك شارة تدل على الرتب العسكرية في الدولة العثمانية، ينظر : المرجع السابق، ص. 15. أما هاملتون جيب فذكر بأنّ (الطاغ) معناها ذيل الحصان الذي كان يتدلى من سارية خشبية تتوجها كرة ذهبية. وكان هذا شعارًا تركيا قديما لعله من أصل وثني مغولي، والواقع أنّ الشعر المستعمل في الشعار لم يكن شعر ذيل الحصان، وإنّما شعر ذيل نوع من الثيران المغولية النادرة ذات الشعر الكثيف تعرف باسم ياك (yak). ينظر : المرجع السابق،ص. 184.

(2) - المرجع نفسه، ص. 184.

أولا يجب أن نعرف أنّ الوزير والبيكلربيكي هما الشخصان الوحيدان المؤهلان لحمل لقب باشا[1]،وبما أنّ المؤكّد أنّ الداي قد تمتع بلقب باشا إبتداءً من سنة 1711م، فإنّه لم يخرج عن هاتين المرتبتين.

وبرجوعنا إلى الوراء نجد أن خير الدين بربروسا، المؤسس الحقيقي لإيالة الجزائر، عُيِّن أوّل الأمر "بكلربكي"[2]، وحتى عندما عُيِّن بعد ذلك قبطان باشا بقي يحمل رتبة "بكلربكي" مع طاغتين، ولم يحمل رتبة "وزير" بثلاث طاغات، إلا بعد أن أصبح عضوا في الديوان الإمبراطوري، وبهذا أصبح القباطنة بعده يحملون رتبة وزير بثلاث طاغات[3].

أما فيما يخص الدايات فإنّنا نجد الكتّاب قد اختلفوا بشأن الرتبة التي حملوها، ففي حين نجد فاليار (J.A.Valliere)، يذكر أنّ الداي يحمل رتبة باشا ذو طوغين[4]، ويذهب هذا المنحى نفسه بارادي[5]،نجد أن شالر[6]، وسبنسر[7] يذكران أنّ الدايات تمتعوا برتبة باشا ذي ثلاثة أطواغ.

هذا الاختلاف بين الكُتّاب يمكن أن تفصل فيه الوثائق، فمختلف الوثائق التي اطلعنا عليها وخاصة الفرمانات التي أوردها سامح إلتر، تبيّن أنّ الوظيفة التي شغلها الدايات هي "أمير الأمراء" أو "بيكلربيكي"، وحسب ما قلناه سابقا، فهذا المنصب أو الرتبة يحمل صاحبها طوغين فقط، أمّا عن سبب الاختلاف المسجّل بين طوغين أو ثلاثة أطواغ فيرجع ربما لكون بعض الدايات تمتعوا بلقب الوزارة الذي يحمل ثلاثة أطواغ.

وخير مثال على ذلك الداي حسن (1791-1798م) الذي كان يخاطب من طرف الباب

---

(1) - هالمتون جيب، المرجع السابق، ص. 184.

(2) - المرجع نفسه، ص. 142.

(3) - المرجع نفسه، ص.151.

(4) - Lucien Chaillou, Textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII[e] siècle, Toulon,?, p.21

- يستعمل الفرنسيون في الأغلب لفظة (queue) أي ذيل بدل طوغ.

(5) - ربط بارادي عدد الأطواغ بالموسيقى التي يستعملها الدايات، حيث أنّ الموسيقى تعتبر إحدى الشارات التي تدل على رتبة الولاة العثمانيين، فكل واحد منهم لديه عددًا معينًا من الآلات الموسيقية تتناسب مع رتبته. ينظر :
- Op. Cit., N. 40, p. 262.

(6) - المصدر السابق، ص. 68.

(7) - الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم : عبد القادر زبادية، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص. 75.

العالي بـــ "الوزير"[1] ، كما نجد اقتران اسمه بهذا اللقب في الكتابات الأثرية[2]، وكذا في إحدى رسائله إلى ملك إسبانيا كارلوس الرابع حيث بدأ رسالته : « أنا حسن باشا المشير المفخم والوزير المكرم لسلطان السلاطين وبرهان الخواقين وظل الله في الأرض السلطان ابن السلطان سليم خان من سلاطين آل عثمان أدام الله عزهم، ووالي أوجاق جزائر الغرب من ولايات إفريقيا... »[3]، لكن لقب الوزارة هذا كان يحصل عليه ولاة الجزائر في حالات خاصة، فالداي حسن سابق الذكر حصل عليه على اثر فتح مدينة وهران، حيث جاء في سجل التشريفات ضمن حوادث سنة 1207هـــ/1793م أنّه وبعد فتح وهران وإرسال مفاتيح المدينة إلى السلطان العثماني، أنعم هذا الأخير على باشا الجزائر بطوغ جديد مما رفع عدد أطواغه إلى ثلاثة[4]. وإلى هذا الأمر أشار صاحب كتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"[5].

وبعد موت الداي حسن خلفه الداي مصطفى (1798-1805م)، الذي أشار إلى نفسه في أوّل رسالة له إلى الجانب الفرنسي، يخبره فيها بموت سلفه وقريبه الداي حسن وتوليه مكانه، بعبارة (الوزير، باشا ذو ثلاثة أطواغ)[6]، لكن خليفة حمّاش علّق على ذلك، بأن الباب العالي لم يعترف بوراثة مصطفى لهذا اللقب، ممّا جعله غير شرعي وبالتالي تخلى عنه[7]. لكننا وإن لاحظنا غياب هذا اللقب في المراسلات التي أمكننا الإطلاع عليها في عهد هذا الداي سواء المرسلة إليه من طرف الباب العالي أو التي أرسلها هو، إلا أنّنا نجد في سنة 1217هـــ في إحدى الكتابات الأثرية قد جاء اسمه مقترنًا بلقب وزير[8]، وفي سنة 1219هـــ بلقب صدر[9] الذي يعني وزير، لكن يبدو أنّ هذا لم يكن يعني أي حقيقة تاريخية.

وأخيرا، رغم ما دوّن عن العلاقة بين الإيالة والباب العالي، فإنّه لا يمكننا أن ننكر أنّ ألقاب

---

(1) - ســـامح إلتر، المرجع السابق، ص. 554، 556.

(2) - Gabriel Colin, Op. Cit., p. 171.

(3) - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 211، الرسالة أرسلت في 26 شوال 1212هـــ / 13 أفريل 1798م.

(4) - A.Devoulx, Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p.13.

(5) - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، تحقيق وتقديم : المهدي البوعبدلي، د.ط، مطبعـــة البعـــث، قســـنطينة، 1973م، ص. 454، 455.

(6) - Eugène Plantet, Op. Cit., t.2, p.476.

(7) - المرجع السابق، ص. 52.

(8) - Gabriel Colin, Op. Cit., p. 181 — 1217هـــ يوافق 1802 أو 1803م.

(9) - Ibid, p.183. — 1219 يوافق 1804 أو 1805م.

ورتب الدايات تستمد شرعيتها من الباب العالي، واطلاعنا على الفرمانات التي نشرها سامح إلتر تبيّن أنّ الدايات شغلوا منصب "أمير الأمراء" برتبة باشا ذي طوغين، ولكن مناسبة سعيدة، مثل الانتصار في معركة مهمة، أو استعادة أرض، يمكن أن تجعل الباب العالي يشرّف الداي بلقب وزير.

إذًا فقد جيء "بالداي" إلى الحياة السياسية المضطربة في إيالة الجزائر، لإنهاء حالة من عدم الاستقرار بلغت أوجّها سنة 1671م، وكذلك لضمان مرتبات الإنكشارية التي ظلت طيلة الحكم العثماني بالجزائر أحد أهم أسباب وقوع الاضطرابات، وعلى الأغلب فإنّ هذا السبب هو الذي جعل الاختيار يقع أول الأمر على أحد الرياس الأغنياء.

وقد استطاع هذا اللقب "داي" أن يكون عنوانا لفترة مهمة من تاريخ الجزائر، وربما يعود ذلك لسببين ؛ طول الفترة، وسقوط الإيالة وما زال على رأسها حاكم اشتهر في الأدبيات الأجنبية بلقب "داي"، رغم أنّه في الواقع لا يمثّل وظيفة إدارية ولا لقبًا رسميًا، ولم يكن له منذ سنة 1711م أي استخدام على الصعيد المحلي إلا في حدود ضيقه.

ومن خلال ملاحظتنا فإنّ (Max Van Berchem) كان محقًا إلى حد بعيد في اعتبار أنّ الألقاب في العهد العثماني (بالجزائر) لم تكن دائما تدل على حقائق سياسية، ويظهر ذلك جليًا من خلال إطلاق ألقاب غير واقعية على الداي، واشتراكه في بعض الألقاب مع موظفين آخرين.

وإذا كانت المصادر المحلية لم تلتزم دائما بقواعد معينة لمخاطبة الداي، فإنّه يمكننا أن نتعرّف على ألقابه الرسمية باستقصاء كيفية تقديم الداي لنفسه في الرسائل التي بعث بها إلى مختلف الجهات، أو الطريقة التي كان يخاطبه بها الباب العالي.

وفي الأخير ماذا عن الكتابات الأجنبية التي رسّخت لقب الداي، إلى أي مدى عبّرت كيفية مخاطبتهم للداي عن نظرتهم إليه أو الصورة التي يحملونها عنه ؟ مع الإشارة إلى أنّ الأوروبيين كانوا يولون لهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا، فقد عبّر الجانب الفرنسي عن انزعاجه من وضع الداي أحمد (1695-1697م) لختمه وتوقيعه في أعلى الرسالة التي أرسلها إلى لويس 14، ومخاطبته لهذا الأخير بلقب لا يليق بمقامه[1]. كما أنّ أزمة دبلوماسية وقعت سنة 1814م للسبب نفسه، أرسل على إثرها وزير خارجية فرنسا احتجاجًا إلى وكيل الحرج، جاء فيه : « فإنّه (لويس الثامن عشر)

(1) - E. plantet, Op. Cit., t. 1, p. 503 (Note 1)

لاحظ أنّ الرسالة التي وصلته من سعادة داي الجزائر ردا على الرسالة التي بعث له بها جلالة الإمبراطور والتي أخبره فيها بعودته إلى مملكته، لم تتم ديباجتها بالصيغة التي تستوجبها كرامة تاج فرنسا والتي كرستها العادة القديمة »[1]. وفي المقابل فقد كانت الأزمات بين الإيالة وفرنسا تؤثّر في بعض الأحيان على طريقة التخاطب، حيث خاطب بونابارت سنة 1802م الداي مصطفى مُجَرِدًا اسمه من أي لقب : « من بونابارت إلى مصطفى »[2].

(1) - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، د.ط، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص. 205.

(2) - F.Charles - Roux, France et Afrique du nord avant 1830, les précurseurs de la conquête (1830-1930, Collection du centenaire de l'Algérie, Archéologie et histoire, librairie Félix Alcan. Paris, 1930, p. 398.

الفصل الثاني : تراجم دايات الجزائر

سنحاول من خلال هذا الفصل جمع ما توفّر من معلومات حول الدايات ؛ تخصُّ ماضيهم الاجتماعي والثقافي والمهني، وطريقة توليهم ونهاية حكمهم في شكل سيّر جزئية ومختصرة، مركّزين بشكل أساسي على الصورة التي رسمت لهم في المصادر المختلفة (أجنبية ومحلية)، دون الغوص في الأحداث التي واكبت حكمهم أو الأعمال التي قاموا بها إلاّ ما جاء عرضًا. وهذا للتعرّف على الكيفية التي تناول بها الكتّاب هؤلاء الدايات في مؤلفاتهم.

I - فترة الحكم المزدوج : الدايات والباشاوات (1671– 1711م) : هي الفترة التي حكم فيها الداي إلى جانب الباشا، هذا الأخير كان وجوده شكليًا.

– الـــداي الحاج محمد[1] التريكي[2] (1671– 1682م) :

هو محمد بن محمود[3]، أول من سمي دولاتلي[4]. حسب المبعوث الفرنسي دنكور (Dancour) فقد ولد بالجزائر قبل نهاية القرن السادس عشر من "مرتد" [5]هولندي، وعمل قبل أن يصبح دايًا قبطانًا لمدة خمسين سنة[6]، حيث كان أحد رياس البحر المشهورين[7]. ذكر دارفيو (Chevalier d'Avrieux) أنّ الداي الحاج محمد التريكي كان في الثمانين من عمره ويتصف بشخصية قوية[8]. وحسب أغلب الدراسات والكتب فإنّ توليته كانت سنة 1671م/1082هـ[9].

---

(1) – ذكره ابن المفتي في مخطوطه تحت اسم (حسين قبطان التريكي، دولاتلي)، ينظر :
- G.Delphin, Op. Cit., p.205.

(2) – ذكر لقبه هذا بعدة ألفاظ منها التريك، تريك وتريكو. ومعناه حسب دوقرامون اللؤلؤة، أو الجـــوهرة (La perle)، ينظر : "Un académicien captif à Alger (1674- 1675)", In. R. A., N. 26, An. 1882, p. 314 (note 2).

(3) – هكذا ورد اسمه في الختم الخاص به.

(4) – عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص. 226.

(5) – يقصد بالمرتد (Renégat) : المسيحي الذي ارتدّ عن دينه وتحوّل إلى الإسلام.

(6) – أُرسل دنكور (مسؤول في البحرية الفرنسية) إلى الجزائر بين 1680 و 1681م، ينظر : - Lemnouar Merouche, Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane II. La course mythes et réalité, Op. Cit., p. 202.

(7) – M.Emerit, "Un mémoire sur Alger .....", Op. Cit., p.10

(8) – دارفيو مبعوث فرنسي أرسل إلى إيالة الجزائر بين 1674 و 1675م، ينظر : - Denise Brahimi, Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVII^ème et XVIII^ème siècles, S.N.E.D., Alger, 1978, p.72, 85.

(9) – هناك من يذكر تواريخ أخرى مثل 1670م، ينظر : - M.Emerit, Un mémoire sur Alger....., Op. cit. , p.10 ، و1083هـ ينظر : الآغا عودة المرزي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة : يحي بوعزيز، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص. 255.

قال جون ب. وولف عن توليه الحكم : « ... وهنا اقترح بعضهم أن يكون الحاج محمد، الذي هو رجل متقاعد وغني جدًا، والذي كان محل احترام الجميع باعتباره رجلاً نزيهًا، والذي من الممكن أن يوفر دراهم يدفع بها أجور الإنكشارية –هو الذي يجب أن يطلب منه تولي السلطة. وقد توجه الجمع الحاشد إلى محل إقامة الحاج محمد. و لم يكن هو يعرف، أو على الأقل ادعى أنّه لم يكن يعرف، ما إذا كانوا يهاجمون مترله أو كانوا قادمين لتكريمه. ولما عرضت عليه مهمة السلطة رفض في أوّل الأمر ثم أعاد النظر على أساس أنّ صلاحياته ستكون مطلقة. و لم يرغب هذا الرايس الحاج في حمل لقب الآغا. ولذلك أصبح "دايـــا"... »[1].

في الحقيقة هناك إشارات قوية في مختلف المصادر، تؤكّد أنّ الحاكم الفعلي للإيالة في عهد هذا الداي هو صهره بابا حسن، ولإيضاح أكثر لهذه المسألة نذكر هذه النقاط التي استقيناها من يوميات القنصل توماس هاس (Thomas Hees)[2] التي جرت أحداثها في فترة حكم أول الدايات : – لم يقم الداي بالبث في الأمر الذي جاء من أجله توماس هاس، بل انتظر قدوم بابا حسن[3]. – الكل نصح القنصل بتقديم هدايا لبابا حسن عند عودته إذا أراد قضاء حاجته، حتّى ابن الداي[4] طلب منه أن يعطي لصهر والده عند عودته من حملته أحصنة والكثير من الاحترام[5]. – عندما قابل توماس هاس بابا حسن، وأخبره أنّ الداي طلب منه إرجاء المسألة إلى حين عودة صهره، ردّ عليه بابا حسن بأنّ صهره أي الداي كان بإمكانه حل المسألة ؛ لأنّه ماهر في الأمور البحرية (الداي محمد)، بينما هو ماهر في الأمور البرية (بابا حسن)، ثم طلب منه وقتًا للتفكير في المسألة[6].

ونحن نتتبع سيرة هذا الداي في الجزائر، وجدنا تضاربًا في الآراء حول الكثير من الجزئيات

---

(1) – المرجع السابق، ص. 143.

(2) – توماس هاس : ولد بالقرب من أمستردام، سنة 1634، وهو طبيب، كلّف من طرف البلاد المنخفضة (هولندا) بالتفاوض مع إيالة الجزائر بخصوص معاهدة سلم وصداقة، حيث أقام في الجزائر من أكتوبر 1675 إلى ماي 1680، أما المعاهدة فقد وقعت في 29 أفريل 1679م. وقد توفي في سنة 1693 بأمستردام، ينظـــر : – T. Hees, " Journal d'un voyage à Alger (1675-1676)", traduit par G.H. Bousquet et d'autres. In. R.A., N. 101, An. 1957, p. 85

(3) – لقد ذهب بابا حسن في حملة إلى تلمسان، بقصد القضاء على تمرّد هناك، ينظـــر : – Ibid, p. 95

(4) – كان قبطان سفينة جميلة ومهمة، أســـر لـــدى المـــالطيين وأطلـــق ســـراحه في وقـــت قصـــير مقابـــل فديـــة. ينظر : – Ibid, p. 100

(5) - Ibid, p. 100.

(6) - Ibid, p. 110, 111.

(وهذا ما سنلاحظه مع أكثرية الدايات)، كانت آخرها قضية تخليه عن الحكم، حيث وجدنا رأيين أحدهما يذكر أنّه تخلى عن الحكم لصهره وفرّ إلى طرابلس الغرب بعد تأزم الأمور مع فرنسا[1]، بينما يرى آخر أنّه تخلى عن الحكم لكنّه لم يفر إلا بعد مقتل صهره الذي أصبح دايا بعده[2]، المهم أنّ المتفق عليه أنّ هذا الداي الهارب وبعد بقائه عدة سنوات في طرابلس الغرب أصيب بالشلل وأعيد إلى الجزائر، واستقر بمنزل كان يملكه إلى أن مات ودفن بالقرب من صهره المقتول[3]. إذًا فأول داي، ورغم شهرته كقبطان، وامتلاكه للمال، وقوة شخصيته لم يلعب دوره كحاكم حقيقي للإيالة، بسبب كِبَر سنه ونفوذ صهره. و لم يستطع إتمام مهمته للنهاية.

- الـــداي بـــابـــا حسن (1682– 1683م) :

ارتبط اسم هذا الداي باسم سابقه، لدرجة أنّ البعض أسقط اسمه من قائمة حكام الجزائر لهذه الفترة، حيث يذكر بالعبارة التالية : « ثم القبطان الحاج محمد التريكي داي وهو أوّل من سمي دولاتلي عام 1082هـ ومعه حسن » [4]. تراوحت سنة توليه بين 1681 و 1682م [5]. اعتبره دوقرامون من رياس البحر[6]، إلاّ أنّ هذا يبدو غير صحيح ؛ لأنّ ابن المفتي ذكره تحت اسم حسن شاوش[7]، وكذلك لأنّ هذا الداي وقبل اعتلائه الحكم وردا على قنصل هولندا قال له أنّ صهره (الداي السابق) يجيد الأمور البحرية، بينما هو يجيد الأمور البرية[8].

إنّ أوّل ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذا الداي هـــي الصـــورة الـــتي ســـجّلها دارفيـــو بخصوصه : « طويل، نحيف، أسمر وكئيب. ذو هيئة فظة، عنيف ومتكبّر.... شره للمال والشرف، صديق جيّد، هو الذي يتصرّف في كل شـــيء، وهـــو مـــن يجـــب اللجـــوء إليـــه في كـــل الأمور »[9]. وأضاف دوقرامون إلى هذه الصورة صفات أخرى قائلاً بأنّه أحد الرجال الأكثـــر سوءًا، والذي لم تعرف مثله الجزائر من قبل ؛ شكّاك، قـــاس، طمّـــاع، وعنيـــف، لا يحلـــم إلا

---

(1) - De Grammont, Histoire d'Alger ....., Op. Cit., p. 207.

(2) - G.Delphin, Op. Cit., p.205.

(3) - Ibid. p.205.

(4) - ينظر : قائمة بأسماء ولاة الجزائر، المصدر السابق.

(5) - ينظر : عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 421 وعن موسوعة تركية ينظر : Kaddache, Op. Cit., p. 100 - و L. Péchot, Op. Cit., p. 90 -

(6) - Histoire d'Alger ....., Op. Cit., p.187.

(7) - G.Delphin, Op. Cit., p.205.

(8) - T.Hess, Op. Cit., p.110.

(9) - D. Brahimi, Op. Cit., p. 85.

بالمؤامرات والتعذيب[1]. وفي المقابل قال عنه توماس هاس بعد مقابلة معه : « ... على هذا أوقف المحادثة وذهب للصلاة. يظهر أنّه ذو أخلاق جيدة... »[2].

المؤكّد أنّ بابا حسن كان له تأثير كبير في حكم الجزائر، منذ تكون نظام الدايات، قال جون وولف : « وكان بابا حسن رجلا ذكيًا وسياسيًا ماهرًا[3] »، لكن دارفيو لم يكن يشاطره الرأي، بل وتنبّأ بتمرّد الجند عليه كنتيجة لسياسته[4].

رغم ما تمتّع به هذا الداي من قوة في تسيير شؤون الحكم، إلا أنّ الظروف المحيطة به، كانت سيئة على كل الأصعدة الداخلية والخارجية، حيث لم يدم حكمه إلا مدة قصيرة (1682-1683م)[5]، انتهت بقتله من طرف أحد رياس البحر يدعى حسين ميزومورطو، على إثر الهجوم الثاني لدوكين (Duquesne) (1683م)[6]. هكذا كانت نهاية بابا حسن بعد توليه الحكم سريعة ومأساوية، لكن بقيت صورة الرجل القوي الذي جمع في يد "الداي" كل الصلاحيات التي كان من قبل يتقاسمها الداي الأوّل مع نائبه (المنصب الذي كان يشغله بابا حسن نفسه). وكأنّ فترة حكم الحاج محمد التريكي لم تكن إلا مرحلة انتقالية للحكم المطلق للداي، هذا الجانب من الصورة من الواضح أنّه مُتفق عليه. لكن بقي ما يُقال حول شخصية هذا الداي، فَكُلاً من توماس هاس ودارفيو قابلا بابا حسن قبل توليه، إلاّ أنّ الأوّل خرج من مقابلة الداي بانطباع حسن في حين بدا واضحًا من العبارات التي وصف بها دارفيو الداي (كئيب، ذو هيئة فظة، عنيف، متكبّر، شرّه للمال) أنّه لا يوافقه الرأي. ونحن هنا لسنا في محل ترجيح لرأي على الآخر، لكن يجب الإشارة إلى أنّ دوقْرامون تحدّث عن الاستقبال السيء الذي حظي به دارفيو من طرف بابا حسن بسبب شخصية دارفيو المتعجرفة[7]، أمّا دنيس براهيمي فاعتبرت أنّ الأسلوب الذي قدّم به دارفيو حكومة الإيالة أسلوب كلاسيكي، لأنّه يتميّز بالتوازن والرصانة، حيث وصل الحاضر بالماضي، مَازجًا التحليل السياسي النظري لعلاقات القوة بصور الشخصيات ودراسة الطبائع ليتوصّل إلى نوع من الانسجام، ويتمكن بواسطة هذه الصورة النموذجية من تثقيف وإرضاء الآخر.

---

(1) - Histoire d'Alger....., Op. Cit., p.187

(2) - Op. Cit., p.128

(3) - المرجع السابق، ص. 144.

(4) - D. Brahimi, Op. Cit., p. 85.

(5) - هناك من يحدد فترة حكمه بين (1681-1683م).

(6) - De Grammont, Histoire d'Alger ...., Op. Cit., p. 209

(7) - حول شخصية دارفيو التي اعتبرها دوقْرامون غريبة ينظر : Ibid, p. 203 -

فحسب براهيمي فإنّ هذا الأسلوب الكلاسيكي الذي يستخدم هذه الحكايات المعتادة والمنتظرة والمرعبة (أعطت كمثال وصفه لبابا حسن) لا يمكن للجمهور العريض أن يستغني عنها[1].

- الداي حجي حسين ميزومورطو[2] (1683– 1686م) والداي إبراهيم خوجة[3] (1686– 1690م) :

استطاع حسين ميزومورطو أحد رياس الإيالة التخلّص من بابا حسن وتبوء مكانه في حركة جريئة وسريعة، حيث بعد أن كان أسيرًا لدى دوكين، ضمن من أرسلهم بابا حسن إلى قائد الحملة الفرنسية (كان بابا حسن حريصًا على أن يكون ميزومورطو ضمن الأسرى، لأنّه كان مُدْرِكًا لخطورته، على أمل أن يتخلّص منه.)، تمكّن من إقناع هذا الأخير بأن يطلق سراحه، واعدًا إياه بأن يفعل في ساعة أكثر مما فعله بابا حسن في خمسة عشر يومًا، لكن معالجة ميزومورطو للأزمة لم يكن ليتوقعها دوكين، بحيث وبمجرّد وصوله إلى اليابسة قضى على بابا حسن ووجّه مدافعه إلى السفن الفرنسية[4].

قال عنه دارفيو الذي عرفه جيدًا قبل أن يصبح دايًا : « وُلِدَ بالقسطنطينية، إنّه الرجل الأكثر لطفًا واعتدالاً واستقامةً، بين أصحاب هذه المهنة (يقصد القرصنة) »[5].

في سنة 1686م تلقى حاجي حسين من الباب العالي قفطان رتبة الباشا، وبعد طرده لإسماعيل باشا إلى طرابلس الغرب، قام بتعيين إبراهيم خوجة دايا مكانه[6]. هذا الأخير سقط اسمه

---

(1) - Op. Cit., p.81, 82.

(2) – ميزومورطو : قيل أنّها كلمة إيطالية معناها نصف ميت، لُقّب بذلك لأنّه أصيب أثناء شبابه بثمانية عشر جرحًا، حتى ظنوه ميّتًا، فرموه في البحر، ومن ثم تمكن من إنقاذ نفسه، ينظر : عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 424، (هامش 1)، وقيل معناها نصف ميت بالإيطالية وذلك لبتر يده اليسرى في الحرب، ينظر : عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.3، ط.7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص. 193.

(3) - إبراهيم خوجة : هو من ساعد حسين ميزومورطو على قتل الداي بابا حسن (ربما كان يعمل عند بابا حسن ككاتب بالنظر إلى لقب خوجة)، ينظر : M.Emerit, "un mémoire sur Alger.....", Op. Cit., p. 12 –

(4) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 209.

(5) - L. Merouche, Recherches.... II. La course mythes et réalité, Op. Cit., p.203.

(6) - De Grammont, " Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII[e] siècle ", R.A, N. 29 An. 1885, p. 164, 165 أورد عزيز سامح إلتر فرمان من الباب العالي فيه موافقة على تمديد فترة حكمه كباشا، بعد التماس رفعه الأهالي إلى الباب العالي بهذ الشأن، ينظر : المرجع السابق، ص. 428 (هامش (2)) (صدر الفرمان بتاريخ أواخر ربيع الآخر 1100هـ–1689م).

من الكثير من المصادر، حيث يذكر حسين ميزومورطو ثم الداي شعبان خوجة مباشرة [1]. ربما يعود هذا إلى تغطية شهرة حسين ميزومورطو عليه، فلم يُنتبه إلى أنّ ميزومورطو منذ سنة 1686م أصبح باشا وتخلى عن منصب الداي لإبراهيم خوجة، ولهذا نجد من التبس عليه الأمر وتحدّث عن جمع حسين ميزومورطو للمنصبين[2].

على العكس من حسين ميزومورطو، لم يهتم الداي إبراهيم بأمور الحكومة وقضى سنوات حكمه في محاربة إسبان وهران - هذا إضافة إلى النزاع مع تونس-[3]، وصفه دولاكروا بأنّه : « كان نبيها، وله في كل يد ستة أصابع طويلة ومعقوفة. »[4]. حسب بعض الروايات فقد حاول التخلص من ميزومورطو لكنه فشل فاضطر إلى الهروب إلى تونس[5].

أمّا حسين ميزومورطو، فبعد مواجهته للكثير من الأخطار، كانت آخرها عملية تمرّد قام بها الإنكشارية -حاول مقاومتها لكنه لم يفلح-[6] فرّ عن طريق البحر إلى شرشال ثم اسطمبول سنة 1101هـ/1690م، أين عين قبطان باشا، هذه الوظيفة التي احتفظ بها إلى وفاته[7]. حيث قدّم خدمات جليلة للدولة العثمانية في معاركها الحربية[8]. إذًا فالحياة المثيرة لحسين ميزومورطو، زادتها إثارة ظروف الإيالة السياسية، فقد خرج منها هذا الرجل الذي سخر من قائد الحملة الفرنسية وهو أسير، هاربًا وخائفًا على حياته [9].

وفي تحليل لشخصية ميزومورطو قال مرّوش أنّ ابن إسطمبول هذا مقدام وذكي، حصل

---

(1) - رغم أن أوجين بلانشي، نشر عدة مراسلات بين هذا الداي وشخصيات فرنسية، ينظر : - Op. Cit., t.1, p p.117-151.

(2) - G.Delphin, Op. Cit. p. 205.

(3) - De Grammont, " Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle ", Op. Cit., p.165.

(4) - M.Emerit, " Un mémoire sur Alger ..... " , Op. Cit., p. 12.

(5) - Ibid, p. 12.

- تذكر رواية أخرى ؛ أنّه عند رجوعه من أحد حملاته على إسبان وهران، وجد الإنكشارية في حالة ثورة حيث لم يكن محبوبا لديهم، فهرب إلى سوسة بتونس. ينظر :

- De Grammont, "Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII° siècle", Op. Cit., p.169.

(6) - De Grammont, Histoire d'Alger ...., Op. Cit., p. 214.

(7) - G.Delphin, Op. Cit. p.205.

- هناك روايات كثيرة تتحدث عن خط سيره إلى إسطمبول، فدوقرامون يؤكد هربه إلى تونس ثم إلى إسطمبول، ويستبعد مروره ببلاد كوكو (بلاد القبائل)، حسب بعض الروايات. ينظر :

- "Relations entre la France et la régence d'Alger aux XVII° siècle," Op. Cit. p. 170

(8) - Ibid, p. 170 (Note 1).

(9) - L. Merouche, Recherches..... II. La course mythes et réalité, Op. Cit., p.203.

على ثقافة ولباقة نادرا ما توجد بين القراصنة، مارس القرصنة والحرب كسياسي، وعرف كيف يواجه عند اللزوم كرجل حرب. وفي المقابل وحسب مرّوش نفسه فإنّ ميزومورطو لا تنقصه العيوب، فقد أظهر الكثير من العنف في قمع ثورات معارضيه، وخاصة تلك التي تسببت فيها تدهور الظروف المعيشية للسكان، ففي حين كان السكان يعانون من المجاعة والأوبئة كان ميزومورطو يجمع ثروة طائلة، خصّص جزءًا مهما من ممتلكاته في تأسيس وقف لحساب مسجد كبير قام بتشييده. كما أنهك الجند في حروب داخلية كمهاجمة تونس ومحاولات لتحرير وهران، وأثار حفيظة الإنكشارية الذين عانوا من الخسائر المتكرّرة في صفوفهم، ومن القبضة الحديدية لقائد كان يريد أن يضع حدًا لعادات جند تعودوا على صنع القانون في هذا البلد، مما جعلهم يتمردون عليه عند عودتهم من إحدى الحملات على وهران ويجبرونه على الهرب[1]. وتبعًا لهذا فإنّ شخصية ميزومورطو تملك كثيرا من أبعاد شخصيات حكام الإيالة الأوائل فهو يملك الشجاعة والحنكة السياسية والصرامة والغنى، وفوق هذا فإنّه من الرياس.

- الـــداي الحاج شعبان خوجة (1690- 1695م) :

يُعدُ من أبرز دايات الجزائر، بعد تزعمه للتمرّد الذي تخلّص فيه من حسين ميزومورطو[2]، عُيّن دايا في 24 ذي الحجة 1101هـــ (28 سبتمبر 1690م)[3]. لا نعلم الكثير عن ماضيه لكن يبدو من تسميته أنّه عمل في الإدارة[4]، أجمع الكل على كونه رجل حرب من الطراز الأوّل[5]، لكن اختلفوا في صفاته الأخرى.

---

(1) - Recherches.... II. La course mythes et réalité, Op. Cit., p.204.

(2) - M.Emerit, " Un mémoire sur Alger.....", Op. Cit., p.12.

(3) - G. Delphin, Op. Cit., p. 205.

- يوجد اختلاف في تاريخ توليته، فحسب فرمان من الباب العالي، يذكر تاريخ أوائل جمادى الآخرة 1101هـــ، ينظر عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 431، 432 (هامش (2))، كما نجد تواريخ أخرى فحسب موسوعة تركية فالتاريخ هو 1689م، ينظر : M.Kaddache, Op. Cit., p. 100 وحسب بيشو فالتاريخ هو 1688م، ينظـــر : Op. Cit. p.90 إنّ هذه الاختلافات الكثيرة في التواريخ، يمكن أن نرجعها لعدة أسباب، كعدم دقة بعض الكتاب، لكن هناك تفسير لدلفان، حيث اعتبر أنّ هذا يعود لكون كاتب مثل ابن المفتي يضع التواريخ التي تدل على الاعتراف الرسمي الذي يُرسل إلى الأوجاق من طرف الباب العالي، بينما الكتاب الأوروبيين يوردون تواريخ الأخذ الفعلي للسلطة، والذي يحدّدُ بنهاية حكم وبداية حكم آخر، هذه التواريخ تكون في الغالب سابقة للفرمان الذي يكرّس حالة واقعة، ينظر : Op. Cit. p. 199. -

(4) - P.Boyer, "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p. 108.

(5) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 216.

هذه بعض الآراء التي يمكن أن تعطينا فكرة عن هذا الداي :

قال عنه دوسولت (Dusault)[1] : « مرّ وقت طويل لم نر في الإيالة رجلاً أكثر جبروتًا، قليل الكلام. يجلس في ديوانه، على طريقة الأتراك، يوجد تحت وسائده جلد أسد وفوقها جلد نمر، وكثيرًا ما يردّد، بأنّ الأسد يُمثّل القوة، والنّمر يُمثّل الشراسة »[2].

وهذا جزء مما نقله أبو القاسم سعد الله عن مؤرخ تونسي يدعى أحمد برناز، كان معاصرًا للداي شعبان، وله موقف عدائي منه : « ... وشعبان المذكور هذا هو المراد فيما تقدم من قصيد أهل تلمسان، يقول ناظمها، رحمه الله :

ومن معه في ربقة الأسر لم يروا ∴ حميدا سوا (كذا) رمضان ثم وشعبانًا.

فما قام من شعبان شعبان ليلـــة ∴ ولا صام في الإسلام رمضان رمضانا.

ثم أن شعبان هذا كان أهل الجزائر يزعمون أنّه رجل مليح ولذلك أولوه حاكما عليهم. وكان في أيام دولته مهما قعد في دار السلطان للحكم لم يدع المصحف من يده وغالب تفرغه يقرأ القرآن ويصوم الاثنين والخميس ويصوم الثلاثة أشهر والأيام البيض. ورأيته أنا مرة في داره وفي رجله نعل عتيق، وهو حاكم، وليس بباب داره حاجب ولا بواب ما عدا نصرانيا أشيب واقفا في الباب لقضاء حاجة داره وإعلامه بمن يجئ إلى بابه.

وكلما وردت عليه حكومة (يقصد قضية أو نازلة) وكان المصحف في يده لم يضعه من يده، ويفصل تلك الدعاوى والمصحف في يده، ثم يرجع لقراءة القرآن ولعمر الله يصدق عليه قول الشـــاعر :

مـــا رأينا كأمير ∴ ظلم الناس وسبح.

فهو كالجزار فينا ∴ يذكر الله ويذبح.

فإنّه رجل ظلوم في أخذ أموال الناس بالباطل غاية وقتل الرقاب. وقبل توجهه إلى تونس أوّل مرة كان قد حفر قبره في تربة الشيخ أحمد ابن عبد الله الجزائري صاحب القصيدة الجزايرة (كذا)...، نفعنا الله به، وكان ذلك اليوم يبكي وتصدق بصدقات. ثم بعدها توجه لقتال محمد باي بتونس

---

(1) - حول الوسيط الفرنسي دوسولت ينظـــر :

- Albert Devoulx, "Relevé des principaux Français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830". In R.A., N. 16, An. 1872, p. 359, 360.

(2) - E.Plantet, Op. Cit. T. 1, p. 418 (Note 1).

وعاث فيها بأخذ الأموال وقتل الرقاب حتّى كان شؤمه سببا في قتل شيخنا العلامة مصطفى بن عبد الله الكريم الحنفي، رحمه الله ، وكان سابقا مفتيا بتونس »[1]. لقد أوردنا هذا النص رغم طوله لاعتقادنا بأهميته. ولمعلومات أكثر حول صاحب النص ودوافعه، وكذا التعريف بالأعلام المذكورين فيه، ينظر المقال نفسه.

كما قال عنه دولاكروا : « كان رجلاً، مرحًا وكتومًا. يتخذ قراراته بسرعة، وينفذها بحزم. كان شجاعًا، مقدامًا وجريئًا، دقيقًا في الوفاء بكلمته، مخلصًا لدينه الخاطئ. كان متغطرسا مع من يقاومه، ولكن طيبًا ولطيفًا مع ضباطه؛ إنّه المكان الذي ترقى منه، والذي يدعّمه. كان متزوجًا وله عدّة أبناء، لكن ليس لهم أي سلطة »[2].

بعد عدة محاولات لقتل الداي شعبان[3]، كانت النهاية المأساوية له، حيث ثار عليه جنوده، وسجنوه أين عذّب لمعرفة مكان المال الذي من المفترض أنّه خبّأه، وبعد أن توصل إلى اتفاق مع بعض ساجنيه، يقضي بإطلاعهم على مكان المال مقابل حفظ سلامته وسلامة أهله، أمر الداي الجديد بخنقه بعد أن علم بهذا الأمر[4]. إنّ هذه النهاية التراجيدية للداي شعبان ستتكرّر مع دايات آخرين، ستطال الأقوياء منهم كما الضعفاء.

إنّ الداي شعبان الذي اعتبره مولاي بالحميسي عظيما من خلال سرده للأعمال التي قام بها في مقاله "إرشاد الحيران في أمر الدّاي شعبان"[5]، بدا من النصوص التي أوردناها أنّه كان مهتمًا بأن يظّهر قويًا وذلك بإحاطة نفسه بمظاهر تدل على ذلك وهذا ما عبّر عنه نص دوسولت. أما النص الخاص بالمؤرخ التونسي أحمد برناز فقد أعطانا صورة تحمل الكثير من التناقضات، فشعبان شخصية ورعة تُكثِرُ من الصلاة والصدقات وفي الوقت نفسه زاهدة في متاع الدنيا، وفي المقابل

---

(1) - "من أخبار شعبان داي الجزائر، 1695م"، مجلة التاريخ، عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 18، السنة 1985م، ص. 116، 117.

(2) - M.Emerit, "Un mémoire sur Alger par Pétis de la Croix (1695)", Op. Cit., p. 13.

(3) - De Grammont, Histoire d'Alger...., Op. Cit. p. 216.

(4) - أبو القاسم سعد الله، "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر، 1695م"، المرجع السابق، ص. 118، 119. (هذه المعلومات مأخوذة من كتاب أحمد بن مصطفى برناز، الشهب المحرقة، سابق الذكر).

- دولاكروا يقول أن الداي الجديد حاول حفظ حياة الداي شعبان، لكن الانكشارية قتلوه بعد عدم تمكنهم من معرفة مكان المال رغم التعذيب الذي أخضعوه له. ينظر :

- M.Emerit, "Un mémoire sur Alger .....", Op. Cit., p. 23.

(5) - مجلة الدراسات التاريخية، يصدرها معهد التاريخ بجامعة قسنطينة، العدد الثاني، السنة 1986م، ص. 39.

فهو شخص ظالم وطمّاع لا يشبع، وقاتل يأخذ أموال الناس بالباطل. إنّ الكاتب الذي التقى شعبان شخصيًا حسب أبو القاسم سعد الله لم يكن معجبًا به لعدة أسباب منها تدخله في تونس واتصافه بالبخل وبالتالي حرمانه من الأعطيات، لكن هذا لا يعني أنّه لفّق ما جاء في النّص، وإلاّ ما الذي جعله يذكر الصفات الإيجابية للداي، كما أنّه عندما روى قصة تدل على طمع الداي قال أنّه لم يشاهدها بل سمعها، وربما هو نفسه لم يصدقها. وهذه الصورة تعبّر عن شخصية مستبد شرقي يتظاهر بفعل الخير وفي الوقت نفسه يضرب بيد من حديد.

وفي الأخير نختم بصورة الإنكشاري النموذجي، وهذا من خلال الصفات التي أوردها دولاكروا في نصه فهو شجاع وجرئ، لا يرحم أعداءه لكنّه محب للمصدر الذي جاء منه.

- الـــداي الحـــاج أحمـــد[1] (1695 - 1697م) :

في اليوم الموالي من سجن الداي شعبان، تولى الحكم الحاج أحمد، وهو آغا قديم، معروف تحت اسم الأجة أحمد[2]. حسب بعض الروايات فقد اختاره الجنود دايا بعد أن وجدوه جالسا في مدخل داره، يصلح الأحذية، فحملوه إلى الديوان أين قبل بكل شروطهم[3].

بالاعتماد على رسائل القنصل الفرنسي لومار (R.Lemaire)، فإنّ هذا الداي عانى من الشك والخوف على نفسه من القتل[4]، لدرجة أنّه كتب في إحدى رسائله : « شهدت حكم التريك، بابا حسن، ميزومورطو وشعبان ؛ لكن لا أحد منهم فعل ما فعله داي اليوم ؛ كان لكل منهم بعض الصفات الجيدة، في المقابل هذا (يقصد الداي) لا يملك أي واحدة »[5]، وقال عنه دوقرامون بأنّه : « رجل متقلّب، قلق، وله غرابة قريبة من الجنون، عاش تحت سلطة خوف دائم، يقود شيئا فشيئا نحو الشراسة، عادة طبعه طيب[6]... أصبح أحمد شيئا فشيئا متشككًا ومهووسًا ؛ لا يحلم إلا المؤامرات، ملأ المدينة بالجواسيس، يضرب ويسجن الأهالي مع أوّل وشاية ... »[7].

---

(1) - هو الحاج أحمد بن الحاج موصلي، ينظر : G.Colin, Op. Cit., p. 103.

(2) - G.Delphin, Op. Cit., p. 206.

ذكر تحت اسم الأجة أحمد أيضا في مخطوط قائمة الولاة الجزائر، المصدر السابق.

(3) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 219.

(4) - De Grammont, "Correspondance des consuls d'Alger", in R.A., N.31, An. 1887, p.202,206, 207.

(5) - Ibid, p. 207.

(6) - وصفه دولاكروا بالطيب جدًا، ينظر : M.Emerit, " Un mémoire sur Alger...", Op. Cit., p. 23

(7) - Histoire d'Alger....., Op. Cit. p. 219, 220.

حكم الحاج أحمد ثلاث سنوات[1]، ومات بعد مرض طويل[2]، ودفن على يمين مدخل قبة سيدي عبد الرحمن الثعالبي[3]. بدا هذا الداي نموذجًا للداي الضعيف، الذي لا يملك أي صفة تسمح له بأن يكون حاكمًا، كما أنّه أوّل داي ظهرت عنده أعراض المرض الذي شخّص أعراضه دوفرامون، حيث يتحوّل الداي من شخص طيب إلى آخر شرس.

- الـــداي بـــابـــا حسن[4] (1697-1700م) :

تذكره بعض المصادر تحت اسم، الدولتلي حسين باش شاوش قارة باغلي[5]، قال عنه أحد مفتدي الأسرى الفرنسيين : « ...هو رجل ضخم وقصير، ممتلئ، كثير التأمل، لكنه عفوي، يحب الراحة، غير قادر على التماسك في الأحداث الكبيرة، أين يجب استخدام العقل، مهتم كثيرا بعائلته، كثيرًا ما يهمل شؤون الحكومة، وأخيرا بخيل جدًا ؛ مقتصد حتى بخصوص نفقة زوجاته، حيث أخبرنا عبيده أنّه يتركهن يلبسن ألبسة رثة »[6]، ومع هذا فقد قال عنه في موضع آخر أنّه عاملهم بكل إنسانية[7]. وبحسب مورغان (J.Morgan)، فإنّه : « هادئ، وكسول جدًا وبخيل »[8].

ومع هذا فقد كان موضع مدح الفرنسيين، ويظهر هذا خاصة من خلال رسائل القنصل الفرنسي دوران (P.J.Durand)، حيث وصفه برجل حكيم وقوي[9]، استطاع جعل من حوله

---

(1) - هناك اختلافات بين الكتاب في تاريخ تولية ووفاة الداي، ذكر ابن المفتي أنّه تـــولى في 23 ذي الحجـــة 1106هـــ (04 جانفي 1695م) ومات سنة 1109هـــ (1محرّم من هذه السنة يوافق 20 جويلية 1697م) لكن حسب مصادر أخرى فإنّ وفاته توافق سنة 1698م. ينظر : G.Delphin, Op. Cit., p. 206.

(2) - E.Plantet, Op. Cit., t.1 p. 546. - (عن رسالة من خلفه بابا حسن إلى لويس 14).

(3) - G.Delphin, Op. Cit., p. 206.

(4) - هو الاسم الذي اتخذه بعد أن أصبح دايا، حيث كان يسمى حسن شاوش (هذا الاسم يعرّفنا بالوظيفـــة الـــتي كـــان يشغلها). ينظـــر :

- De Grammont, "Correspondance.....", Op. Cit., N.31, p.301.

(5) - قائمة أسماء ولاة الجزائر، المصدر السابق. و - G.Delphin, Op. Cit., p. 206.

(6) - Godefroy et d'autres, Op. Cit., p. 222, 223.

(7) - Ibid, p. 224.

(8) - A voyage to Barbary, for the redemption of captives ; performed (in 1720) by the mathurin - Trinitarian fathers, France, Comelin, Philemon de la Motte, and Jos. Bernard, printed for Charles Corbett, London, 1785, p. 79.

(9) - ربما يعود هذا إلى العلاقات الجيدة التي تميزت بها العلاقات الجزائرية الفرنسية في هذه الفترة، ينظـــر :

- De Grammont, "Correspondance des consuls d'Alger", Op. Cit., N. 31, p.301.

يطبقون أوامره بدقة، خاصة فيما يتعلق بأمور البحر[1].

وفي سنة 1700م تخلى الداي بابا حسن عن منصبه، إثر هجوم مراد باي تونس على قسنطينة، وثورة الإنكشارية، فاستبدل بالحاج مصطفى، هذا الأخير قدّم له أربعة ألاف قرش، وسفينة لنقله إلى طرابلس، كما حيته طلقات المدافع عند رحيله[2]. إنّها من الحالات النادرة في فترة الدايات التي يتخلى فيها الداي عن الحكم بطريقة سلسة، ودراسة هذه الاستثناءات والظروف المحيطة بها، قد يعطينا قراءة أعمق لهذه الفترة من تاريخ الجزائر، التي جعلتها القراءات المبسّطة مملة. وعلى العموم فتخلي الداي عن الحكم بهذه الطريقة، يؤكّد انطباع مورقان وبعثة مفتدي الأسرى من أنّه شخص غير قادر على التماسك في الأحداث الكبيرة، أما رأي القنصل الفرنسي فيه فيشير إلى تأثير المصالح على الصورة التي ظهر بها الدايات في مراسلات القناصل.

- الـــداي الحـــاج مصطفى[3] (1700-1705م) :

اعتبرت الكيفية التي اعتزل بها الداي السابق، وتولى بها هذا الداي، مثالاً رائعًا للاعتدال، يكون من العبث البحث عنه ثانية في تاريخ الإيالة[4]. وانقسمت الآراء بين كون الداي مصطفى كان أغا للصبايحية[5]، ومن كونه كان طباخًا[6]. والتصقت باسمه العديد من الألقاب والكنايات منها الذقن المشعبة[7]، وأهج مصطفى أو مصطفى أهجي[8].

وصفه القنصل الفرنسي دوران بأنّه رجل يقظ ومتحمّس على عكس الداي السابق الذي

---

(1) - De Grammont, Histoire d'Alger...., Op. Cit., p. 221.

(2) - Ibid, p. 222, 223..

- حسب ابن المفتي، فقد انسحب إلى مصر (ربما هذا بعد إنتقاله إلى طرابلس). ينظر : G.Delphin, Op. Cit., p. 206 -

(3) - حسب عزيز سامح إلتر فإنّ اسمه تنشطال صقالي، ينظر : المرجع السابق، ص. 452.

(4) - De Grammont, Histoire d'Alger...., Op. Cit., p. 222.

(5) - عزيز ســـامح إلتـــر، المرجع السابق، ص. 452، و J. Morgan, Op. cit , p. 79 -

- يبدو أنّ هذا الرأي هو الأصح، بسبب الكفاءة العسكرية للداي مصطفى التي تحدّثت عنها المصادر.

(6) - Jean - André Peyssonnel, Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, Présentation et notes de lucette Valensi, la découverte, Paris, 1987, p. 237.

- إن الاعتقاد بكونه طباخًا يعود إلى اللقب أهجي، حيث كلمة آشجي التركية وهي قريبة من اللفظ أهجي تعني طباخ، ينظـــر : Diran Kélékian, Op. Cit., p. 19. -

(7) - عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 663. ويذكر مورقان أنّه كان يلقّب باللحية المستقيمة ينظر :

- J. Morgan, Op. Cit., p.79.

(8) - ينظر : عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 227، والآغا عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 255.

كان هادئا، كما قال عنه أنّه رجل شريف، وذكي[1]. وفي طريقه من النصر الذي حققه على باي تونس[2]، استطاع جمع عدد كبير من الأهالي الذين كانوا معجبين به ؛ بسبب أبهته وسخائه، مما مكّنه من الانتصار على ملك المغرب الذي كان من المفترض أنّه اتفق مع باي تونس على هجوم مزدوج على إيالة الجزائر[3]. وحسب مورقان فإنّه كان، خلال الست سنوات التي حكم فيها، دائما في مقدمة المعسكرات الحربية، الشيء الذي –حسب الكاتب نفسه– لا يمكن أن يحصل مجددا مع أي داي أو باشا[4].

وهذه الطريقة التي وصف بها صاحب التحفة المرضية هذا الداي، وذلك لإظهار الأسباب التي جعلت محمد بكداش، يعمل للإطاحة به حيث قال : « ولما رأى (محمد بكداش) الباغي (الداي مصطفى) ساد، وطغى في البلاد، واستوى في ذلك عنده العالم والجاهل، وصار الشرع سواء النبيل فيه والخامل، وعامل النّاس أسوأ معاملة وأعطاهم المقابحة عوضًا من المجاملة، وأهمل حال الدولة التي علقها به الفاعل المختار وناطها، وفرّط في مصالحها وما حاطها، وتجبّر وعتا، وأتى بذلك ما أتى، واشتغل بنهب الأموال، وإجراء المظالم في كل حال، قام المولى (محمد بكداش) على ساق الجد، وأنقذ المسلمين من ذلك الكد،... » [5].

كانت نهاية هذا الداي، بعد النصر الذي تحوّل إلى هزيمة منكرة، إثر هجومه على تونس (1705م)، ممّا أدّى إلى تمرّد الإنكشارية رغم محاولته تهدئتهم بالمال الذي وزعه عليهم حفيده، وبعد أن أمسكوه وأذاقوه عذابا شديدا، وضعوه على حمار للسخرية منه، وفي الأخير قاموا بخنقه[6]. إنّ التصرّف الشهم الذي قام به هذا الداي اتجاه سلفه ترك انطباعًا حسنًا لدى الكتّاب الأوروبيين، هذا إضافة إلى أنّه مثال لن نصادفه كثيرًا مع من أتى بعده من الدايات (صورة الداي الذي يقود الحملات بنفسه)! أما الصورة التي ظهر بها هذا الداي في كتاب ابن ميمون فلا يمكن إرجاعها لحقده عليه بسبب العداء الموجود بين ممدوحه (محمد باكداش) والداي مصطفى، لأنّ ابن المفتي

(1) - De Grammont, "Correspondance des consuls d'Alger", Op. Cit, N.31, p.348.

(2) - أول عمل قام به هذا الداي هو التصدي لباي تونس الذي هاجم قسنطينة، وهو الحدث الذي تسبّب في اعتزال الداي السابق.

(3) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 222.

(4) - Op. Cit., p.79.

(5) - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص. 123.

(6) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 223.

سجّل ما قام به هذا الداي من أفعال قاسية ضد السكان من سلب ونفي، وتحدّث عن الارتفاع الفاحش لأسعار المواد الغذائية، كما وصف كيف أنّ هذا الداي وعندما أحس بانقلاب ضده، فرّ إلى ضريح سيدي علي امبارك بالقليعة، لكن أحفاد هذا الولي حين رأوه وأدركوا ما حل به، أغلقوا في وجهه الباب بسبب إساءته لهم من قبل، حيث خنق ودفن في ذلك المكان[1].

- الـــداي حسين خوجة [2] (1705-1707م) :

اشتهر بلقب شريف، حيث كان دائما يذكر هذا اللقب في رسائله مع شرح لمعناه، وهذا المقطع من رسالة بعثها لملك فرنسا لويس الرابع عشر يبيّن ذلك : « من قبل السعيد حسين أفندي، شريف من فرع حسين، حفيد محمد،... »[3].

بدأ هذا الداي حكمه بتعذيب زوجة الداي السابق وابنته للحصول على أمواله، من أجل إسكات ثورة الجند ولو لوقت قصير[4]. ولم ينته اهتمامه بتركة الداي الذي سبقه، بل استمر بالمطالبة بسفينة استولى عليها قراصنة فرنسيون هي في الأصل ملك للداي مصطفى، حيث حصل عليها في الأخير بتدخل من ملك فرنسا[5].

وعندما تقرأ رسائل قنصل فرنسا آنذاك (J. de Clairambault)، فإنّك تجده يتحدث بإيجابية حول هذا الداي فيما يخص ردود أفعاله لما يطرأ من حوادث[6]. على عكس محمد بن ميمون الذي أبدى امتعاضه من هذا الداي الذي وحسبه غدر بصديقه محمد بكداش الذي كان سببا في توليه على عرش الجزائر[7].

لم تكن حادثة محاولة قتل الداي من طرف أربعة أتراك، قام بنفيهم[8]، إلا بداية لنهايته، حيث عاودوا الكرّة، لتنتهي هذه المرة بتولية أحدهم وهو محمد بكداش. قام هذا الأخير بنفي

---

(1) - G. Delphin, Op. Cit., p. 212. 213

(2) - على غير العادة نجد المصادر شبه متفقة، على أنّ هذا الداي حكم بين 1705 و 1707م، ذكر ابن المفتي في مخطوطه أنّه تولى قبل طلوع شمس 26 رجب 1117هـ الموافق لـ 13 نوفمبر 1705م.

(3) - يبدو أنّه كان فخورًا بنسبه إلى الرسول محمد -ﷺ-، ينظر : الرسالة المؤرخة بـ 07 جانفي 1707م فـي : E.Plantet, Op. Cit. t.2, p. 56.

(4) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 223.

(5) - E.Plantet, Op. Cit. t.2, p. 60.

(6) - De Grammont, "Correspondance .....", Op. Cit., N.31, p.466.

(7) - المصدر السابق، ص ص. 124-126.

(8) - De Grammont, "Correspondance.....", Op. Cit., N.31, p.466

حسين خوجة إلى بجاية[1]، لكن السفينة التي كانت تقله ومن معه، تعرّضت لعاصفة ألقتها إلى الشاطئ، أين وجدهم قبليون من دلس أخذوهم إلى منطقة كوكو، بعد مدة قضاها الداي هناك توفي بسبب المرض[2]. لم يستفد هذا الداي من كرم الداي بكداش، وأوضح صورة له، هي الوحشية التي مارسها على عائلة سلفه. إن هذه الصورة ستتكرّر كثيرًا.

- **الـــداي محمد خوجة باكداش** [3] (1707-1709م) :

هو محمد بن علي[4] بن محمد، الشريف[5]، الحسيني النكداني[6]، من الدايات القلائل إن لم نقل الوحيد، الذي تناولته أقلام علماء ذلك العصر، بإسهاب بين نثر وشعر، تمدحه وتعدّد خصاله وتسرد سيرته، صورته كتابات هؤلاء على أنّه رجل سيف وقلم يحمل كل صفات النبل والكمال، قال عنه صاحب كتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" : « وباكداش هو الإمام العلامة الناظم الناثر مقيم رسم الجهاد الداثر الملك العظيم المستوجب غاية الإجلال والتعظيم » [7]، وصفه محمد بن ميمون الجزائري بـــ : « أبيض اللون طويل القامة، معتدل الهامة، أشهل العينين، خفيف الساقين » [8].

---

(1) - G.Delphin, Op. Cit., p.207.

(2) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 223.

(3) - من الألقاب التي عرف بها، وهذا البيت من الشعر يبيّن ذلك :

محمد اسمه «بكداش» خوجة ∴ له لقبان من خير الفخام، وهو من قصيدة أرسلها إليه أحد محدّثي عنابة، وهو ابن الشيخ الذي تتلمذ على يده هذا الداي واحتضنه عند مجيئه إلى الجزائر سيأتي ذكره فيما بعد، وابنه صاحب القصيدة هـــو الشـــيخ المحدّث أبو العباس سيدي أحمد بن الشيخ سيدي قاسم الملقب بابن ساسي البوني، ينظر : محمد بن ميمون الجزائـــري، المصدر السابق، ص ص. 127-133.

أمّا بكداش أو باكداش أو باكتاش : فالشائع أنّها كلمة تركية تعني الحجر الصلب، يستشهد أصحاب هذا الرأي بشرح الجامعي لقصيدة الحلفاوي وخاصة البيت لُقِّبْتَ "بكداشًا" فكنت على العدا ∴ حجـــرًا أصـــمَّ مُفَتِّـــت الأعضـــاء. ينظر : أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 110، ومحمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. 112 (هامش 4).

(4) - والده هو نور الدين أبو الحسن علي بن محمد القرشي النسب، العربي الإقليم، النكداني الدار والمنشـــأ، وهـــا تـــوفي، وعليـــه فهذا الداي ذو أصل عربي، ينظر : المصدر نفسه، ص. 114.

(5) - أي أنّه من الأشراف، يتصل نسبه إلى محمد رسول الله -ﷺ-، من جهة ابنته فاطمة.

(6) - أو النكدلي، نسبه إلى "نكدا" (Negde)، مدينة صغيرة قديمة في الأناضول، تقع بين أنقـــرة واســـطمبول، وهـــي إلى أنقرة أقرب، ينظر : محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. 114 (هامش 4).

(7) - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 109.

(8) - المصدر السابق، ص. 143.

كان أول عهده بالجزائر سنة 1086هـ/1675م، حيث أقام بمدينة عنابة يتعلم على يد أحد شيوخها[1]، ليتقلّد بعد ذلك عدّة مناصب شرعية وأخرى عسكرية : تصدّى للإمامة سنة 1104هـ-1693م[2]، وتولى إمارة لواء العسكر سنة 1107هـ-1695م[3]، ثم تولى تقسيم خبز العسكر سنة 1112هـ-1700م[4]، وحسب راوي سيرته محمد بن ميمون، فقد عُرِضَ عليه حكم الجزائر، بعد أن كان أحد المتسببين في إسقاط الداي الحاج مصطفى، لكنه أشار بتولية الداي حسين خوجة الشريف[5].

تقلّد في عهد هذا الأخير منصب دفتردار، فذاع صيته، وكثر حساده، ممّا تسبّب في سجنه ونفيه إلى طرابلس[6]، ليعود إلى الجزائر بمساعدة حاكم تونس[7]، وهذه المرة افتك منصب الداي[8]، وارتبط اسمه بفتح وهران سنة 1707م[9]، وبهذا انهالت عليه قصائد الشعراء بالمديح.

لم يطل حكم الداي بكداش[10] لإيالة الجزائر، فهروب أحد بايات قسنطينة، بدنوش سنة

---

(1) - هو الشيخ سيدي قاسم (أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد، المعروف بابن ساسي البوني صاحب "الدرة المصونة، في علماء وصلحاء بونة"، وله غيرها من التآليف ما يربو على المائة، حسبما ذكره عبد الرحمن الجمعي في رحلته. توفي سنة 1139هـ (1727-1726م)، ينظر : محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص. 116، (هامش 4)، هذا العالم كان معجبًا بتلميذه محمد بكداش لدرجة أنّه كتب فيه موال طويل منه قوله :

قلبي إليكم صَبا والحبُّ في حاشي ∴ والسّرُّ مني سَرَى في سِرِّ « بَكْدَاشِي »
يالائمي في هوى الفتى النّاشي ∴ اقصر ملامك إنّ خيره فاشي.

ينظر : المصدر نفسه، ص ص. 116-118.

(2) - المصدر نفسه، ص. 121.

(3) - لواء العسكر أو سانجاق دار، ينظر : المصدر نفسه، ص. 119.

(4) - المصدر نفسه، ص. 123.

(5) - حسب ابن ميمون فإنّ باكداش اشترك في الحكم مع الداي حسين خوجة الشريف، قبل أن يحدث بينهما الجفاء، ينظر : المصدر نفسه، ص. 124.

(6) - المصدر نفسه، ص ص. 127-137.

(7) - المصدر نفسه، ص. 138.

(8) - المصدر نفسه، ص. 139.

(9) - أكّد أحمد بن سحنون الراشدي، على أنّ فتح وهران ينسب إلى باكداش، عكس ما درج عليه البعض من نسب هذا الفتح للباي مصطفى أبي الشلاغم، حيث اعتبر هذا الأخير مأمورًا بالغزو من طرف باكداش، الذي اجتهد كثيرا للوصول إلى هذه النتيجة، ينظر : المصدر السابق، ص. 111.

(10) - ذكر محمد بن ميمون أن توليته كانت في 29 من ذي القعدة الحرام سنة 1118هـ، ينظر : المصدر السابق، ص. 139. وذكر ابن المفتي أن توليته كانت في 28 ذي القعدة 1118هـ الموافق لـ 3 مارس 1707م، ينظر : G.Delphin, Op. Cit., p. 207 -

1709م، كان بداية لنهايته، حيث تسبّب له ذلك في صعوبات مالية، لم تمكنه من دفع رواتب الجند[1]، ممّا أدّى إلى حدوث ثورة، انتهت بقتله في قصره[2].مثّل هذا الدّاي استثناءً في الكتابات المحلية، وهذه الصورة المشرقة التي ظهر بها لم تضمنها له أعماله فقط، بل أيضًا تقريبه لعلماء ذلك العصر واهتمامه بكتابة سيرته. لكنّ نهايته تؤكّد أنّ تأمين رواتب الإنكشارية أهم عمل على الداي ضمانه.

- **الـــداي دالي إبراهيم[3] (1709-1710م) :**

تذكره بعض المصادر المحلية تحت اسم دالي إبراهيم باي[4]، شغل قبل توليه الحكم منصب آغا العرب[5]. حسب بايصونال، كان توليه الحكم بطريقة دموية، فبعد أن شارك في قتل الداي السابق (محمد بكداش)، اعتلى كرسي الحكم وهو يلبس قفطان الداي المغتال ملطخًا بدمه[6].

قال عنه دوڤرامون "قاسي وفاسق"[7]، أما لوجي دوتاسي فقد أسهب في تعديد مساوئه، كانت أبرز مثالبه، والتي لم تكن لتغتفر في بلد مثل الجزائر –حسب تعبير الكاتب نفسه - هو مطاردته للنّساء، حيث كان يستغل غياب أزواجهن، وذهابهم، للبحر أو الريف[8]. ولم يخرج مورڤان عن هذا السياق، حيث اعتبر أنّ أكثر شيء سرّع في دمار هذا الداي، هي ميوله الجنسية التي لا تشبع، والطرق الشاذة لإرضاء شهواته[9]، كما قال عنه : « تلك كانت فاجعة (يقصد قتله) دالي إبراهيم، إنسان مرح، في عنفوان نشاطه، عمره حوالي أربعين سنة. كان كما يظهر، شجاعًا، ذا قامة متوسطة، وشكل جميل وقوي، مع لحية سوداء وكثيفة. بشرة نضرة... »[10].

---

(1) - حسب أوجين فايصات (E.Vayssettes) فإنّ هذا الباي هو حسين شاوش تولى سنة 1121هـ-1709م، ينظر :
- Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1830, présentation de Ouarda Siari-Tengour, Bouchene, Paris, 2002, p. 98.

(2) - G.Delphin, Op. Cit., p. 207

(3) - كلمة تركية معناها المجنون أو المتوحش، وهي اسم كتيبة من الجند غير النظاميين كانت تنتمي إلى الجيش التركي فيما سبق، كما أنّ هذه الكلمة تستعمل أيضا في أسماء الأتراك، ينظر : دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، مج.9. مادة دالي، ص. 261. أما المصادر التي تتحدث عن هذا الداي فتشرح كلمة دالي أو دلي بأنّها تعني المجنون.

(4)- عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 255 و G.Delphin, Op. Cit., p. 207 -

(5)- عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 462.

(6) - Op. Cit., p. 229.

(7) - Histoire d'Alger ....., Op. Cit., p. 225.

(8) - Op. Cit., p. 131.

(9)- أسهب مورڤان في الحديث عن مغامرات هذا الداي، ينظـــر : - Op. Cit., p.84.

(10) - Ibid., p. 86.

رغم المدة القصيرة التي حكم فيها (أقل من خمسة أشهر)[1]، فقد حيكت ضده ثلاث مؤامرات لقتله، إلا أنّه أفشلها[2]. لكن محاولته لإغواء زوجة أحد رياس البحر ذي أصل برتغالي، يدعى محمود، كانت النقطة التي أفاضت الكأس[3]. فبعد إصابته وهو هارب من بيت هذا البحار[4]، لحق به الناقمون إلى غرفته في أعلى القصر ورموه بالقنابل، و لم يكتفوا بقتله بل مثّلوا بجثته[5]. ثم دفن بالقرب من سيدي الكتاني، في الجانب القريب من قبر سيدي يعقوب[6]. وإلى الآن توجد منطقة في الجنوب الغربي من عاصمة الجزائر تحمل اسم "دالي إبراهيم"، نسبة إلى ضيعة كان يمتلكها هذا الداي تعرف بـــ "حوش إبراهيم"[7]. احتفظت الكتب المحلية والأجنبية بصورة سلبية وقاتمة عن هذا الداي، صورة داي دموي قتل سلفه وارتدى قفطانه الملّطخ بدمه، داي ماجن، أعطى كل الأسباب للتخلّص منه.

-II- فترة الحكم الأحادي : دايات – باشاوات (1711م– 1830م) : خلال هذه الفترة انفرد "الداي" بالحكم، حيث توقف الباب العالي عن إرسال ممثلين عنه من إستانبول، واكتفى بترسيم مرشّح الجيش الإنكشاري.

- الـــداي علي سُوكَلي [8] (1710-1718م) :

يعرف بعلي بن حسين[9] أو أوزن بابا علي شاوش[10]، يتضح من اسمه أنّه كان يعمل شاوشا، بدأ حكمه بالقضاء على 1700 شخص، في مدّة شهر بدعوى أنّهم يريدون الانتقام للداي السابق[11]. مما أدّى إلى اسْتِتْباب الأمن الضائع منذ عشرين سنة سابقة، كانت السبب في تكون عصابات من قطاع الطرق، وهذا ما اعتبره دوقرامون، عدالة ظالمة، لكن صرامة ضرورية[12].

---

(1) - J. Morgan, Op. Cit., p. 86.

(2) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 225.

(3) - L. de Tassy, Op. Cit., p. 131.

(4) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 225.

(5) - L. de Tassy, Op. Cit. p. 132, 133. et J.Morgan, Op. Cit., p. 86.

(6) – كتب ابن المفتي : « ... أيام قليلة بعد ذلك (دفنه)، حُطّم شاهد قبره ؛ اليـــوم، لم يبـــق منـــه أي أثـــر ؛ ليمحـــي الله ذكره كما أضلّه خلال حياته »، ينظـــر : G.Delphin, Op. Cit., p. 207. -

(7) – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص. 218.

(8) – حسب عزيز سامح إلتر فإنّ سُوكَلي تعني المعلول، ينظر : المرجع السابق، ص. 462.

(9) – هكذا جاء اسمه في احدى الكتابات الأثرية، ينظر : G.Colin, Op. Cit., p. 86. -

(10) – ينظـــر : ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 227، والآغا عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 255.

(11) - J.Morgan, Op. Cit., p. 86, et L. de Tassy, Op. Cit., p. 130.

(12) - Histoire d'Alger ....., Op. Cit., p. 227.

وصفه قنصل فرنسا (Clairambault)، بأنّه "رجل شريف وحكيم"[1]، كما كتب في إحدى رسائله : « هذا الداي، تصرّف دائما جيدًا، ويستحق أن يعامل بإيجابية »[2]، لكن الأمر لم يكن كذلك مع خلفه جون بوم (J.Baume)[3].

استطاع هذا الداي أن يجمع بين منصبي باشا وداي لأوّل مرة في تاريخ الإيالة[4]. كما حملت فترة حكمه مختلف الكوارث الطبيعية، حملت معها ثلاث محاولات لقتله، باءت كلها بالفشل[5]. وانتهى أمره بحمى شديدة، حيث رفض أي علاج، معتبرًا أنّ أيّام حياته، حدّدت منذ الأزل، وهذا بشهادة لوجي دوتاسي الذي كان حاضراً عند موته[6]. وقد دفن داخل المدينة خلف القصر[7].

تُعدُ فترة حكم علي سُوكَلي علامة فارقة في عهد الدايات، حيث أصبح الحكم أكثر استقلالية عن الباب العالي. ورغم ما أُثِرَ عنه من قتله لـــ 1700 شخص إلا أنّه لم يظهر في الكتابات الأجنبية وبخاصة الفرنسية على أنّه سفّاح، بل برز كمعيدٍ لأمن مدينة الجزائر.

- **الـــداي محمـــد** (1718-1724م) :

هو محمد بن حسن[8] أفندي[9]، خزناجي الداي السابق[10]، تم اختياره دايا ليلة وفاة الداي علي، وأعلن الأمر في الصباح دون إراقة للدماء[11]. تولى الحكم في إحدى أحلك الفترات التي مرّت بها الإيالة ؛ تذكر بعض الروايات بيع لحوم البشر في أسواق الجزائر[12].

---

(1) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 227.

(2) - كان هناك في البداية انسجام بين الداي والقنصل سرعان ما تأثر، ينظر رسالتي القنصل بتاريخ 6 جانفي 1711م و 15 نوفمبر 1715م، فـــي - De Grammont, "Correspondance.....", Op. Cit., N.32, An. 1888 p.54, 56.

(3) - لم يتفاهم الداي والقنصل بوم منذ البداية، وحسب دوغرامون لولا موت الداي بالحمى لقُضي على هـــذا القنصـــل، ينظر : - Ibid, p. 59.

(4) - De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 227.

(5) - Ibid., p. 227, 228.

(6) - Op. Cit., p. 28.

(7) - G.Delphin, Op. Cit., p. 207

- حسب أغلب المصادر فقدحكم بين 1710م و 1718م. عدا عزيز سامح إلتر الذي اعتبر أنّ وفاته كانت سنة 1717م.

(8)- ينظر رسالة إلى ملك فرنسا لويس 15 بتاريخ 9 ماي 1720م في - E.Plantet, Op. Cit. t.2, p. 105

(9)- ينظر : عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 468، ويذكر عبد الرحمن الجيلالي ، أنّه كان يشتهر بلقـــب وزنعلـــي، ينظر : المرجع السابق، ص. 219.

(10) - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 227.

(11) - L. de Tassy, Op. Cit., p. 133.

(12) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 229.

كان قنصل فرنسا بوم، دائم الشكوى من أسلوب الداي الفج معه[1]، على عكس القنصل الذي خلفه قابريال دوران (G.Durand)، والذي حسب دوڤرامون، عرف كيف يتعامل مع الأسلوب الفظ للداي، وحقّق مكاسب لبلده كانت فقدها بسبب الطبيعة الغريبة للقنصل بوم[2].

أهم ما وصلنا من المعلومات الخاصة بهذا الداي وجدناها عند لوجي دوتاسي الذي كتب عنه : "كان سنه حوالي 36 سنة، ضخم البنية، وقوي. لا يعرف القراءة ولا الكتابة. كان يرعى في شبابه البقر في مصر، احتفظ بالكثير من الوحشية [3]، والضعف أمام الصبيان[4]. لم يتزوج قط، وكان يشغل منصب خزندار... »[5] وفي موضع آخر قال عنه : « ...داي متكبر وعنيف، لكن مع ذلك قدّم خدمة للحكومة، بالتحصينات التي رمّمها وعزّزها باستمرار منذ توليه إلى موته المأساوي » [6]. إنّها صورة داي متوحّش وماجن، لكنّه في المقابل قام بما تفرضه عليه وظيفته.

كانت النهاية المأساوية لهذا الداي، على يد مجموعة من الرياس، تمرّدوا انتقاما لزملائهم الذين عاقبهم الداي محمد بتهمة السرقة[7]. ففي 18 ماي 1724م وعند عودته إلى المدينة على العاشرة صباحًا، بعد تفقده للبحرية والتحصينات كالعادة، انتظره خمسة أو ستة أتراك داخل ثكنة[8]، حيث قام أحدهم بإطلاق رصاصة من أعلى الثكنة دخلت بين كتفيه وخرجت من بطنه، ثم واصل رفقاؤه إطلاق النّار ليسقط الداي محمد ميتا دون أن يستطيع النطق بكلمة[9].

- الـــداي كور[10] عبـــدي (1724-1732م) :

أفشل الخزناجي المصاب بضربة سيف في رأسه مخطط المجموعة التي قضت على الداي محمد بن حسن، في تعيين داي من طرفها، حيث كان أسرع منها إلى القصر، وبمعية حرس الباب قام بإجبار أغا الصبايحية الصديق الحميم للداي السابق بتولي الحكم[11].

---

(1) - ينظـــر : رســـالة للقنصل بتـــاريخ 15 أوت 1718م، فـــي :

De Grammont, "Correspondance ....", Op. Cit., N.32. p. 72.

(2) - Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 230.

(3) - يقصد أنّ عملـــه كراعي للبقر أكسبه السلوك المتوحش.

(4) - يشيـــر إلى ممارسة اللـــواط.

(5) - Op. Cit., p. 135.

(6) - Ibid., p. 136.

(7) - De Grammont, Histoire d'Alger ....., Op. Cit., p. 231.

(8) - هي ثكنة للإنكشارية تسمى ثكنة الأوسطة موسى، ينظر : G.Delphin, Op. Cit., p. 208.

(9) - L. de Tassy, Op. Cit., p. 135, 136.

(10) - كور : كلمة تركية لديها عدة معاني، وهنا يُقصد الأعمى أو الأعور، ينظر : D.Kélékian, Op. Cit., p. 1048.

(11) - L. de Tassy, Op. Cit., p.136.

تقلّب الداي عبدي آغا أو كور عبدي، الذي ولد في منطقة منامن (Menemen) بالأناضول[1]، في أهم مناصب الإيالة، فقد عمل كباي لبايلك التيطري، كما شغل منصب آغا الصبايحية[2]، المؤكّد أنّه كانت للرجل مكانة كبيرة قبل توليه الحكم[3].

كان عمره عند التولية حوالي 60 سنة[4]، اتفق الكتّاب حول صفاته الجسمانية، فهو ذو بنية ضخمة، أعور (عينه اليمنى)، تغطي آثار الجذري وجهه[5] وأضاف بايصونال صفة بشع جدًا[6].

أما طباعه فقد اختلف فيها كثيرًا ؛ قال عنه لوجي دوتاسي "أكثر قدرة على أن يحكم وأن يُحب من أي شخص آخر، هو رقيق، رجل صالح وذو أخلاق جيدة"[7]، كما قال عنه طولو (Tollot) بأنّه رجل حكيم[8]. أما رأي لاكوندامين (La Condamine) في الداي فيمكن تلخيصه فيما يلي : 1 – لا يسمع كلام احد (لا يمكن إقناعه). 2 – في حادثة يصف الكاتب كيف نسي الداي كل ما أمر به في اليوم السابق، مما كان سيتسبب في مشكلة كبيرة[9]. 3 – ذكر أن الداي عبدي له من السلطة المطلقة ما لم يكن لغيره من قبل وأنّه يحكم بصرامة قريبة من الوحشية[10].

ويظهر الاختلاف حوله أيضا في رأي القناصل الفرنسيين الذين عملوا في فترة حكمه، فبينما نلاحظ انسجامًا بين الداي والقنصل دوران[11] من خلال الرسائل التي بعث بها إلى بلده، نجد

---

(1) - جون وولف، المرجع السابق، ص. 386.

(2) - G.Delphin, Op. Cit., p. 208.

(3) - M.Emerit, "Le voyage de la Condamine à Alger (1731)" In. R.A., N. 98, An. 1954, p. 374.

(4) - بالنسبة لعمره، حسب لوجي دوتاسي – كان سنه عند توليه الحكم حوالي 60 سنة، ينظر : . Op. Cit., p. 136 – أما طولو فقدّر عمره بعد سبع سنوات من حكمه بسبعين سنة، ينظر :

A.Berbrugger, "Un voyage de Paris à Alger en 1731, par le sieur Tollot", In. R.A, N.11, An. 1867, p. 421.

أما دوفرامون فيقول أنّه توفي عن عمر يناهز 88 سنة (بعد سنة من السنة التي ذكرها طولو وثماني سنوات من السن الذي ذكره لوجي دوتاسي) ينظر : Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 236

(5) - ينظر : M.Emerit, "Le voyage de la Condamine .....", Op. Cit. p. 358.

و Berbrugger, "Un voyage de Paris...", Op. Cit. p. 421

(6) - Op. Cit., p.257.

(7) - Op. Cit., p. 136.

(8) - Berbrugger, "Un voyage de Paris...", Op. Cit., p.421.

(9) - قضية النسيان بالنسبة للداي تتكرر في الحديث عنه، ويُرجع الأمر في أغلب الأحيان لتعاطيه الأفيون.

(10) - M.Emirit, "Le voyage de la Condamine .....", Op. Cit., p. 362, 374.

(11) - De Grammont, "Correspondance .....", Op. Cit., N.32, p. 143, 144.

شكاوى تقريبا دائمة من طرف القنصل دولان (De Lane)[1]. أمّا أقسى ما كتب بخصوص الداي عبدي هو رأي بايصونال فيه، حيث قال عنه أنّ "الشهوة والخوف جعلاه مريعًا"[2]. ونختم بتعليق دوڤرامون حول شخصيته "كان الداي الجديد جنديًا قديمًا، ذا أخلاق حسنة، ورقة كبيرة، ولكنه كان مدمنًا على عادة الأفيون المشؤومة، مما كان يؤدّي به للإصابة بنوبات جنون هائجة"[3].

تعرّض الداي لمحاولات القتل عدّة مرات[4]، لكن وفاته كانت غريبة، حيث أنّه مات حزنا على فَقْدِ وهران، فقد أحسّ بالمهانة أمام جنوده وكذا الناس لأنّه لم يقم بالتدابير اللازمة لمنع ذلك، خاصة وأنّ باي الغرب طلب كثيرًا المساعدة دون جدوى، ولهذا اعتزل الناس، ممتنعا عن الأكل والشّرب، مع الاستمرار في تعاطي الأفيون[5]. ذكر ابن المفتي أنّ الداي توفي في 11 محرّم 1145هـ/4 جويلية 1732م[6].

بدت صورة الداي كور عبدي متناقضة، فهو من جهة شخص جيد وحكيم ورقيق ومن جهة أخرى شخص متوحّش وعنيد. إذا كانت هذه الآراء تأثّرت بتعاطي الداي للأفيون وكذلك خوفه من القتل (رأي بايصونال)، فإنّ صفة عنيد التي وُسِمَ بها الدايات من طرف الأجانب بسبب رفضهم لمطالب هؤلاء الأخيرين التي لا تتوافق مع مصالح الإيالة، ليست بالضرورة عنادًا، بل قد تدل على أنّ الداي ليس سهل الانقياد. كما يجب أن نشير إلى أنّ صورة الداي تخضع أيضا لميزاجية القناصل (اختلاف آراء قناصل فرنسا حول الداي كور عبدي).

- الـــداي إبراهيـــم أفنـــدي[7] (1732-1745م) :

---

(1) - علّق دوڤرامون على الأمر بأن القنصل يضخم الأمور أو أنّه على الأقل يزيد من غضب الـــداي بتصـــرفاته، ينظـــر : Op. Cit., N.32,p. 231 "Correspondance ....."، وهذا مقطع مما كتبه القنصل في حـــق الـــداي : « لقـــد استخدمت إلى حد الآن كل الوسائل الممكنة لكسب عطف هذا الحاكم، ...لأنّه رجل عنيد، لا يأخذ بنصيحة أحد وأثر الأفيون جعله شبه مجنون، يخلف في النهار ما وعد به في الليل...»، ينظر : Ibid, p.158 -

(2) - يعود رأي بايصونال في الداي، لنوع استقبال الداي له، حيث اعتقد هذا الأخير أنّ أحد معارضيه يدعى علي خوجـــة والذي هرب إلى تونس، بعث ببايصونال كجاسوس للتخلص منه، كما كان بايصونال قد أتى هو الآخر من تـــونس، ينظـــر : Op. Cit., p. 257. -

(3) - Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 231.

(4) - Berbrugger, "Un voyage", Op. Cit., p.421.

(5) - De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 236.

(6) - G Delphin, Op. Cit., p. 208.

(7) - الآغا عودة المـــزاري، المصدر السابق، ص. 256.

هو إبراهيم بن رمضان[1]، خزناجي الداي السابق، وصهره[2]، تولى مهامه كداي لفترة تعد الأطول منذ نشوء هذا المنصب إلى تاريخ تعيينه. عرفت الجزائر في عهده، صعوبات حقيقية، داخلية وخارجية، وعلى جميع المستويات[3].

لم تكن تقارير قناصل فرنسا لصالحه أبدا، ففي رسالة لِلومار (B.Lemaire) بتاريخ 2 مارس 1734م، نجده في معرض شكواه من صعوبة العمل مع أعضاء حكومة الإيالة، يصف الداي بما يلي : «...أمام داي متوحش، لا يستمع لحقائق أخرى إلا تلك التي تشير بها عليه مصالحه القذرة وحقده الشديد على الاسم المسيحي الذي يبغضه...؛ وأخيرًا تحت استبداد هذا الحاكم، المملوء بسوء النية اتجاهنا، الغضوب، وقليل الذكاء، فإنّ الخطوات الأكثر اتزانا والاحتراس الفائق، لا يفيد بشيء »[4].

أمّا السيد دوجوفيل (M. De Jouville)، الذي شغل منصب نائب القنصل الفرنسي، فقد تحدّث أيضا عن معاناته مع طبيعة الداي، حيث كتب في رسالة له مؤرخة بـــ 30 جانفي 1742م ما نصّه : «... ؛ لديه نوع من التصلب في أرائه، وعناد يستغله بعض أعداء أمتنا جيدًا، مما يجعل إنصاته مستحيلاً ؛ يغتاظ عندما نكلمه عن هذه المسألة[5]، وبما أنّه لا يستمع لأحد، ويصف بالمسيحيين (مسبة بالنسبة له) أولئك الذين يستطيعون قول شيء إيجابي، فيطأطؤن الرأس ويرغمون على سكوت عميق »[6]. إنّ هذه الصورة التي سجّل ملامحها قناصل فرنسا الذين تعاقبوا في فترة حكم هذا الداي (صورة داي عنيد ومتوحّش ومستبّد) من الواضح أنّها تأثّرت بالصعوبات التي واجهتها مهمة هؤلاء القناصل.

وبعد الصعوبات الحقيقية التي واجهها هذا الداي في فترة حكمه، أصيب بمرض[7]، قام على

---

(1) - هكذا جاء اسمه في كتابة أثرية لقنطرة، ينظـــر : G.Colin, Op. Cit., p. 202 .

(2) - حسب عزيز سامح إلتر، هو والد زوجة الداي السابق، ينظر : المرجع السابق، ص. 484.

(3) - في رسالة لقنصل فرنسا بتاريخ 17 جويلية 1734، كتب يقول : « يظهر أنّ كل شيء تآمر ضد هؤلاء الناس، الحرب والمجاعة التي أرهقتهم، ... »، ينظر : De Grammont, "Correspondance ....." Op. Cit., N.32, p. 321.

(4) - Ibid., p. 314 ,315.

(5) - يقصد بالمسألة، قضية سفينة من نوع شبك عليها أتراك، اختطفت في مياه فرنسية، على يد الأسبان، وحمّـــل الـــداي المسؤولية لفرنسا على حسب ما تقتضيه معاهدة السلام بين البلدين.

(6) - De Grammont, "Correspondance .....", Op. Cit., N.33, An. 1889, p. 170.

(7) - المرض هو الإسهال (نتيجة حمى الأمعاء)، حيث علّق فاليار (J.A.Valliere) قنصل فرنسا (1762-1774م)، بأنّ هـــذا المرض غالبًا ما يتسبب في الموت بالجزائر، ينظر : L.Chaillou, Op. Cit., p. 60. -

إثره بجمع الديوان وأعلن أنّ صحته وسنّه لم يعودا يسمحان له بممارسة عمله، كما رجاهم أن يقبلوا ابن أخيه الخز ناجي، حاكما مكانه، وبالفعل تم له ما أراد[1].

توفي بعد تسعة وعشرين يوما من تخليه عن الحكم (17 نوفمبر 1745م) ، ودفن بالقرب من عبدي باشا، في المقبرة القريبة من القصر[2]. أي أنّه حكم ثلاث عشرة سنة ونصف السنة[3].

- الـــداي إبراهيم خوجة[4] (1745-1748م) :

معروف في الكتب بإبراهيم كوجوك أو كوتشوك[5]، اقترح تعيينه عمه الداي السابق بدلا عنه[6]، عن عمر يناهز خمسًا وأربعين سنة[7]، لم يكن خزناجيًا فقط بل أيضًا قائدا للجيوش التي كان يرسلها عمه إلى مختلف مناطق المجابهات[8].

شغل الحديث عنه، قبل توليه منصب الداي، حيزًا كبيرًا في مراسلات قناصل فرنسا المتعاقبين ؛ عن مكانته في الإيالة، والتأثير الكبير له في مجرى الأحداث، وكذا وجوب إرضائه بالهدايا وعدم إغضابه، لما في ذلك من تأثير على مصالح فرنسا. وهذا نص من رسالة لقنصل فرنسا تبين جزءًا مما قلناه : « الخز ندار... ؛ إنّه أكثر تحسُّسا بالنسبة للهدايا من أي شخص (اهتماما)، ويبالغ في حقده إذا نسيناه ؛ إنّه الأكثر نفوذًا في الجزائر، يعتمد عليه الداي، ولا يستند إلا على الطرق السهلة التي يُحطّم بها ابن أخيه المؤامرات، بسبب الارتباط القوي للجنود به . لقد أذِنْتُ لنفسي بالحديث كذلك على طبيعة الخزندار وأخباره، حتّى لا تتفاجأ بمجاملتي له »[9]. إذًا يظهر بأنّه كان شخصًا قويًا وله نفوذًا وتأثيرًا في الإيالة، لكن أوضح صورة عمل القنصل على إيصالها

---

(1) - كان اجتماع الديوان هذا في 19 أكتوبر 1745م، ينظر : L.Chaillou, Op. Cit., p. 60. -

(2) - G.Delphin, Op. Cit., p. 209.

(3) - هذا ما جاء في كتابة أثرية لشاهد قبر الداي، ينظر : G.Colin, Op. Cit., p. 104. -

(4) - الآغا عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 256

(5) - أي الصغير، وهذا لتمييزه عن عمه الداي السابق، الذي يحمل الاسم نفسه ، والرسم الصحيح لهذه الصّفة في العثمانية، هو كوجك : (Kutchuk)، ينظر : D. Kélékian, Op. Cit., p. 1047. -

وفي قائمة ولاة الجزائر التي أوردها عزيز سامح إلتر في كتابه، نجد هذا الداي يحمل اسم رودس جوكلـــو إبـــراهيم، ينظر : المرجع السابق، ص. 663.

(6) - فإضافة إلى اعتلال صحة الداي السابق، ذكر ابن المفتي سـببًا آخـر لتخليـه عـن الحكـم وهـو الاضـطرابات المستمرة التي كانت تعصف بالقصر في عهده ينظر : G.Delphin, Op. Cit., p. 209. -

(7) - De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 245.

(8) - De Grammont, "Correspondance "....., Op. Cit., N.32, p. 321

(9) - Ibid., N.33, p. 321.

لمرؤوسيه بخصوص الداي إبراهيم خوجة عندما كان خزناجيًا هي صورة الطمع والجشع.

دام حكمه ثلاث سنوات، محاولا القضاء على تمردات داخلية وأخرى خارجية[1]، ظهر عليه التعب في 1 فيفري 1748م، ومع هذا خرج في اليوم الموالي لأداء الصلاة في المسجد، وبعد ظهر اليوم الثالث من الشهر نفسه أعلن عن وفاته[2]. ورجّح دوڤرامون موته مسمومًا[3].

- **الـــداي محمد بن بكـــر**[4] **(1748-1754م) :**

كنيَّ بالأعمى[5]، ولد في 10 جويلية 1688م، بقرية تابعة لإزمير[6]، كان خوجة للخيل عندما عُين دايا مكان سلفه[7].

قـــال عنه دوڤرامون : «كان ذكيا ومتعلما، اشتهر بالعدل والإنسانية...» [8]، وكتب أحمد بن أبي الضياف عنه : « ...، وكان ممن يحب العافية، ويتحرّج من سفك الدماء في سبيل الأغراض، فإذا خاطبه أحد من رجاله في عود الكرة على تونس، يقول لهم : "هلموا إلى وهران"، وقد كان أخذها الصبنيول (كذا)، فلا يقدر أحد على مراجعته. ويقول لهم : قبل إزالة معرّة وهران لا نلتفت إلى شيء» [9].

---

(1) - أعطى أمرا بالقضاء على الكراغلة الموجودين في العاصمة يوم العيد، لاعتقاده بأنّهم تآمروا مع كراغلة تلمسان للقضاء على حكم الأتراك لكن موته المفاجئ حال دون تنفيذ أمره. ينظر :

- De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 245.

(2) - L.Chaillou, Op. Cit., p. 70.

(3) - Histoire d'Alger ....., Op. Cit., p. 245.

(4) - محمد باشا بن بكر : هكذا جاء اسمه في كتابتين أثريتين، ينظر : G.Colin, Op. Cit., p. 108,111.

(5) - أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ/1754-1830م، تقديم وتحقيق أحمد توفيق المدني، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص. 15.

ونجد في العديد من الكتابات اسم (Mehemed-el-Retorto)، ينظر : E.Plantet, Op. Cit., t.2, p. 586.

و A.Devoulx, "Épigraphie indigène du musée archéologique d'Alger", In. R.A., N.17, في (Il rtorto)

V.de Paradis, Op. Cit., N.41, An. 1897, p.74 في (Baba Muhammed torto) و An. 1873, p. 325.

وحسب هذا الأخير فإنّ معنى كلمة تورتو هي الأعور.

(6) - القرية تدعى Menemen، أو Ménéméri، ينظر : L.Chaillou, Op. Cit., p. 125.

و A.Devoulx, "Mort du pacha Mehammed Khodja en 1754", In R.A., N.16, An. 1872, p. 324.

(7) - L.chaillou, Op. Cit., p. 70.

- هناك حديث عن توليه هذا المنصب مكرهًا، ينظر :

A.Devoulx, Mort du pacha....., Op. Cit., p. 322.

(8) - Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 245.

(9) - إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، مـــج.1، ج.2، د.ط، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1963م، ص. 146.

كما أورد فونتير دوبارادي فيما يخص شخصه وطريقة حكمه ما يلي : « بابا محمد...، كان رجلا عادلا، ومنصفا وصديقًا للنظام ؛ كان يُعاقب بصرامة الاضطرابات، الجرائم، وعدم الانضباط، وكل يوم يعاقب بالإعدام عمليات الخطف، الاغتصاب، القتل والسرقة »[1] و « منذ بضع سنوات حكم بابا محمد ثورثو بكثير من الذكاء والحكمة »[2].

ولكن رغم ما اشتهر به هذا الداي من العدل وفرضه للنظام، فإنّه قُتل في صباح 11 ديسمبر من سنة 1754م، أثناء توزيع مرتبات الجند، فيما أسماه فونتير دوبارادي بثورة الأرناؤوط[3]. دفن محمد بن بكر في اليوم نفسه في مقبرة صغيرة داخل المدينة، لتفادي نقله إلى باب عزون أين بنى قبره سنة 1750م[4].

تعتبر صورة محمد ثورثو إحدى الصور المشرقة في تاريخ الدايات، حتى أنّ الفرنسيين لم يتأثروا بالصعوبات التي واجهتها العلاقات بين البلدين، فأبدوا إعجابهم به. لكن يجب أن نشير إلى أنّ أهم سبب لهذا الإعجاب، هو فرض الداي للنظام، وهذا يناسب كثيرًا حسن سير أعمال الأجانب. لكن حسب دوقرامون فإنّ الداي محمد لم ينج من الإصابة بأعراض الجنون حيث قال: « خشن طبعه ؛ أصبح شكاكًا، فظًا، وبدأ يعطي بعض الأمارات لذلك الجنون، الذي يبدو أنّه أصاب كل حكام الجزائر الواحد بعد الآخر »[5].

- الـــداي علي نقسيس[6] (1754-1766م) :

يبدو أنّه لم يرحب بفكرة تعيينه دايا، أستدعي لشغل هذا المنصب، بعد الموت التراجيدي للداي السابق رفقة الخزناجي، إذ لم يكن حاضرا أثناء ذلك في القصر[7]. عمل قبل ذلك باش شاوش

---

(1) - Op. Cit., N.41, p. 72.

- هناك الكثير ممن كتبوا حول عدل وإنصاف هذا الداي، وخاصة النظام الذي فرضه، وأغلبهم من الفرنسيين، رغم ما اعترض العلاقات بين الإيالة وفرنسا من مشاكل حقيقية، وتعليقهم بأنّ فرنسا لم تستفد من سلوك هذا الداي.

(2) - Ibid, p. 74.

(3) - هناك تفاصيل كثيرة حول عملية الاغتيال هذه، وقع الاختلاف حول بعض تفاصيلها وكذا أسبابها، ينظـــر : Ibid, p. 73, 74. et L.Chaillou, Op. Cit., p. 124, 125. Et A.Devoulx, "Mort du pacha .....", Op. Cit., p p. 321-326.

(4) - L.Chaillou, Op. Cit., p. 125. Et A.Devoulx, "Mort du pacha....", Op. Cit., p.324.

(5) - Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 247.

(6) - ارتبط اسمه بعدة ألقاب وكنى منها : علي ملمولي، علي بوصبع، كما ذكره ابن أبي الضياف تحت اسم علي برمق سز، ينظر : المصدر السابق، ص. 146، 147.

(7) - L.Chaillou, Op. Cit., p. 125 et V. de Paradis, Op. Cit., N.41, p. 75.

بينما قال ابن أبي الضياف أنّ هذا الداي، كان ينتظر هذا المنصب منذ مدّة، ينظر : المصدر السابق، ص. 14.

ثم ترقى إلى رتبة آغا[1].

أقسى ما كتب حول هذا الداي، وتناقلته الكتب، هي المقدّمة التي ابتدأ دوقرامون بها الحديث عن فترة حكمه، حيث كتب : « قامت الميليشيا باختيار غريب بالهتاف لبابا علي، الذي يُعتبر الأحقر من بين كل الدايات. كان حارس حيوانات قديم، جاهل، عنيف، متعصّب، معرّض لنوبات غضب مجنونة وأخرى للحماقة، يعطي أوامر بلا تبصّر، ويعدل عنها بعد بضع دقائق، حسب أسير أو بحّار، استشاره حول أمور الدولة، قال له : « أنا حمار، لديك عقل أكثر منّي ؛ قرّر ! » لا يُخفي أصله ويظهر يده اليسرى، التي ينقصها الإبهام، يحكي بطيبة خاطر بأنّه قطع من طرف حيوان كان يحرسه في ما مضى. في اليوم التالي، تأخذه نزوة الغطرسة، ويختلق اجتماعًا أين يجب على الكل أن يستسلم ؛ لا يجيب على المطالب[2] التي ترفع إليه إلاّ بهذه الكلمات : « أنا رئيس عصابة لصوص، وبالتالي عملي أن آخذ وليس أن أرجع ». كان، بالإضافة إلى ذلك كثير الارتياب، وبداية حكمه كان إشارة للعديد من الإعدامات » [3].

كما خصّه فونتير دوبارادي في كتابه بعدة تعاليق، منها هذه المقتطفات : « بابا علي، رجل عسكري، شجاع، كريم ودموي ؛ تمكّن من تعويد اليولداش على الانضباط أكثر قليلا »[4]. و «كان شجاعًا جدًا، يسفك الدم بسهولة، ولكن أيضا كريم بشكل غير عادي. كانت خزينة الدولة تقريبا فارغة عند موته ؛ اغترف منها لإثراء زوجته وأبنائه » [5]،كما كتب « حكم عشر سنوات، كان رجلاً كريمًا جدًا، طيب الخلق، حَذِر وهو قادر على كل أصناف الوحشية، عندما يكون في حالة غضب. نسي سريعًا بأنّ رئيس الطّباخين هو الذي نصّبه دايًا، فخنقه سنة ونصف بعد ذلك »[6].

ولم يذهب لومار (André Alexandre Lemaire) في وصفه لهذا الداي بعيدًا، عما جاء به سابقوه، حيث عمل كقنصل في عهده ورجع إلى بلده في ديسمبر 1756م، بعد أن كان قضى

---

(1) - V.De Paradis, Op. Cit., N. 40, p. 273.

- ذكر أحمد الشريف الزهار أنّه عمل خزناجيًا مدة سبع سنين، ينظر : المصدر السابق، ص. 15. لكن هذا غير صحيح لأنّ كل المصادر تقول أنّه كان يعمل آغا، إضافة لكون الخزناجي الذي كان في عهد الداي السابق، جُرح أثناء قتل الداي ومات بعد ذلك خلال ساعات.

(2) - يقصد بالمطالب، الاحتجاجات التي كانت تتقدم بها الدول الأوروبية لدى الداي.

(3) - Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 249.

(4) - Op Cit., N.41, p. 72.

(5) - Ibid., N.40, p. 260, 261.

(6) - Ibid, N.41, p. 75.

فترة في الأسر بسبب مشكلة بين الإيالة وفرنسا[1]، حيث قال عنه : « إنّ الداي أحمق لديه نوبات طيش كطفل، لا يفكر في شيء قبل كما بعد إعطائه لأوامره. أبعد من حوله كل من يملك نصيبا صغيرًا من الرشد، واختار كوزراء له أشخاصًا يشبهونه »[2]. كما سجّل عنه طبعًا طريفًا يتميز به : « يحب الداي البستنة والأزهار، وإذا تظاهر السيد بيرو (Pérou)[3] بالذوق نفسه، وأرسل إليه باستمرار، مزهريات مملوءة بأزهار جميلة متفتحة، فسيمكنه التوصل ببراعة إلى إكتساب رضاه ؛ تفاهة من هذا النوع تؤثّر فيه أكثر من الأشياء الأكثر أهمية »[4].

رغم أنّه حكم طويلاً إلا أنّه مات في فراشه[5]. قال أحمد الشريف الزهار عن موته ما يلي : « لما مرض علي باشا الملقّب ببوصباع، نادى وزراءه وجمعهم، وهم : الخزناجي واغة العرب، وخوجة الخيل، ووكيل الحرج بباب الجهاد، ووكيل بيت مال المسلمين، وأوصاهم بولاية محمد باشا. بل أولاه، وأوصاه على أولاده. وإنّه خلف الحاج محمد وأخته وأمهما وهي أم ولد، علجة من إستانبول. وكانت وفاه علي باشا رحمه (كذا) يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان سنة 1179 »[6]. بدت صورة هذا الداي مزيجًا من الصفات السلبية، لكن الملفت للانتباه هو ما أورده دوبارادى، حيث اعتبره طيب الخلق وفي الوقت نفسه قادرًا على كل أصناف الوحشية عندما يكون في حالة غضب.

- الـــداي محمد بن عثمان خوجة (1766-1791م) :

اعتبره دوفرامون الأفضل من بين كل الدايات الذين تعاقبوا على عرش الجزائر[7]. أصله من قرمان[8]، انضم في البداية إلى هيئة "الكتاب" لمعرفته للقراءة والكتابة، ثم رقي إلى رتبة خوجة النوبتجية، أين عمل للسهر على حراسة الداي، ومن عمل الثقة هذا حصل على رضى بابا علي

---

(1) - L.Chaillou, Op. Cit., p. 3.

(2) - Ibid., p. 8, 9.

(3) - بيرو، هو القنصل الفرنسي الذي كتب لأجله القنصل لومار هذه المذكرات، لإعطائه فكرة عن كيفية حدوث الأمور في إيالة الجزائر.

(4) - L.Chaillou, Op. Cit., p. 9.

(5) - V. de Paradis, Op. Cit., N.40, p. 260.

(6) - المصدر السابق، ص. 23. 21 شعبان 1179هـ يوافق 8 أفريل 1766م. ويذكر عزيز سامح إلتر أن وفاته كانـــت في رمضان من السنة نفسها 1179هـ، ينظر : المرجع السابق، ص. 522.

(7) - يشاطره في هذا الرأي أغلب من كتب عن جزائر العهد العثماني، ينظر : Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 255 -

(8) - من منطقة تدعى (Meiri) في قرمان تقابل جزيرة رودس و Stanch، ينظـــر :

V. De Paradis, Op. Cit., N.40, p. 78, 262.

الداي السابق الذي عينه في وظيفة خزناجي[1]. وفي مرض سلفه لعب دورا مهما للحفاظ على الأمن وقمع حركات التمرّد، وتولى دايا بالإجماع بعد وفاة بابا علي[2].

وقال عنه فونتير دوبارادي : « اليوم (1788م) بابا محمد رجل تعدى 80 سنة، طويل جدًا، نحيل، يجر قدمه اليسرى قليلاً عند المشي، بسبب إصابة ركبته أثناء حصار وهران، له نظرة حادة غير لطيفة، لكن نظره ما زال جيدا، وكذا سمعه. عقله لم يضعف أبدًا، ويتمتع بصحة جيدة، والتي يدين بها لحكمته والحمية التي يتّبعها، لم يتناول قط دواءً في حياته » [3]، لم يبخل عليه فونتير دوبارادي بالمديح وممّا قال أيضًا : « مع ذلك يوجد في هذه الحكومة أشخاصا صالحين حقا. الداي الحاكم كان طول حياته رجلاً زاهدًا، عفيفا، طاهرًا، متواضعًا في لباسه، لا يحيا إلا لرخاء الدولة ؛ خوجة الخيل عثمان خوجة... ؛ إنّه مثل الداي تقي ومتقيد بالإسلام » [4]. لم يكتف دوبارادي بذلك بل أعطى أمثلة كثيرة عن الجوانب الجيدة في شخصية هذا الداي وطريقة حكمه، لكنه اشتكى من تقشفه الشديد[5]. وهذه الصفة انتبه لها كل من عايش هذا الداي، كتب فالبار عنه سنة 1772م : « يتمع بذكاء واستقامة أكبر من سلفه، لكنه بخيل جدًا » [6].

قال عنه أحمد الشريف الزهار : « وكان -رحمه الله- مؤثرًا للعدل والإنصاف ؛ عارفا بقوانين الملك ملتزما لأحكام الشريعة المطهرة. وكان يحب الجهاد، ووقعت في أيامه حروب كثيرة، ورزقه الله النّصر في جميع حروبه،...»[7]، كما تحدث عن تقشفه وعفته. وفي المقابل نجد أن هناك من تناوله بسلبية، حيث عبّر القنصل الفرنسي كورسي (Kercy) (1782- 1791م)، عن استيائه من حكومة الداي، واعتبر الداي مجرّد مهووس بالبخل[8]. كما أن كاثكارث سجّل موقفا للداي اتجاه أحد الأسرى اعتبره موقفا ظالما، ثم أعقب بالقول : « ومع ذلك فإنّ الداي محمد باشا عرف عنه

---

(1) - V. De Paradis, Op. Cit., N.40, p. 274.

- وفي تعليق لأوجين بلانشي، فإنّ محمد بن عثمان خوجة جاء للجزائر لبيع الأحذية، ينظر : Op. Cit., t.2, p. 293. -

(2) - De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 254.

(3) - Op. Cit., N.40, p. 78.

(4) - Ibid., p. 270.

(5) - اعتبره النقيصة الوحيدة لدى الداي، ينظر : Ibid, p. 256

ومع هذا أرجع الكاتب تقشفه، لعمل الداي على رخاء البلاد، ومما كتبه أيضا عن هذا الداي : « بابا محمد قوي، لطيف وإنساني، وصارم في كل ما يخص الأخلاق، ومما أنّه حكيم جدًا، ورصين، فأولئك الذين يرغبون في الترقي يهتمون كثيرًا بعدم ارتكاب أفعال يمكنها أن تزعجه، يتجنّب الخمر والنّساء أيضا ». ينظر : Ibid, N.41, p. 72, 73. (Note 2)

(6) - L.Chaillou, Op. Cit., p. 21.

(7) - المصـــدر الســـابق، ص 23.

(8) - F Charles - Roux, Op. Cit., p. 350.

أنّه أقل جميع دايات الجزائر ظلمًا واستبدادًا » [1].

مات هذا الداي، في سن متقدمة، بعد حكم طويل[2]، وإثر مرض قصير. وانتقل الحكم إلى الخزناجي حسن بوصية من محمد بن عثمان باشا نفسه[3]. استطاع هذا الأخير خلال الفترة الطويلة التي حكمها أن يكرّس صورة نادرة لحاكم عادل، عمل لرخاء بلده.

- الـــداي سيـــدي حسن[4] (1791-1798م) :

هو ابن أخ الداي السابق، وابنه بالتبني[5]. تقلّب في عدّة مناصب منها وكيل حرج ثم أصبح خزناجيًا، اضطلع بمهام مهمة وكثيرة داخل وخارج الإيالة حتّى أصبح الحاكم الفعلي أثناء مرض الداي محمد بن عثمان[6]. نافسه الآغا على الحكم، لكنه ظفر بالمنصب، ويقال أنّ الداي السابق أوصى له قبل موته[7].

يمكن تلخيص ما كتب حول شخصية هذا الداي، في العبارات التي أوردها احمد الشريف الزهار بخصوصه، قال عنه : « كان عارفا، عاقلاً وله فطانة في الأمور. غير أنّه في بعض الأحيان كان يعتريه الحمق حتّى يفعل أمورًا لا تصادف محلاً » [8].

اعتبره الفرنسيون رجلاً جيدًا[9]، كما قال عنه دوفرامون :« بالرغم من أنّ الداي الجديد

---

(1) - مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الانجليزية وعلق عليها وقدّم لها إسماعيل العربي، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص. 29.

(2) - حسب أغلب المصادر فإنّ حكمه استمر ما بين 1766م و 1791م. لكن عزيز سامح إلتر، يذكر أنّه وجد، رسالتين موجهتين من الباب العالي، خلال هذه الفترة، إلى إسماعيل باشا وحسين باشا، على أساس أنّهما حاكمان لإيالة الجزائر، وفسّر سامح إلتر هذا الأمر، بأن الأوّل أرسل لكنّه لم يستلم الحكم، بينما الثاني تسلّم الحكم، لكنه فشل، لذلك عُزل، وأرجع الداي محمد بن عثمان باشا، ينظر : المرجع السابق، ص. 553. (هامش 2).

(3) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 51، وكاثكارث، المصدر السابق، ص. 143.

(4) - هناك من يذكره تحت اسم حسين، ينظر : L.Ch. Féraud, " Éphémérides d'un secrétaire officiel sous la domination turque à Alger de 1775 à 1805", In R.A., N.18, An. 1874, p. 299

(5) - ربما يقصد أنّ الداي كان يعتبره مثل ابن له، ينظر : J.Cazenave, "un consul français en Alger au XVIII[e] siècle langoisseur de la Vallée", In R.A., An. 1936, p. 107. Et De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 262.

(6) - كاثكارث، المصدر السابق، ص. 124، 125، و De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 270.

(7) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 51، 52. و L. Ch. Féraud, "Éphémérides d'un secrétaire.....", Op. Cit., p. 299.

(8) - المصدر السابق، ص. 61.

(9) - لما قدّمه من مساعدات لفرنسا بسبب الأزمة التي عرفتها آنذاك، ينظر : F.Charles – Roux, Op. Cit., p.369, 370. ومع هذا فقد مرّت هذه العلاقة بفترات حرجة إلى درجة إعلان الداي الحرب على فرنسا (حرب 15) ساعة، ينظر : L. Chaillou, Op. Cit., p p. 175-184.

يتمتع بطبع طيب ومتسامح، إلى درجة قيامه بإلغاء عقوبة الإعدام بالنسبة لمعظم أنواع الجرائم، كما حسّن بشكل ملموس حالة الأسرى، لم تلبث ممارسته للحكم أن جعلته متشككًا وحذِرًا[1]، مثل أغلب أسلافه »[2]، وقال عنه الكاتب نفسه « ...لأنّ هذا الأمير لم يكن بخيلاً، ولا يسعى وراء المال إلا لإشباع رغباته المترفة، وللاستجابة لمتطلبات محيطه. كان ذا طبيعة فروسية،...لسوء حظه أصيب بأعلى درجات المرض العقلي الشائع بين الدايات ؛ نقص تام للاتزان العقلي، الذي يجعله يتصرّف تحت تأثير اللحظة، دون تفكير، مما يُسلّمه لفورات غضب غير مبرّرة... »[3].

يبدو أنّ لهذا الكلام ما يبرّره، فالمتتبّع لما أمكن رصده من سيرة هذا الداي يجد أحداثًا هامة وقعت أثناء حكمه مثل إتمام تحرير وهران، وإقراض فرنسا مبالغ هامة أثناء أزمتها دون فوائد. وفي الوقت نفسه أورد كاثكارت الذي عايش هذا الداي مدة لابأس بها عديد الحكايات الغريبة والطريفة عن سلوكه، مثل الخوف المبالغ فيه من القتل، وثورات الغضب. وعلى العموم فإنّ اتفاق النصوص المحلية والأجنبية على تمتُّع الداي سيدي حسن بصفات متناقضة، يجعلنا أمام شخصية غير متزنة.

كانت نهاية هذا الداي، بسبب العلاج السيء الذي تلقاه، حيث تحوّل تقيّح أصاب رجله إلى غنغرينة[4].

- الـــداي مصطفى (1798-1805) :

من الدايات المشهورين في تاريخ الإيالة تعود شهرته لعدة أسباب منها الأحداث التي عرفتها الإيالة أثناء حكمه، محليًا وخارجيًا، بالإضافة إلى الترف الذي عرف به، حيث بنى الكثير من المعالم بقيت تحمل اسمه لحد الآن. اسمه مصطفى بن إبراهيم[5]، قريب الداي السابق[6]، ووزيره الأوّل[7]،

---

(1) - هذا التشكك يدل عليه تغييره المستمر لموظفيه، هذا التغيير كان ملفتا للانتباه، ينظـــر :

- L. Ch. Féraud, "Éphémérides d'un secrétaire.....", Op. Cit., p p. 299-313.

(2) - Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 274.

(3) - Ibid., p. 276.

(4) - Ibid., p. 280.

(5) - A.Berbrugger, "La régence d'Alger sous le consulat et l'empire", In. R.A., N.15, An. 1871, p. 243.

(6) - فضّلنا كلمة "قريب"، لوجود خلط في ذكر نوع القرابة الموجودة بين هذا الداي والداي السابق، لكن المؤكـــد أنّـــه قريب له، حيث في أوّل رسالة بعث بها إلى فرنسا، يعلن فيها وفاة الداي حسن وتوليه كتب

"Le magnifique Pacha Hassan, notre oncle prince d'Alger, étant tombé malade il y a un mois, à succombé par l'ordre de dieu.." ينظـــر : E.Plantet, Op. Cit., t.2, p. 477.

(7) - الوزير الأوّل يُقصد به الخزناجي.

عمل بوظائف متواضعة جدًا، قبل أن يترقى إلى رتبة خزناجي[1]، وبعد وفاة الداي حسن قبل بصعوبة منصب الداي[2].

كالمعتاد، عند الحديث عن الدايات، فالمتأمل لما كتب حول شخصية الداي مصطفى، يجد تناقضا واضحًا، ففي حين نجد أحمد الشريف الزهار يقول عنه : « ولما توفي حسن باشا، تولى حفيده مصطفى الخزناجي، وكان رجلاً صالحًا، حليمًا كريمًا محبًا للعلماء والصلحاء رحيمًا بالفقراء والأيتام، محبًا للمجاهدين والغزاة وكان شجاعًا -رحمه الله- »[3]، وكذلك كُتب عنه في مخطوط عربي، لشخص مجهول، عمل كموظف لدى باي التيطري إبراهيم بورصالي، وقد يكون عمل لدى الداي نفسه، ما يلي : « ذلك ما حدث ودونته لحفظ الذكرى السعيدة لحاكمنا السيد مصطفى باشا، الذي هو أمير ذو هيئة جميلة، ومتسامح جدًا، ولا يسمح بقتل الأشخاص الذين يتقيدون بنظام العدالة، الذي وضعه محمد، نبينا -عليه الصلاة والسلام-. أطال الله وجوده وأعطاه من الخيرات والمسرات »[4].

نجد غيرهما يرى عكس ذلك تمامًا، فجون بون سانت أندري (Jean-Bon-Saint-André)[5] اعتبره : « رجلاً أحمقًا تمامًا، وعنيدًا »، كما وصفه بالجاهل والمزهو بنفسه[6]. وكتب عنه القبطان لوماي[7]، كلامًا قاسيًا : «عبارة عن حيوان متوحش لا يعرف القراءة ولا الكتابة، بعد أن كان راعيا للغنم في المشرق، أستقبل في الجزائر كبواب[8] للخزناجي أو الوزير الأوّل، الذي أعطاه مكانه عندما أصبح دايًا.... في الواقع لم يوجد أبدًا حاكمًا أكثر حمقًا ؛ لكن

---

(1) - M.Emerit "Alger en 1800, d'après les mémoires inédits de le Maye", In revue d'histoire maghrébine, N.2, Juillet 1974, p. 175 et De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 280.

(2) - أرجع دوفرامون رفضه للمنصب، إما لكونه يعرف عدم كفاءته أو بسبب خوفه، ينظر : Ibid., p. 280. -

(3) - المصدر السابق، ص. 71.

(4) - L.Ch. Féraud, "Éphémérides d'un secrétaire .....", Op. Cit., p. 317.

(5) - عمل كقنصل في الجزائر، وكتب مذكراته كإجابة على لائحة من الأسئلة، طرحها عليه وزير خارجية فرنسا آنذاك تاليران (Talleyrand)، هذه اللائحة تتكون من 18 سؤال، أحد هذه الأسئلة، ماهي طبيعة هذا الداي ؟ ينظر : F.Charles - Roux, Op. Cit., p. 399, 400.

(6) - Ibid, p. 408, 409.

(7) - لوماي : قبطان فرنسي، أسر في الجزائر لمدة سنتين تقريبًا (من 10 أفريل 1799م إلى 7 سبتمبر 1800م)، كتب ملاحظاته حول الجزائر، ينظر : M.Emerit, "Alger en 1800 .....", Op. Cit., p. 171

(8) - ذكر دوفرامون، أنه عمل كفحّام، ثم ككنّاس لدى وكيل الخرج، ينظر : Histoire d'Alger ...., Op. Cit., p. 280

رغم جهله، ليس من السهل السيطرة عليه كما يتوهم منافسوه. يظن نفسه ملك الملوك الأقـدر بامتياز »[1]، والشيء نفسه بالنسبة لدوڤرامون، الذي أسهب في ذكر مساوئه[2]. أمّـا مـرّوش فأعتبر الداي مصطفى شخصًا غريبًا، اختلفت بشأنه الشهادات لكنّها اتّفقت حول نقطتين، بأنّـه ساذج وبليد، ومسيطر عليه من طرف خزناجيه[3].

عرفت الإيالة أثناء حكمه، أشهر الثورات المحلية، كما تعرّض لعدة محاولات اغتيال نجا منها بأعجوبة، ليُقتل في الأخير على إثر الثورة التي قامت ضد اليهود، فرغم التنازلات التي قدّمها لأجل النجاة بنفسه، كاستباحة المدينة أمام المتمردين، انتهى بخنقه وجرّ جثته في شوارع المدينة ليُرمى به أمام باب عزّون[4].

- الـداي أحمد خـوجة (1805-1808م) :

حسب أغلب الروايات، فإنّه هو من قاد التمرّد ضد الداي السابق، وكان هذا الأخير قد عزله من منصبه ككاتب من بين الكتاب الأربعة، أو الدفتر دار[5]. اعتلى كرسي الحكم من طرف الجنود دون رضى منه[6].

قـال عنه دوڤرامون : « شكّل أحمد تضادًا موفقًا مع سلفه، كان متعلما بشكل لطيف، ذا طبع هادئ ومتزن. نلاحظ بسرعة بأنّه يحب أن يحكم بنفسه ؛ ...»[7].

لكن هذا لم يكن أبدًا رأي أحمد الشريف الزهار، الذي قال عنه : « وكان سفاحًا لدماء المسلمين من غير شرع. إلا أهل البلد (الجزائر) عصمهم الله منه. ومن ظلمه أنّه قتل رجلاً كان كبير أعراب البادية، وقتل ابنه وكان هذا الرجل خديم الصالحين وخصوصا الشيخ عبد القادر نفعنا الله به قتله لكونه اشترى منه بستانه (وهو ابن سحنون) »[8]، كما أبدى حمدان بن عثمان خوجة

---

(1) - M.Emerit, "Alger en 1800.....", Op. Cit., p. 175.

(2) - وصفه بالخواف والجاهل والعنيف، ومروره بحالات جنون حقيقية وعدم كفاءته، إضافة لطمعه وحبه للمال، حيـث تحدث عن إيذائه الكبير لإفراد من عائلة الداي السابق، وعائلته هو للحصول على المـال، وكـذا معانـاة قناصـل الدول بسبب طمعه، ينظـر : Histoire d'Alger ...., Op. Cit., p. 280.

(3) - Recherches ..... I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit., p. 187.

(4) - De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 283, 284.

(5) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 88، 89.

(6) - E.Plantet, Op. Cit., t.2, p. 508 (Note 1).

(7) - ذكر دوڤرامون أن ممارسة هذا الداي للحكم جعلته يصبح شيئا فشيئا عنيفا ومستبدًا مثل أسلافه، حتّى أنّه كاد يقتل مبعوث السلطان العثماني، ينظـر : Histoire d'Alger ...., Op. Cit., p. 285, 287.

(8) - المصـدر السـابق، ص. 99.

استياءً كبيرًا من هذا الداي، حيث لم يتقبل قتله للداي مصطفى، كما كتب : « لقد ارتكب هذا الرجل، أثناء ولايته، عددا من الجرائم... » [1].

ورث هذا الداي حالة من الثورات الداخلية، ومشاكل خارجية عمل على التصدي لها، نجح في بعضها وأخفق في أخرى، كما روى بوثان (Boutin) تفاصيل محاولة قتل هذا الداي، حيث ثار عليه جنود كان قد بعثهم إلى قسنطينة، لكنهم قتلوا بايها وتحالفوا مع حاكم تونس ضده، مما تسبّب في فزع الداي حتّى أنّه طلب من الفرنسيين مساعدته على الهرب على متن إحدى سفنهم، لكن تحول الأمور لصالحه، جعله يعدل عن الأمر[2]. لكن ثورة أخرى أنهت حياة هذا الداي، ولقي مصير سابقه، حيث قطع رأسه وأهين جسده في شوارع المدينة[3].

إنّ التناقض الذي سجلناه بين النصوص المحلية والأجنبية بشأن الداي أحمد وكذا سلفه، يكشف عن اختلاف في الذهنيات، وبأن لكل فريق مرجعيته التي يقيس على أساسها الأمور.

- الـــداي علي خوجة الغسّال[4] (1808-1809م) :

هو علي بن محمد بوجوالق[5]، المكنّى بالغسّال[6]، عمل كوكيل لمصلى صغير، ثم مسؤول التشريفات في القصر[7]. بايعه الجند بعد قتل سلفه[8].

قـــال عنه دوڤرامون : «كان أبلهًا، متعصبًا وقاسيًا...» [9]، أما حمدان بن عثمان خوجة فنعته بالمجهول، كما اعتبره آلة في خدمة الأتراك، يستعملونها لتنفيذ مشاريعهم، لأنّه كان عاجزًا

---

(1) - المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشـــر والتوزيـــع، الجزائـــر، 1982م، ص. 150.

(2) - F.Charles - Roux, Op. Cit., p. 460, 461. Et De Grammont, Histoire d'Alger...., Op. Cit., p. 289.

(3) - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 151 و De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 289
ذكر دوڤرامون أنّ أهم سبب لقتل هذا الداي، إضافة إلى تحميله سبب هزيمة الجيش مع تونس، هو كون هذا الداي، خالف العادات القديمة، حيث أسكن زوجته معه في قصر الجنينة.

(4) - ذكر في التشريفات تحت اسم علي باشا بورصالي، ينظـــر : A.Devoulx, Op. Cit., p. 85.

(5) - الجوالق هي الخرق البالية من القماش.

(6) - فسّر البعض هذه الكنية، بكونه امتهن غسل الموتى، ينظـــر : De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 289
أما عبد الرحمن الجيلالي، فأرجع هذه الكنية، لكثرة سفكه للدماء، ينظـــر : المرجع السابق، ص. 307.

(7) - De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 289 .

(8) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص. 103.

(9) - Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 289

عن الحكم وعن فرض طاعته[1].

كانت مدة حكم هذا الداي قصيرة، أربعة أشهر[2]، بدأت بقضائه على موظفي سلفه، وانتهت بفوضى وفتنة، حيث أنّه وبعد عدم تمكّنه من دفع رواتب الجند سمح لهم بنهب المدينة، لكن قسم آخر من الجند بمعية السكان تصدّوا لهذه الفكرة، وانتهى الأمر بتغلّب القسم الثاني، وإجماعهم على قتل الداي، فعرضوا عليه تسميم نفسه لكنه رفض لأسباب دينية، فقاموا بخنقه[3].

إنها صورة قاتمة عن الداي علي الغسّال، لكنها تبدو واقعية، خاصة بعد الخطوة الأخيرة التي أقدم عليها وهي السماح للجند بنهب المدينة، حتى يحفظ حياته.

- **الـــداي علي خوجة شريف** [4] (1809-1815م) :

هو الحاج علي شريف[5]، أو الحاج علي باشا أماسيالي، نسبة إلى مدينة أماسيا بالأناضول التي ولد بها[6]. عمل قبل توليه كخوجة للخيل[7]، وكان يلبس عمامة خضراء، للدلالة على أنّه من الأشراف[8]. بعد مقتل الداي السابق، أنتُخب وأُجلس على كرسي الحكم[9].

ظهر هذا الداي في كتاب باناني على أنّه الأكثر دموية بين كل الدايات، ومما كتبه بخصوصه ما يلي : « ... قام علي بالحج ليس أقل من ثلاث مرات ؛ وعليه فإنّه ينظر إليه كقديس ورغم ذلك فهو أكثر رجل مسلم متعصب ؛ العدو اللدود للمسيحيين : لم يُهمل قط أتفه ممارساته الدينية وأكثرها خرافية، كما لم يُفوت أي مناسبة للقيام بعمل انتقامي ؛ يظهر فيه مسرورًا بشكل متميز. بالإضافة إلى اهتمامه الدقيق بوضوءاته وصلواته اليومية ؛ يظهر أنّ الاستحمام، بين الحين

---

(1) - المصـــدر الســـابق، ص. 151.

(2) - A.Devoulx, Tachrifat ....., Op. Cit., p. 85

(3) - De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 289, 290.

(4) - ذكر شالر أنّه كان يُلقب بالنمر، بسبب ما أشتهر عنه من القسوة، ينظر : المصدر السابق، ص. 162.
وكتب عبد الرحمن الجيلالي بأنّه كان معروفا بلقب "خدا ويردى"، ينظر : المرجع السابق، ص. 309.

(5) - الآغا عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 256.

(6) - الحاج علي باشا أما سيالي، هو الاسم الذي ذكر به هذا الداي في كتابة أثرية (كتبت بالتركية) لمصنع للبارود يسمى "دار البارود"، ينظـــر : G.Colin, Op. Cit., p. 196, 197.

(7) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 105.

(8) - المصدر نفسه، ص. 105.

(9) - انفرد أحمد الشريف الزهار، برواية ظريفة عن تولي هذا الداي، وهو أنّه دخل دار الإمارة دون أن يتعرّض له أحد في وقت من المفروض أنّه غير مسموح له بذلك، فجلس على كرسي الحكم وبايعه الحاضرون، ثم أمر بقتـــل الـــداي السابق، ينظر : المصدر نفسه، ص. 105.

والآخر، بدم البشر، أصبح موضوعًا يخص الإيمان بالنسبة لعلي. لهذا فالاغتيالات المتكرّرة التي طبعت حكمه، بعثت على الاعتقاد، فيما بين رعاياه المخلصين، بأنّه المستبد الأكثر دموية، والذي لم يحكم مثله الجزائر من قبل»[1]، كما قـــال عنه : « كان حاجي علي باشا في الخامسة والخمسين من العمر تقريبًا، له أطرف قوية وشكل مقبول ؛ لكن جسمه الممتلئ[2] يدل على عقل صدئ من الترّوات الأسوء : ترى فيه رجلاً تطوقه أفكارًا سوداءً وقاتمة...»[3]، لم يكن باناني هو الوحيد الذي صوّر هذا الداي بهذا الشكل[4]، حيث كتب حمدان خوجة : « ولقد برهن هذ الأخير على نوع من الكفاءة ولكنّه كان سفاحًا ؛ فقتل كثيرًا من العرب وبعض أعيان البلاد دون أن يرتكبوا أية جريمة » [5].

انتهت فترة حكمه (1809–1815م)، بطريقة مأساوية، وسواءٌ أقتل مسموما[6]، أو ذُبح في الحمام[7]، فقد كانت هناك أسبابا كافية بالنسبة للمحيطين به للإقدام على هذه الخطوة[8]. إنّها صورة قاتمة أخرى لداي دموي، يتظاهر بالتقوى ويدّعي النسب الشريف.

- **الـــداي الحـــاج محمد** (1815م) :

رجل مسن، كان يعمل خزناجيًا. أرغم[9] على تولي منصب الداي، بعد أن فوجئ بمقتل

---

(1) - Narrative of a résidence in Algiers, With notes and illustrations by Edward Blaquiere, Esq. R.N. printed for Henry Colburn, London, 1818, p. 296, 297.

(2) - كتب شالر : «كان الداي الحاج علي، على الرغم من ضعف بنيته وتقدمه في السن، يحتفظ في قصره بحريم كبير ». ينظـــر : المصدر السابق، ص. 163.

(3) - Op. Cit., p. 297.

(4) - هذه الصورة هي نفسها التي نجدها عند دوفرامون، وكذلك عن دمويته نجد أحمد الشريف الزهار، يورد أمثلة كثيرة.

(5) - المصـــدر الســـابق، ص. 151.

(6) - Pananti, Op. Cit., p. 298.

(7) - أحمد الشريف الزهـــار، المصدر السابق، ص. 111، 112. و De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 292 لقد أشار دوفرامون أن هذا الحمّام كان مسرحًا لترواته المخزية.

(8) - أهم الأسباب التي ذكرت هي إفراطه في القتل، حيث ذكر باناني أنّ اعتلال صحة الداي جعلته أكثـــر خطـــورة. وبهذا الشأن، كتب حمدان خوجة : «كان الحاج، بعد أن استولى على زمام الحكم في الجزائر، يشعر بتفوق كبير في العلوم والمعرفة، ولذلك احتقر وزراءه وآراءهم ؛ وعندما أهين هؤلاء الأخيرون وملأ الرعب قلوبهم وضعوا مشروعًا يهدف إلى التخلص منه ». المصدر السابق، ص. 152.

(9) - كتب شالر بهذا الخصوص : « والشيء، الذي نعرفه اليوم عن هذا الشخص قليل ولا يكاد يتجاوز أنّه رجل معتدل ومتقدم جدًا في السن. وقد رفض الخزنجي بكل حزم المنصب المحفوف بالأخطار الذي عرض عليه، ولكنه قيل له أن عليه أن يختار بين التاج والموت »، ينظـــر : المصدر السابق، ص. 163.

الداي السابق[1]. قال عنه حمدان خوجة : « ... واستبدل بخزناجيه المسمى الحاج محمد باشا. ويعتبر هذا الأخير نموذجًا حقيقيا للأتراك القدماء، إذ كان رجلا فاضلاً، وكان من الممكن أن يحكم مدة أطول لو لم يتعرّض لخيانة آغاه المسمى عمر »[2].

قتل هذا الداي على أكثر تقدير بعد سبعة عشر يومًا من حكمه[3] ؛ يُرجع البعض قتله لاتهامه بقيام ابنه بسرقة المال من الخزينة[4]، ويرى البعض الآخر أن سبب قتله هو محاولته القيام بعملية إحصاء للجنود، حيث كانت هذه العملية مدعاة للتشاؤم بالنسبة للشرقيين، كما أنّها تكشف ضعف هذا الجهاز المتنفذ في الدولة[5].

- الـــداي عمر آغـــا (1815-1817م) :

هو عمر بن محمد[6]، ولد في جزيرة "ميتلين"[7] (ليسبوس القديمة). قيل أنّه ينحدر من أصل يوناني اعتنق الإسلام. تولى الحكم في الثالثة والأربعين من العمر، وكان قد وصل إلى الجزائر قبل ذلك بعشر سنوات، رفقه أخيه[8]، حيث جال في البلاد وعرف خباياها إلى أن عين آغا، ولما أظهر الحنكة والشجاعة في هذا المنصب، عُرض عليه كرسي الحكم عدة مرّات كانت آخرها عند مقتل

---

(1) - أحمد الشريف الزهـــار، المصدر السابق، ص. 112، 115.

(2) - المصـــدر الســـابق، ص. 152.

(3) - A. Devoulx, Tachrifat ...., Op. Cit., p. 85.

- ذكر شالر أنّه حكم أربعة عشر يومًا، ينظر : المصدر السابق، ص. 163. أما دوفرامون فذكر أنّه حكم خمسة عشر يوما ثم أدخل السجن ليخنق هناك، ينظـــر : Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 292.

(4) - حيث قال أحمد الشريف الزهار، أنّ الآغا عمر هو من ادعى هذا الأمر للتخلص من الداي، ينظر المصـــدر الســـابق. ص. 115، وعلّق أحمد توفيق المدني أن السبب الحقيقي هو أنّه كان يعلم أنّ عددًا كبيرا من الجند لم يكن له وجـــود وكان خزناجيًا مدة طويلة واطلع على جلية الأمر وعلم أن عددا من الموجودين كان يتسلم مرتبات ومخصصات الجند المفتعل، فأمر عندما تولى الحكم بتصحيح دفاتر الجيش وإلغاء مرتبات الذين لا وجود لهم. فأثار أصحاب الفتنة وعلى رأسهم الآغا ثائرة الجند.

(5) - De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 292

(6) - هكذا أمضى رسالة إلى السلطان العثماني في 5 جمادى الثانية 1230هـــ/16 مـــاي 1815م، ينظـــر : عبـــد الجليـــل التميمي، بحوث ووثائق ....., المرجع السابق، ص. 247.

(7) - ميتلين أو ميتلان هي الجزيرة التي جاء منها الإخوة بربروس، وما يؤكّد ذلك ما جاء في كتابة أثرية كتبت بالتركية تشير إلى أنّ الداي عمر والإخوة بربروس هم الأصل نفسه ، ينظر : G.Golin, Op. Cit., p. p. 200-202.

(8) - تمتع أخوه هذا بالكفاءة مما جعله يتبوأ منصبًا رفيعًا في المقاطعة الشرقية، لكنه قتل بأمر من أحمد باشا. ينظـــر : شالر، المصدر السابق، ص. 162.

الداي علي لكنه أصرّ على تعيين الخزناجي محمد، ومن ثم عمل على قتله وتولى مكانه[1].

أما عن شخصية هذا الداي، فقد أبدى شالر، القنصل الأمريكي الذي واكب فترة حكم الداي عمر، ولم يكن مؤيدًا لنظام الحكم في الجزائر، إعجابا بشخصية عمر، كما دافع عن بعض قراراته، ومما قاله عنه : « فأما قامته، فتبلغ خمسة أقدام عشرة أو إحدى عشرة بوصة (175سم). وهو قوي البنية نشيط الحركة جميل المظهر ولونه يميل إلى السمرة. ولحيته كثيفة الشعر سوداء لامعة وقد وخطها الشيب، وملامحه منتظمة وعيناه سوداوان معبّرتان ولكنه لم يكن ينظر إلى أحد في وجهه مباشرة ولا يرتفع بصره إلى الشخص الذي يتحدث معه إلا بصورة خاطفة. ومظهره العام يتسم بالوقار. ومتى كان مزاجه رائقا يكون مجلسه ممتعا ويسحرك بأخلاقه. ولكنه حينما يأخذه الغضب يصبح وجهه أدكن، ومنظره حزينا ولا يجرأ أحد على الاقتراب منه. على أنّ تصرفاته دائما تدل على النبل، وفي بعض الأحيان يصدر عنه ما يدل على المودة والصداقة. وقد اشتهر بضبط النّفس بحيث لم يعرف عنه أنّه فقد توازنه في مناسبة من المناسبات. وفي بعض الأحيان يتردّد قليلا في الحديث ويبدو أن كبرياه (كذا) لم يكن يغطي في عينيه جهله »[2]. كما قال عنه : «كان الداي عمر يتمتع بعقل راجح وإدراك سريع، وكان نبيل الشخصية... وأما في حياته الخاصة فقد عرف عنه أنّه ميال للاعتدال والأخلاق الفاضلة والامتثال لتعاليم الدين الإسلامي الذي يدين به[3]... وبعدما ارتقى العرش، ذكرت له عدة خصال تدل على الصداقة والعرفان، وأنا لم أسمع أحدا قط يتهمه بالحياد عن طريق العدل والصواب »[4]، ولم يكتف شالر بهذا بل أورد مواقفًا حدثت لهذا الداي أظهر في بعضها القسوة، وفي أكثرها برز بقلب يفيض تسامحًا ورقة[5]، ونختم مع شالر بهذه الكلمات : «كان الداي عمر ذا صفات أخلاقية رفيعة، ولكنه كان ضيق أفق التفكير في الشؤون الدينية والسياسية معا. فإن أي اعتداء على حدود الشّرع

---

(1) - Pananti, Op. Cit., p. 299. et De Grammont, Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 292.
و أحمد الشريف الزهـــار، المصدر السابق، ص. 112، 115.

(2) - المصـــدر السابق، ص. 160، 161.

(3) - كما قال عنه شالر : «كان الداي عمر متزوجًا بزوجة واحدة وله منها ثلاثة أطفال وقد كان يقضي أوقات فراغـه في منزله وبين أفراد أسرته حيث يجد كل سعادته »، ينظـر : المصدر نفسه، ص. 161.

(4) - المصـــدر نفســـه، ص. 160، 161.

(5) - الحادث الذي يدل على قسوته هو قتله لنساء الداي علي (1809-1815م) جميعًا. أما موقفه المتسامح، فهـو عفـوه عن من حاول قتله، أما منظر رقة قلبه فكان دموعه الغزيرة التي سالت عند توديعه لأمه وابنـه، ينظـر : المصـدر نفسه، ص. 163، 173، 174.

يتعرض صاحبه للعقاب الشديد في عهده... ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية عمر ... وتقديرها حق قدرها، إلا إذا عرفنا شخصية الداي العادي في الجزائر. لقد حل محل العن والوحشية والجهل، بارتقاء عمر باشا العرش، مظهر النبل والوقار والعدل والرحمة، وإنّه لمن حس الطالع أن هذا المثال الرائع لا يزال يحتذيه خلفاؤه من بعده »[1]. ولم يخرج بانتي عن هذا الإ حيث كتب عنه : «... كان عمر حينئذ يناهز الخمسة والأربعين سنة، ومن أوسم الرجال في الإيالة ؛ يمتلك مواهب رائعة، جريء وحازم »[2].

لكن يبدو أنّ من كتبوا عن هؤلاء الدايات اتفقوا على أن لا يتفقوا حيث كتب حمد خوجة : « وكان عمر، أيضًا سفاحًا ! وكانت الظروف تكاد تكون دائما غير مؤاتية له...»[3]. ولم يخرج أحمد الشريف الزهار عن هذا السيّاق : « ... ومن ولاية هذا الظالم تقهقرت بلاد ورجعت إلى الوراء ... وهذا كله من فساد رأي الأمير (عمر)، ورأي المفسدين من العسكر »[4]. كما كتب عنه : « وكانت دولته وأيامه كلها عكس ومصائب : الجراد، والغلاء، ومصيبة موت حميدو، ومصيبة إنكليز (كذا)، وكان سفاحا للدماء »[5].

في الواقع لقد لعب هذا الداي دورًا مهما في الإيالة قبل توليه، وأبدى شجاعة نادرة وحد كبيرين في معالجة الأمور، لكن الظرف الذي حكم فيه كان صعبًا جدًا، خاصة على المستو الخارجي، حيث عرفت الساحة الدولية تطورات خطيرة انعكست بشكل مباشر على الإيا فكان مطلوبًا من الداي القيام بأكثر مما يستطيع، ويقال أنّ توالي الكوارث على الجزائر في فد حكمه، جعل النّاس يتشاءمون منه[6]، وبهذا رُسمت النهاية المأساوية للداي التي صوّرها دوڤرام كما يلي : « في 08 أكتوبر[7] بعد أيام من دخول معسكر الشرق، اجتاحت عصبة من المجرم الجنينة، وخنقت الداي، مات دون ضعف[8]، تاركا ذكرى أحد أفضل الأمراء الذين

---

(1) - المصـــدر السابق، ص. 172، 174.

2) - Op. Cit., p. 299.

(3) - المصـــدر السابق، ص. 152.

(4) - المصـــدر السابق، ص. 125

(5) - المصـــدر نفسه، ص. 127.

(6) - يظهر هذا خاصة في المقاطع التي أوردناها عن حمدان خوجة وأحمد الشريف الزهار، ينظر كذلك : شالر، المصـــ السابق، ص. 172.

(7) - حكـــم بين 1815 و 1817م.

(8) - عن المشهد المأساوي لقتله، ينظر : أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 131.

يحكموا الجزائر من قبل »[1].

إنّ التباين الواضح بخصوص صورة الداي عمر بين المصادر الأجنبية المتعاطفة معه، والمحلية المتشائمة من فترة حكمه، تؤكّد مرّة أخرى على اختلاف في الذهنيات بين الفريقين.

- **الـــداي علي خوجة** (1817-1818م) :

يعرف بالحاج حافظ[2]، وهو صهر الحاج مصطفى بن الشيخ مالك[3]. حسب أحمد الشريف الزهار فإنّه أحد خوجات (كتاب) "الترك"[4]، أما شالر فقال : « وأمّا لقب الخوجة فقد كان الأتراك هم الذين أطلقوه عليه، ولكنه لم يمارس قط مهنة الكاتب »[5]. ولا تذكر المصادر مميزات لاختياره من طرف الجند ليصبح دايًا بعد مقتل الداي عمر، وفي هذا الصدد قال حمدان خوجة : « وقام علي، وهو رجل مجهول ومعتوه، فاغتنم هذه الفرصة وجمع الجيوش ثم استولى على مقاليد الحكم في الجزائر»[6].

ولقد اخترنا هذه المقتطفات مما كتبه شالر حول هذا الداي « كان علي خوجة رجلاً ذكيًا طيبًا وذا مواهب، ولكنه كان معروفا بالوقاحة وسرعة الغضب،... كان...، رجلاً كثير العمل واسع الإطلاع، ولربما كان أكبر عالم متطلع في الجزائر في ذلك الوقت...والغريب أنّه بعدما ارتقى العرش بأعمال دموية قاسية كان دائمًا يدّعي العلم والتقوى. وفي مناسبات الأعياد والحفلات الرسمية التي يستقبل فيها قناصل الدول الأجنبية، كان هؤلاء يمرّون في طريقهم إليه على عشرات الجثث، ولكنهم عندما يصلون إلى قاعة الاستقبال، يجدونه يرتدي أفخم الأزياء، ومحاطًا بالحرس، وبين يديه كتاب، وعندئذ يتظاهر بأنّ القنصل قد قطع عليه التأمل والقراءة فيلقي بالكتاب جانبا في عجلة. كان علي خوجة مقتنعًا بأنّه قادر على إعادة المجد إلى الجزائر مع قوتها البحرية ... »[7].

مما لاشك فيه، أنّ هذا الداي قام بثورة في الإيالة بتغييره لمقر الحكم وتقريبه للسكان

---

(1) - Histoire d'Alger... Op. Cit., p. 296, 297.

(2) - هكذا جاء اسمه، في فرمان من الباب العالي، ينظر : عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 613 (هامش 2).

(3) - هذا التصاهر يعتبر أحد مظاهر التقرّب من السكان الأصليين، ينظر : أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص. 138.

(4) - المصدر نفسه، ص. 131.

(5) - المصدر السابق، ص. 175.

(6) - المصدر السابق، ص. 153.

(7) - المصـــدر السابق،ص. 174، 175.

الأصليين ومحاولته القضاء على الإنكشارية، بالإضافة إلى إصداره مجموعة من القوانين مخالفة لـ كان سائدا، كل هذا جعل من كتبوا حوله ينقسمون إلى فريقين : فريق اعتبر سياسته محكمة ورشيدة[1]، وفريق اعتبرها إيذانًا بخراب الإيالة[2]. لكن نتائج حكمه لم تُعْرَف، حيث أنّ انتقا إلى القصبة حماه من ثورات الجند المتكرّرة، لكنه لم يحمه من الطاعون[3] الذي قضى عليه بعد فت قصيرة من الحكم[4]. إنّ صورة هذا الداي قد تأثرت بشكل واضح، بالطريقة التي استقبلت به سياسته، سواء بشكل إيجابي أو سلبي.

- الـــداي حسيـــن (1818-1830م) :

هو حسين بن حسن[5]، أُختلف في تاريخ ولادته بين 1764م[6]، فبراير 1768[7] و1779[8]م، نشأ في عائلة ميسورة الحال، في مدينة صغيرة بآسيا الصغرى اسمها صندوقلي على بعد ثلاث مراحل من كوتاهية[9]. تعلم في بلدته الكتابة والقراءة، ثم في سن الرابعة والعشرين انتقل إلى

---

(1) - أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988، ص. 27.

(2) - هذا التعبير استخدمه حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 153، وممن وافقه الرأي شالر، حيث قال : « لقد كان عهد علي خوجة...عهد مذلة وسوء حظ للإيالة ». المصدر السابق، ص. 176. الغريب في الأمر، هو ذلك الفرق الكبير بين رأي حمدان خوجة وأحمد الشريف الزهار، حيث أنّ المتتبع لما قام به هذا الداي من تقريب للسكان الأصليين والكراغلة، كان من المفروض أن يجعل حمدان خوجة في صفه، لكن العكس حصل، بينما يبدو أنّ أحمد الشريف الزهار كان معجبا بما قام به علي خوجة، بل يمكن القول أنّه كان يتمنى لو أنّ صهر الداي ابن مالك تولى مكانه، حيث كان بإمكانه حسب هذا الأخير التحصّن بالقصبة وبالسكان، من الأتراك الذين لم يعد لهم أي سطوة في عهد علي خوجة، ينظر : المصدر السابق، ص. 142، 144.

(3) - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 153، وشالر، المصدر السابق، ص. 176. وأحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 131. و De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 298.

(4) - حكم بين سنتي 1817 و 1818م هناك من يذكر أنّه حكم بين سنتي 1816 و 1818م وبهذا يكون الداي عمر حكم بين سنتي 1815 و 1816م.

(5) - رغم اختلاف المصادر في ذكر اسمه، فإنّ حسين بن حسن هو الاسم الذي نجده في ختمه على الرسائل.

(6) - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص. 331.

(7) - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (مقال زيارة الداي حسين باشا لباريس 1831م)، ج.3، ط.1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص. 243.

(8) - عزيز سامح إلتر ، المرجع السابق، ص. 616.

(9) - أختلف في مكان ولادته، لكننا اخترنا ما جاء في مقال أوغسطين جال (A.Jal)، الذي ترجمه أبو القاسم سعد الله والذي يبدو أكثر دقة، ينظر : أبحاث وآراء ....., المرجع السابق، ص. 243.

إسطمبول أين أصبح جنديا في فرقة المدفعية والقنبلة (قومبراجي) لمدة ثلاث سنوات، ومن هناك انتقل إلى الجزائر[1]، أين أثار إعجاب الداي عمر الذي لقبه بخوجة وعينه إماما[2]، كما شغل منصب كاتب مخزن الزرع[3]، ويبدو أنّه اضطلع بمسؤوليات كثيرة في هذه الفترة، أما في عهد الداي علي فقد تقلد منصب خوجة الخيل[4]، ليوصي له بالحكم من بعده[5]، وبهذا تمت مراسيم التعيين في الجزائر للمرة الأخيرة رغم رفضه[6].

وصفه أوغسطين جال[7]، قائلا : « لقد كان عجوزًا بقامة متوسطة، يميل إلى السمنة، ولكن مظهره يدل على أنّه ما يزال يتمتع بحيوية كبيرة رغم أنّه قد بلغ الثالثة والستين سنة. وله هامة عظيمة وواضحة المعالم. وله لحية بيضاء طويلة ذات تموجات ذهبية، يعلوها شارب أكثر سوادًا وكأنّه يشكل قوسين للحية. وكل ذلك يضيف وسامة إلى ملامح وجهه. وللباشا عينان هادئتان نصفهما مختبئ وراء نظارات بيضاوية... ولم يكن حسين متجهما ولا جامدا...، فهو يحب الضحك والحكاية. ويبدو أنّه كان يتمتع بثقافة أكبر من الثقافة المعهودة عند أهل الشرق، وكانت ردوده على الأسئلة حية وروحية. وله طيبة يمكن أن تكون سذاجة تجعله محبوبًا أكثر لدى الناس،

---

(1) - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء .....، المرجع السابق، ص. 244.

(2) - المرجع نفسه، ص. 246. (يذكر بعض التفاصيل عن طبيعة عمله ومكانته).

(3) - أحمد الشريف الزّهار، المصدر السابق، ص. 132.

(4) - المصدر نفسه، ص. 132. لقد استغرب الكثيرون هذا التعيين حيث أن الداي علي كان قد تخلّص من كل موظفي الداي عمر، لكنه احتفظ بالداي حسين، اللذان (الداي علي والداي حسين) حسب جال لا يتمتعان بالطباع نفسها. ينظر كذلك : De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 298

(5) - أحمد الشريف الزّهار، المصدر السابق، ص. 141. وأبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص. 247.

(6) - حسب جال، هذا ما جاء على لسان الداي حسين، ينظر : المرجع نفسه، ص. 248. و
- De Grammont, Histoire d'Alger..., Op. Cit., p. 298.

(7) - هو صاحب المقال الذي ترجمه أبو القاسم سعد الله، تحت عنوان، زيارة الداي حسين باشا لباريس 1831م، وحسب أبو القاسم سعد الله، فإنّ أوغسطين جال، كاتب ومؤرخ فرنسي، شارك في الحملة الفرنسية ضد الجزائر، ومن رجال القلم والأدب، وله تآليف منها واحد يعتبر عمدة في تاريخ البحرية الفرنسية وهو كتاب عن أبراهام ديكيني، وبحرية عصره في جزأين (Abraham du Quesne et la marine de son temps, 2 vols, Paris, 1923.). وكان هذا الكاتب قد التقى بالداي حسين لدى زيارته لباريس سنة 1831م (هذه الزيارة التي قيل الكثير عن أسبابها) عدة مرات وكتب هذا المقال المكون من عدة حلقات، والذي يحتوي على معلومات مهمة حول حياة الداي الشخصية، وكذلك عمله كداي للجزائر وخاصة قضية احتلال الجزائر، ورأي الداي في هذه المأساة. ينظر : المرجع السابق، ص. 231، 233.

وكانت ملامحه لطيفة وجذابة »[1]، وهذا الكاتب الذي ذهب لزيارة هذا الداي ليتأكد من القصص التي نسجت حول حماقته وتوحشه كما قال، خرج من هذا الحوار وقد أسرته شخصية الداي حسين، حيث قال : « ... إنّه من الصعب على أبناء جلدتي أن يصدّقوا أنّ العمامة تستطيع أن تخفي غير عقل جاهل وغليظ. لأنّ أغلبهم لا يعرفون عن التركي إلا أنّه شخص قاسٍ وشرير، ... إن حسين كما عرفته سيظهر لهم أنّه اختراع ولن يصدقوا كلمة من ذلك. ولكني أشهد مع ذلك إنني لم أتخيل حقيقة، ولا تفاصيل، ولا كلامًا. إنني أعيد قول ما سمعت وأصور ما رأيت. و لم أتأثر بلقاء سريع وأولي. إنني الآن متأكد من ذلك إذ أنني منذ زيارة التعارف للداي شرفت برؤيته كثيرًا، وقد درسته بعناية. وأحكم عليه اليوم أيضًا حكما لصالحه كما حكمت عليه في السابق. إنّه رجل يوحي لكل من عرفه بالعطف الكبير. إنّ كثيرًا من الناس قد اقتربوا منه والتقوا به خلال فترة الشهرين والنصف التي قضاها في باريس ... »[2].

في الحقيقة لم يكن هذا رأي أوغسطين جال فقط، حيث كتب حمدان خوجة : «...وينتمي هذا الرجل الفاضل إلى أسرة كريمة، كما يتمتع بثقافة واسعة. وقد خدم الإيالة أكثر من ثلاثين سنة. وبما أنني أعرف طبعه، فإنني أستطيع القول بأنّه من ذلك الأصل التركي العريق، أي أنّه شريف النفس كريمها. ولا أعتقد أن هناك من يستطيع اتهامه بالطمع. فقد حرص دائما على عدم إراقة الدم البشري ؛ ووفاؤه فيما يخص القيام بالالتزامات معروف في كامل أنحاء أوربا...»[3]، ومما ذكره الزهار عنه : « .. قد كان قوي النفس، لا يتزعزع لعظائم الأمور، ولا يتضعضع لنوائب الدهر. وأما سيرته في أهل البلد، وأهل مملكته فقد سار فيهم سيرة حسنة، لم يسرها من تقدمه. من لين الجانب، وسهولة المجاب، والعفو عن الجرائم والصفح عن الزلات. والكف عن الدماء والمحارم، ورفع الظلامات، وتفقد أحوال الضعفاء. وكان ورعًا، ومحبًا للصالحين ولمن انتسب إليهم، حتّى أنّه كان يغتر بأهل البدع فيحسن اعتقاده فيهم ... »[4].

---

(1) - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ...، المرجع السابق، ص. 241، كما تحدث عن لباسه وذوقه البسيطين ، ينظر : المرجع نفسه، ص. 244، 245.

(2) - المرجع نفسه، ص. 244، 245.

(3) - المصدر السابق، ص. 173، 174.

(4) - المصدر السابق، ص. 176، في الحقيقة أنّ الكثيرين وأحمد الشريف الزهار منهم، وإن كانوا اعترفوا للداي بهذه الخصائص، إلاّ أنهم لم يكونوا راضين على بعض النقاط في سياسته، وخاصة إدارته للأزمة بين الجزائر وفرنسا، حتى يبدو أنّ الزهار قد أسف لعدم نجاح محاولة قتل الداي، التي دبّرها الأتراك أثناء الأزمة.

يعتبر عهد الداي حسين، هو خاتمة الحكم العثماني في الجزائر، حيث أنزله الفرنسيون من عرشه بالقصبة التي تحصّن بها كامل فترة حكمه من محاولات الاغتيال التي تعرّض لها، وكانت معاهدة الاستسلام التي حفظت للداي حياته وثروته. توفي الداي حسين بالإسكندرية سنة 1838م، بعد أن استقرّ فترة من الزمن في نابولي وليفورنيا، وزيارة قصيرة لفرنسا[1].

إنّ الملفت في مقال جال، هو تأكيده على وجود صور نمطية لدى أبناء جلدته عن الأتراك وعن الداي نفسه، حيث عمل على تفكيك بعض هذه الصور مثل حديثه عن ارتباط العمامة بالجهل والغلظة وكذلك كون التركي شخصا قاسيا وشريرًا، وبالتالي فإنّ الداي أكثر جهلاً وغلظة وقسوة. كما تعرّض لصعوبة كسر هذه الصور النمطية السلبية عن الداي (لدى أبناء جلدته)، ولو كان ذلك بمبادرة من واحد منهم.

وفي الختام يمكننا أن نشير إلى نقطتين أولا : قلة المادة الخبرية التي تخص الجانب الشخصي للدايات، وتناقض المتوفر منها في كثير من الأحيان، ثانيًا : إن نسبة مساهمة المصادر المحليّة في مدنا بالمعلومات حول الدايات ضعيفة جدًا، إذا ما قارناها بالمصادر الأجنبية، وبالتالي فإنّ هذه الأخيرة هي التي ستفرض الصورة التي تريدها بخصوص الدايات.

(1) - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص. 231 و عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص. 448. تحدث أحمد توفيق المدني، عن دور الداي حسين في مساعدة المقاومين داخل الجزائر، حيث كان يمدّهم بالأسلحة التي كانت فرنسا تصادرها، ينظـــر : أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 189. (هامش 123).

الفصل الثالث

الداي ونظام الحكم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : الداي ونظام الحكم

لا نتوخى من هذا الفصل، دراسة آليات نظام الحكم العثماني بالجزائر، ولا الحديث عن السياسة المتّبعة من طرف الدايات، لإدارة شؤون الإيالة، لكن نبتغي رسم بعض ملامح هذا النظام، التي ترتبط مباشرة بالدايات، والتي يمكن أن تعطينا فكرة عن الظروف التي عمل ضمنها هؤلاء الحكّام.

I- نظـــام الحكم :

إنّ الصورة التي نمتلكها عن نظام الحكم في فترة الدايات، لم تخرج عن نطاق ما رواه من عايش هذه الحقبة خاصة من الأوروبيين، والتي تبدو متطابقة بشكل كبير، يدعونا إلى الشك بأنّ المصادر نقلتها عن بعضها البعض ؛ حيث اهتمت فقط بالشكل الخارجي للنظام، وأوردت التفاصيل نفسها، وبشكل سطحي إلى حد كبير، ومع هذا فقد اختلفت في تصنيف طبيعة نظام حكم الإيالة، فتراوحت الآراء بين كونها جمهورية عسكرية، أو كونها مملكة، وذلك تبعًا لأنواع الحكومات المعروفة في تلك الفترة. يقول نيقولو مكياڤللي : « لا تخرج جميع الحكومات والممالك، التي حكمت الجنس البشري في الماضي أو التي تتولى حكمه الآن، من أن تكون في أحد شكلين، إما الشكل الجمهوري أو الشكل الملكي »[1].

إستند أصحاب الرأي القائل بأنّ حكومة الجزائر عبارة عن جمهورية عسكرية، إلى كون الداي يصل إلى الحكم عن طريق "الانتخاب"، من أقرانه من العسكر. وممن ذهب هذا الاتجاه نجد لاكوندامين[2] 1731م، والسيدة بروتون[3] (Broughton) زوجة القنصل الإنجليزي (1806-1812م)، بالإضافة إلى القنصل الأمريكي وليام شالر[4](1816-1824م) وبانانتي[5] 1817م، كما أن حمدان بن عثمان خوجة كتب بهذا الخصوص : «...، لأنّ الحكم، في الجزائر، ليس وراثيا، إذ أنّ الاستحقاق الشخصي لا ينتقل إلى الأطفال. وبعبارة أوضح نستطيع القول بأنّ الجزائريين اختاروا

---

(1) - الأمير، تعليق نيقو مورسوليني، مقدمة : كريستيان غابوس، تعريب : خيري حماد، تعقيب : فاروق سعد، ط.12، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1985م، ص. 54.

(2) - M.Emerit, "le voyage de la Condamine à Alger (1731)", Op .Cit., p.374.

(3) - J.Bardoux, "la vie d'un consul auprès de la régence d'Alger", In, R A, N 65, An 1924, p.283

(4) - المصدر السابق، ص. 42.

(5) - Op. Cit., p.287.

مبادئ الحكم الجمهوري ورئيس الجمهورية هو الداي.[1]». ومع هذا نجد من هؤلاء من يطلق على إيالة الجزائر في بعض المواضع اسم مملكة.

بينما إعتبر فريق آخر حكومة الجزائر ملكية، كتب مورقان : « إنّ حكومة الجزائر، حاليا، تقريبا ملكية، الداي وحده يقرّر كل القضايا، ...»[2]، وذكر لوجي دوتاسي : « الحكومة ملكية أكثر منها ديمقراطية. تخضع مطلقا لشخص واحد يسمى الداي.[3]»، فمورقان ولوجي دوتاسي وبايصونال[4] وغيرهم، وإن اعتبروا الإيالة أقرب إلى الملكية، بسبب تمتع الداي بالحكم المطلق، إلاّ أنّهم ذكروا خصائص أخرى للحكومة شبّهوها بالجمهورية، وإن كانوا يميلون إلى فكرة كونها استبدادية ملكية أكثر من أي شيء آخر.

إذًا فقد ركّز كل فريق على خاصية واحدة في هذا النظام ليستطيع تصنيفه، ففي حين رأى الفريق الأوّل بأنّ الحكم جمهوري لكون الداي يصل إلى الحكم عن طريق الانتخاب، فإنّ الفريق الثاني اعتبره ملكيًا على أساس أنّ الداي يتمتّع بحكم مطلق لمدى الحياة، ومع هذا فكل فريق لم يهمل الخاصية التي اعتمد عليها الفريق الآخر، في دعم حكمه، حيث نجدهما يستعيران ويتبادلان المصطلحين في كتاباتهم.

وقد يعود هذا الاضطراب الجلي في آراء هؤلاء الكتّاب الذين عايشوا هذه الحكومة، إلى محاولتهم محاكاتها مع الحكومات التي عرفوها في القديم أو حتّى التي عاصروها، دون الاهتمام إلى كونها حالة خاصة قائمة بذاتها، وما جاء في كتاب شالر يبين ذلك، حيث كتب : « والواقع أنّ هذا النظام عبارة عن جمهورية عسكرية يُنتخب رئيسها لمدى الحياة. وهو بشكل مصغّر، يشبه النظام الذي قام في الإمبراطورية الرومانية بعد وفاة كمودس (Commodos)[5]»، كما ذكر في موضع آخر : « إنّ المبادئ الأساسية التي تقوم عليها حكومة الجزائر تتّسم بصفات غريبة. وإذا استثنينا حكم الممالك (كذا) لمصر، فأنا لا أعرف مثالاً لهذه الحكومة في التاريخ الحديث[6].».

---

(1) - المصدر السابق، ص. 127.

(2) - Op. Cit., p.77.

(3) - Op. Cit., p.128.

(4) - Op Cit., p.231, 232.

(5) - المصدر السابق، ص. 42.

(6) - المصدر نفسه، ص. 50.

ولكن أكثر الأنظمة التي شبّه بها الكُتّاب حكومة الإيالة، هو النظام المعاصر لها في مالطة[1]. وكان فونتير دوبارادي، قد أجرى مقارنة بين النظامين[2].

أمّا الدراسات الحديثة على قلّتها، فالكثير منها يتفق على أنّه يمكن أن نطلق على هذا النظام، اسم الأوليغارشية[3]، أي حكم الطبقة العسكرية الممتازة[4]. لكن هناك من له رأي آخر، فمحمد العربي الزبيري كتب : « ... والواقع أنّها لم تكن هذه ولا تلك (إشارة إلى الحكم الجمهوري والحكم الملكي)، وإنّما كانت تحكم بنظام من نوع خاص لم يُعرف في أي بلد آخر، وأهم ميزاته أنّه كان يجمع بين الصبغة المدنية والعسكرية (تتجلى الصبغة المدنية في أنّ الداي كان دائما يلجأ إلى العلماء لحل المشاكل العويصة، ولا يستطيع مخلفتهم (كذا) في شيء. أمّا الصبغة العسكرية فتتمثل في الديوان الذي يعين الداي أو يعزله، والذي كان يتكون من غالبية عسكرية)، وأنّه كان حكمًا جماعيًا شوريًا في القمة، وفرديا مطلقا في القاعدة (تبدأ القاعدة في نظرنا، من البايات وتشمل أعوانهم والقواد والمشائخ. لقد كانوا جميعًا مستبدين بالأمر).» [5].

واعتبر أبو القاسم سعد الله النظام السياسي العام، نظاما جمهوريًا عسكريًا مغلقًا، فهو جمهوري لأنّ منصب الحاكم انتخابي وليس وراثيا، وهو عسكري لأنّ الحاكم كان من العسكريين، وهو مغلق لأنّه نظام لا يُسمَحُ فيه إلاّ للوجق بممارسة السلطة حيث أنّ حكام الجزائر العثمانيين كانوا من خارج البلاد. [6].

---

(1) - عن تاريخ هذا النظام وخصائصه ينظر : جون ب. وولف، المرجع السابق، ص ص. 76-78.

(2) - Op. Cit., N. 41, p p. 85-89.

(3) - أفلاطون، هو أول من أشار إلى حكم الأوليغارشية، وجاء أرسطو بعده وقدم مزيدا من التفاصيل، وفي العصر الحديث يستخدم هذا التعبير لوصف الحكومات التي تعتمد على نفوذ أجنبي، أو التي ليس لها رصيد جماهيري بحيث تعتمد على دوائر التأثير في السلطة مثل رجال المال أو الصناعة. والتي تعتمد على القوة المسلحة، وباختصار هي حكم القلة. ينظر : عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج.1، ط.3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990م، ص. 415.

(4) - ينظر : صلاح العقاد، "الأحوال الاجتماعية والنظم الإدارية في الجزائر قبيل الغزو الفرنسي" المجلة التاريخية المصرية، عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد 12، السنة 1964-1965م، ص. 153.

- P.Boyer, "Des pachas triennaux ....." Op. Cit., p.111. و

- E.Plantet, Op. Cit., t. 1, p. 15 (المقدمة) .

(5) - تجارة الخرجية لمشرق الجزائري، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص. 19.

(6) - تاريخ الجزائر الثقافي، . المرجع السابق، ج. 1، ص. 144.

ويجب أن نشير إلى أنّ لمنوّر مرّوش حذّر من تحمّس بعض الجزائريين الذين اعتبروا استخدام المصادر الفرنسية لمصطلح "République d'Alger" دليلاً على وجود "الأمّة الجزائرية" ممزوجًا بوجود دولة، كما تحمّسوا للسبب نفسه، لفكرة أنّ ظهور "الجمهورية الجزائرية" سبق ظهور الجمهورية الفرنسية، وغيرها من الجمهوريات الحديثة. وعزا الكاتب ذلك لجهلهم بأن مصطلح "جمهورية"، في الكتابات الفرنسية للقرن 17 و 18م، كان يُستعمل خاصة للتدليل على حكومة غير ملكية، حكومة متعدّدة الأشخاص، كما هو الحال بالنسبة للنظام في الجزائر، كما أضاف أنّ هذا النظام لم يطلق على نفسه أبدًا اسم جمهورية، فكلمة جمهورية بالعربية لم تظهر إلا في القرن 19م، لتؤدّي معنى (République) بالفرنسية[1].

والآن سنحاول معرفة كيف تبلورت هذه الآراء من خلال عرض بعض خصائص هذا النظام. وسنبدأ بكيفية تولية الدايات.

عند شغور منصب الدايوية، يقوم الجند[2]، أو الديوان المكون في أغلبيته من الجند[3]، بالاجتماع داخل القصر، ويصعد الآغا على منضدة ليسأل بأعلى صوته، عمن يريدون الترشيح لمنصب الداي[4]، وبعد اختيار المرشحين، يقوم الحاضرون بالتصويت حتى يتم الاتفاق بالإجماع أو الأغلبية على تعيين واحد منهم. ثم يصرخون "الله يبارك"[5]، وقَبِل أو لم يَقْبَل المعني يلبسونه قفطان التولية، ويضعونه على كرسي الحكم، ثم يقترب منه المفتي ليقرأ عليه واجباته، وعند انتهائه يقترب منه الحاضرون ويُقبّلون يده ويعلنون إخلاصهم له[6]. وخارج القصر يتم الإعلان عن موت الداي

---

(1) – Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit, p. 12, 13.

(2) – يقول لوجي دوتاسي، أنّه عند شغور منصب الداي، يجتمع كل الجند الموجودين بالعاصمة داخل قصر الملك (قصر الجنينة)، لانتخاب داي آخر، لكن يبدو الأمر مبالغًا فيه، ينظر : Op. Cit., p. 129. و Pananti, Op. Cit., p 288. و J. Morgan, Op. Cit., p. 77 و J.A. Peyssonnel, Op. Cit., p. 228, و V.de Paradis, Op. Cit., N.41 , p. 86 و

(3) – وليام شالر، المصدر السابق، ص. 42 و

(4) – Peyssonnel, Op. Cit., p. 228, et M.Rozet, Voyage dans la régence d'Alger, ou description du pays OCcupé par l'armée française en Afrique, t. 3, Arthus Bertrand, libraire - éditeur, paris, 1833, p. 337.

(5) – وجدنا عدة عبارات يصرخ بها الجند عند اختيار الداي لكن اخترنا هذه لأنّ الكاتب أوردها بالعربية بأحرف لاتينية، ينظر : – J Morgan, Op Cit., p 77.

(6) – L. de Tassy, Op. Cit., p. 129, 130, Peyssonnel, Op. Cit., p 128, J Morgan, Op Cit., p 78, et Pananti Op. Cit., p. 289.

السابق وانتخاب آخر، كما تطلق طلقات من المدافع، كل هذه المراسيم تتم خلال ساعة أو ساعتين[1].

ومراسيم التولية هذه لا تختلف كثيرًا بين ما ذكره الأوروبيون، وبين ما نجده في بعض الكتب المحلية، وهذين مثالين ننقلهما عن أحمد الشريف الزهّار، بخصوص تولية كل من أحمد خوجة (1805-1808م)، وعمر آغا (1815-1817م) :

1 - « استقدمه (أحمد خوجة) العسكر لدار الإمارة بعد مقتل مصطفى باشا، فأحضر الديوان، والعلماء، وأعيان الدولة، فأجلسوه على سرير الملك، وخلعوا عليه الخلعة السلطانية، ورفع العلم العثماني وضربت عليه النوبة، وأطلقت المدافع، ونادى المنادي بالأسواق، ورحم على المتوفي، ودعا بالنصر لمن تولى، وبايعه من حضر في ذلك الوقت. وأخرجت البشائر لجميع العمالة، وثني الراتب لجميع العساكر، وأعطي القمح لجميع العسكر المتزوجين، صاعين لكل واحد مع الراتب وكانت له بطانة من أقاربه وأصهاره. واطلع على ما في الخزنة فرأى أن يبيع جميع ما بها من مصوغ وحجر كريم وجوهر، وفرّق ذلك على السماسرة، ينادون به في الأسواق، وباع من ذلك شيئا كثيرًا، وحصل للنّاس من ذلك ربح كبير. وبقي على ذلك البيع أيامًا، ثم أرجع الباقي للخزنة لأنّه شيء كثير.» [2].

2 - « ولما قتلوا محمد باشا ذهبوا للقشلة وأتوا بعمر آغا وولوه باشا، واجتمع الديوان والفقهاء ونقيب الأشراف وأعيان البلد، ورؤساء المراكب الجهادية وأطلقوا المدافع ورفعوا العلم العثماني وضربت النوبة. وبعد استقرار الملك اشتغل بإحضار الهدية للسلطان محمود »[3].

وكتب حمدان بن عثمان خوجة بهذا الصدد : « وعندما يموت الباشا، يجتمع الديوان كما تنص على ذلك القوانين، ومن توفرت فيه جميع الشروط الضرورية يتم انتخابه ويعلن باشا، ثم يجلس حينًا على أريكة الملك بعد أن يكون قد ارتدى قفطان الداي الراحل. بعد ذلك يؤدي اليمين القانونية ويحتفل بتعيينه. وعندما تنتهي عملية التنصيب يكلف أحد الأشخاص بالذهاب إلى الباب العالي للإخبار عن وفاة الباشا القديم وقيام الديوان بانتخاب الحاكم الجديد، وبهذه المناسبة تكتب رسالة تحمل إمضاء وخاتم كل واحد من أعضاء الديوان وخاصة القاضي والمفتي

---

(1) - L. de Tassy, Op. Cit., p.130.

(2) - المصدر السابق، ص. 95.

(3) - المصدر نفسه، ص. 117.

ونقيب الأشراف. ويوافق أعيان المدينة كذلك على هذا الاختيار ويشهدون على مقدرة الشخص المعين.[1] ».

إذا كانت الأمور تجري منذ جلوس الداي على كرسي الحكم بالطريقة والبروتوكولات نفسها، فإنّ اختيار الداي في حد ذاته لا يتم بالديمقراطية والشفافية نفسها. فاختيار الجند أو الديوان لمن تتوفر فيه الشروط الضرورية حسب حمدان بن عثمان خوجة، هي واحدة من بين الطرق الكثيرة التي تمت بها هذه العملية، حيث نجد أنّه وبعد عمليات اغتيال الدايات، والتي هي كثيرة، قد تفرض الفئة التي خطّطت للعملية شخصًا منها، وقد يكون قائد التمرّد نفسه كما حصل مع : حسين ميزومورطو (1683-1686م)، الحاج شعبان خوجة (1690-1695م)، محمد خوجة بكداش (1707-1709م)، (قاد التمرّد لكنّه لم يقتل سلفة) وغيرهم.

كما قام بعض الدايات في فترة مرضهم بالتوصية لمن رأوه حسبهم أهلا لذلك، سواء لأحد أقاربهم، أو لمن وثقوا به. كما حصل مثلا مع، إبراهيم أفندي (1732-1745م) الذي أوصى بسبب كبر سنه ومرضه، بالحكم لابن أخيه الخزناجي إبراهيم خوجة كوچك (1745-1748م)، كذلك الداي سيدي حسن (1791-1798م) الذي يُقال أنّ عمه محمد بن عثمان خوجة (1766-1791م) أوصى له أثناء المرض، كما أنّ علي خوجة (1817-1818م) أوصى لخوجة الخيل الداي الأخير حسين باشا بالحكم أثناء المرض، رغم عدم وجود قرابة بينهما. وفي حالات أخرى تم اختيار الداي بالصدفة، وربما كان ذلك في الحالات التي زهد فيها الكل في المنصب أثناء الاضطرابات، كما حدث مع الحاج أحمد آغا (1695-1697م)، الذي وجده الجند جالسا في مدخل داره، يصلح الأحذية، فحملوه إلى الديوان أين قبل بكل شروطهم، بالإضافة إلى ما رواه أحمد الشريف الزهّار عن تولي الداي الحاج علي (1809-1815م)، فحسب الكاتب فإنّه دخل القصر، ولما وجد كرسي الحكم شاغرًا، جلس عليه، وهكذا تولى الحكم بعد أنّ تخلّص من الداي السابق.

فعملية تولية الدايات وإن كانت في الأصل لها قوانين تتم على أساسها، وهي اختيار شخص، ثم التصويت عليه، فإنّ كثيرًا ما تتدخّل اعتبارات أخرى، كدعم فئة لشخصية قوية تترأسها أو ضعيفة تقوم بما تمليه عليها هذه الفئة، ويتم ذلك عن طريق القوة، أو كما قلنا أعلاه عن طريق التوصية أو حتى الصدفة، عندما يعجز الموجودون عن إيجاد الشخص المناسب. مع العلم

---

[1] - المصدر السابق، ص. 132.

أنّ ترشيح أول داي تمّ على أكثر تقدير باختيار الشخص القادر على دفع مرتبات الجند كما ورد سابقًا (في الفصل الأوّل).

لكن ما هي الشروط الضرورية التي تحدّث عنها حمدان بن عثمان خوجة الواجب توفرها في من يتولى منصب الداي ؟ بما أنّنا لا نمتلك قوانين مكتوبة بهذا الشأن، فعَلينا تَتَبُّع سيّر هؤلاء الدايات والبحث عن مواصفات الداي الواقعية.

وأوّل ما يمكن أن نتطرق إليه هو أصل الدايات، في الحقيقة وتبعا لما بنت عليه الإمبراطورية العثمانية سياستها، من فصل بين الحاكم (عسكريت) والمحكوم (رعيت) [1]، فإنّ هذا الفصل طُبّق في إيالة الجزائر بشكل حاد وواضح، ليس على أساس الوظيفة فقط، بل على أساس العرق، حيث أُبعِدَ السكان الأصليون والكراغلة [2] عن مناصب الحكم العليا، خاصة منصب الداي.

فمنذ تأسّست الإيالة، تعاقب على رأس السلطة فيها حكّام من مختلف مناطق الإمبراطورية العثمانية، ويمكن تقسيمهم إنّ صحّ التعبير إلى ثلاث فئات، "أتراك من الأناضول" و"علوج"[3] وعرب مشارقة، وإن كانوا جميعًا يدخلون تحت صفة عثمانيين. كان هذا التنوع واضحًا خاصة في فترة البيلربايات، حيث ارتبط "العلوج" والعرب المشارقة بالبحر الذي أعطاهم شهرة وصيتًا أوصلهم إلى هذا المنصب، خاصة وأنّ مؤسّس الإيالة لم يكن من الأناضول، لكن شهرته في البحر وجهوده، كانت تأشيرته لنيل أرفع المراتب في الإمبراطورية العثمانية، لم يبق الأمر كذلك في عهد ما عُرف بعهد الباشاوات، حيث أصبح يُنصّب أشخاصٌ من محيط السلطان يشترون مناصبهم، ممّا أدّى إلى تراجع دور غير "أتراك الأناضول" على هذا المستوى، والشيء نفسه حدث في فترتي الآغاوات والدايات. وهذا ربما ما جعل بوابيه يؤكّد، أنّ الدايات كانوا أتراكٌ فقط[4] —إشارة إلى أتراك الأناضول– فإلى أي حد هذا الأمر صحيح ؟.

---

(1) – هاملتون جيب، هارولدبوين، المرجع السابق، ص. 198، 199.

(2) – هم نتاج زواج جزائريات "بأتراك".

(3) – جمع علج، يطلق هذا المصطلح على رعايا الإمبراطورية العثمانية، من الأوروبيين ذوي الأصول المسيحية، لكنّهم أسلموا، أما الأوروبيون ذوي الأصول المسلمة فيطلق عليهم مباشرة الأتراك، ينظر :

- L.Merouche, Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit., p. 203.

يوجد مصطلحان آخران يعبران عن مصطلح "علج" وهما "Converti" مهتد و "Renégat" مرتد.

(4) – "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p.115.

عدم وجود اهتمام كبير بكتابة سيّر الدايات في عصرهم، مع شح المعلومات وتفرّقها بين المصادر، يجعل البحث عن أصولهم صعبًا ولكن ليس مستحيلاً. ولهذا الغرض اعتمدنا على بعض المصادر التي صرّحت بأصل بعض الدايات عرضًا، على قلتها، ثم الأسماء ودلالتها والنعوت المرتبطة بهم، بالإضافة إلى الاعتماد على قرابة بعض الدايات مع بعضهم.

إنّ أول فئة من الدايات، يمكن أن نطلق عليهم "الدايات الأتراك"، وأول داي وجدنا أصله صريحًا، وينتمي إلى هذه الفئة هو الداي كور عبدي (1724- 1732م)، الذي جاء من منطقة منامن بالأناضول، وعند توليه عمل هذا الداي على تعيين أفراد من المنطقة نفسها التي جاء منها في أعلى المناصب[1]، وبعد وفاته عين صهره إبراهيم (1732- 1745م)، وهذا الأخير عين ابن أخيه إبراهيم كوچك(1745- 1748م)، ليتولى بعد ذلك محمد بن بكر (1748- 1754م) وهو أيضا من الأناضول، من قرية توجد بإزمير. وممن نعرف أيضًا أصلهم الصريح، نجد محمد بن عثمان خوجة (1766-1791م)، الذي هو من قرمان، وأولى بعده ابن أخيه وابنه بالتبني سيدي حسن (1791-1798م)، هذا الأخير جاء بعده قريبه الداي مصطفى (1798-1805م). إنّ هذه الفترة من عهد الدايات والتّي تميّزت بوجود قرابة بين الدايات أو على الأقل انتمائهم إلى المنطقة نفسها، ينطبق عليها ما عبّرت عنه فاطمة الزهراء قشي بخصوص بايات قسنطينة : « لم يكن توارث الحكم قاعدة مؤسساتية إنّما كان في السلوك والممارسات »[2]. ونتج عن هذه القرابة والصلة بين الدايات سلاسة في التداول على الحكم واستقرار في النظام السياسي، ولم نعد نلاحظ مصادرة أموال الدايات التي عادة ما تعقب فترات الإضطرابات[3]. كذلك هناك دايات نعرف أصولهم بسبب اقتران أسمائهم بمناطق ولادتهم، فالداي علي خوجة الغسّال (1808-1809م) البورصالي من بورصة والداي علي خوجة شريف أماسيالي (1809-1815م) من مدينة أماسيا بالأناضول، كما أنّنا نعلم أنّ الداي الأخير حسين باشا (1818-1830م) من مدينة صندوقلي بآسيا الصغرى[4].

أما الفئة الثانية من الدايات فيمكن أن نطلق عليهم الدايات "العلوج"، ورغم وجود ثلاث دايات من الرياس، إلا أنّه لا يوجد دليل على كونهم ينتمون إلى هذه الفئة، إلا ما قيل عن أنّ والد

---

(1) - هذا ما جعل جون ب. وولف يكتب : "وهذا التصرّف هو الذي أدّى إلى بداية عهد ما يُسمّى بحكم عائلة منامن التي حكمت الجزائر خلال أغلب القرن الثامن عشر". ينظر : المرجع السابق، ص. 386.

(2) - قسطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسطينة، 2005، ص. 55.

(3) - L.Merouche, Recherches ..... I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit., p. 192, 193.

(4) - لم نقم بإحالة معلومات هذا العنصر على مصادرها، لاحتمال تكرار ما جاء في الفصل الثاني.

الداي محمد التريكي (1671- 1682م) كان "علجًا" من اصل هولندي، أو ما ذكره عبد الرحمن الجيلالي من أنّ الداي حسين ميزومورطو (1683- 1686م)، كان مسيحيا من إيطاليا ثم اسلم، ويبدو أنّه لم يكن يملك دليلاً على هذا، إلا ما استنتجه من إسمه، حتّى أنّ دارفيو الذي كان يعرف الداي عن قرب، ذكر أنّ هذا الأخير وُلد بالقسطنطينية. كما تذكر المصادر أنّ عمر آغا (1815-1817م)، من جزيرة ميتلين، ممّا جعل البعض يعتبره يونانيًا أسلم، ورغم أنّنا نملك الدليل على كونه من ميتلين، فإنّنا لا نعرف ما إذا كان مسيحيا ثم أسلم، وبما أنّ مصطلح "علج" كما قلنا سابقًا يتعلّق بالدين وليس بمكان الولادة فربما يكون ولد مسلمًا، مع الإشارة إلى أنّ الداي عمر من الدايات الأكثر تعلُّقًا باللغة التركية، وأكثرهم ارتباطا بالباب العالي. كما أنّ الداي علي خوجة حسب مرّوش كان يُنعَتُ في المراسلات الرسمية للباب العالي بـ « الجيورجي المعادي للأتراك[1] »، وهذا ربما لتذكيره بأنّه من "العلوج".

هذا وقد أشتهر عن بعض الدايات أنّهم ذوي أصول عربية، وهم بالضبط ثلاثة ادّعوا النسب الشريف، ونقصد محمد بكداش خوجة (1707- 1709م)، وهو من نكدا مدينة صغيرة وقديمة بالأناضول، لكن حسب كاتب سيرته ابن ميمون فإنّ أباه عربي قرشي وبالتالي فأصله عربي وإن كان ولد بالأناضول، كذلك الداي حسين خوجة (1705-1707م) لكننا لا نملك معلومات عن أصله، أمّا الثالث فهو علي خوجة شريف أماسيالي (1809-1815م)، وكما ذكرنا سابقا فإنّه وحسب اسمه من مدينة أماسيا بالأناضول، لكن لا يوجد ما يثبت بأنّه ذو أصل عربي[2] ونتساءل هنا هل لادّعاء النسب الشريف من طرف بعض الدايات علاقة بمحاولتهم لتدعيم سلطتهم أو الحفاظ على حياتهم؟ ولا بأس أن نشير أنّه روي عن الداي محمد بن حسن أفندي (1718-1724م) بأنّه كان يرعى الغنم في مصر، وربما دلّ ذلك على شيء ما بخصوص أصله. وبهذا حتى العرب منهم فرضًا، أتوا من الأناضول.

مع أنّنا لم نتمكن من إزالة الغموض حول أصول الدايات، كما لم نجد أدلة أكيدة على تنوع أعراقهم، فيبدو أنّ أكثريتهم من الأناضول. ومع هذا يمكننا القول بأنّه لم تكن هناك سياسة القصد منها خص الأتراك الأناضوليين بهذا المنصب كما ذكر البعض.

---

(1) - Recherches ..... I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit., p. 275.

(2) - حسب مرّوش فإنّ فصاحة محمد بكداش هي التي سمحت له إدّعاء النسب الشريف، فيما يوجد دلائل شبه مؤكدة على النسب الشريف لكل من حسين خوجة وعلي خوجة، ينظر : Ibid., p. 192, 193. -

فما سرّ تغلّب الأناضوليون على غيرهم بهذا الشأن (التواجد على رأس السلطة) ؟ ربما يعود ذلك إلى ما ذكره ثال شوفال (Tal Shuval) في دراسته، حيث لاحظ على إثر الإحصائيات التي قام بها تراجع انتساب "العلوج" وغيرهم إلى الأوجاق بالمقارنة مع أتراك الأناضول[1]، هذا الأوجاق[2] الذي هو المصدر الذي يأتي منه الدايات. وبهذا فإنّ أول شرط يجب أن يتوفر في الداي هو أن يكون عثمانيًا، ينتمي لأي جزء من الإمبراطورية العثمانية المهم أن لا يكون من السكان الأصليين أو من الكراغلة.

بعد أن عرفنا أنّ الداي يجب أن يكون من ضمن العثمانيين الذين جاءوا من المشرق ويكونون الأوجاق، نتساءل إلى أي فئة من الموظفين ينتمي هؤلاء الدايات ؟ وبعبارة أخرى هل يشترط في اختيار الداي أن يكون في مركز معين في الإيالة ؟ للإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف أن المتتبّع لهذا الأمر يجده يرتبط بشكل واضح بالاستقرار أو عدم الاستقرار على هذا المستوى، ولتوضيح الأمر يمكن تقسيم فترة الدايات إلى ثلاث مراحل :

- يمكن أن نسمي أول مرحلة بمرحلة عدم الإستقرار الأولى (1671- 1710م)، حيث أنّ أحد الأهداف التي تمّ من أجلها إلغاء ما يعرف بعهد الأغاوات وهو إنهاء حالة عدم الاستقرار، لم يتحقّق على الأقل في بداية حكم الدايات، فخلال فترة تسع وثلاثين سنة تولى أحد عشر دايًا، لم يمت في فراشه وهو ما يزال يتقلّد منصبه سوى داي واحد، في حين قُتِل خمسة وتخلى عن الحكم اثنان وهرب على إثر تمرّد اثنان ونفي واحد. صاحب هذا الاضطراب عدم الاستقرار على الفئة التي يُختار منها الدايات، حيث بدا الأمر عشوائيا، ففي هذه الفترة تولى اثنان من الرياس، واثنان من الشواش، ودفتردار، وآغا قديم (معزول آغا)، وآغا عرب، وآغا صبايحية، وواحد على الأرجح عمل في الإدارة وقد يكون أحد الخوجات (دفتر دار)، ونجهل عمل أحدهم على وجه التحديد.
- أمّا المرحلة الثانية، مرحلة الإستقرار (1710- 1798م)، فقد بدأت بجمع الداي علي (1710-1718م) بين منصبي داي وباشا، حيث يعتبر هذا الأمر أحد العوامل المهمة في هذا الاستقرار، فقد تمّ تحييد جهة كانت مصدرًا للمؤامرات، ونقصد الباشاوات المرسلين من طرف

---

(1) - La ville d'Alger vers la fin du XVIII[e] siècle population et cadre urbain, CNRS, Paris, 1998, p p 59-62.

(2) معنى الكلمة في الأصل "موقد"، لكنّها تطورت وأصبحت تطلق على فرق الجيش في الدولة العثمانية. وكذلك لإيالات بربرسكية، ينظر : خليفة حمّاش، المرجع السابق، ص. 93 (هامش 2). و - Diran Kélékian, Op. Cit., p. 175,

الباب العالي. ففي هذه المرحلة وخلال ثمان وثمانين (88) سنة تولى تسع دايات، مات منهم موتًا طبيعيًا وهو لا يزال في منصبه ست دايات (يُشك في أن أحدهم مات مسمومًا)، وتخلى عن الحكم واحد فقط، بينما قُتل اثنان. صاحب هذا الاستقرار، استقرار في المصدر الذي يجئ منه الدايات، فبين سنتي (1718-1805م) أصبح الحكم ينتقل بعد وفاة الداي إلى الخزناجي، هذه القاعدة تكرّرت ست مرات، وهذا يدل على المكانة التي وصل إليها الخزناجي، الذي كان يُدعى من قِبَل الأوروبيين بالوزير الأوّل. أما المرات الثلاث الباقية، فقد تولى منصب الداي اثنان من آغا الصبايحية (أحدهما عيّنة الخزناجي الذي أصيب أثناء قتل الداي، والآخر عُيّن بعد مقتل الداي والخزناجي)، وخوجة خيل.

- تولى خلال المرحلة الثالثة، مرحلة عدم الإستقرار الثانية (1798- 1830م)، وعلى مدى إثنين وثلاثين سنة ثمان دايات، مات واحد فقط في فراشه وهو الداي علي خوجة الذي نقل الحكم من قصر الجنينة إلى القصبة (خطوة أثبتت نجاعتها في الحفاظ على حياة الداي)، وقتل ستة، أما الداي الثامن فهو حسين باشا، الذي عزل من منصبه من طرف الفرنسيين وبه انتهت سلسلة الدايات. ففي الفترة المضطربة (1805-1830م)، لم يُختر كداي سوى خزناجي واحد قُتِل بعد سبعة عشر يوم من الحكم على أكثر تقدير، بينما توزّع الدايات الباقين كالتالي : دفترداران أحدهما قاد التمرّد، مسؤول تشريفات، اثنان كانا خوجة خيل، وآغا عرب. وقد فسّر بواييه وصول خوجة الخيل وآغا العرب إلى الحكم تفسيرًا اقتصاديًا، حيث اعتبر أن تراجع القرصنة، ورفض حكّام تونس دفع الإتاوات للجزائر، جعل حكومة الإيالة تهتم أكثر بالداخل كمنبع للضرائب يوفر لهم المال، ولهذا تطوّرت هاتين الوظيفتين[1].

ممّا سبق يمكن القول أنّ اختيار الداي لم يكن اعتباطيًا كما صوّره كثير من الكتّاب، حيث اشتهر قولهم بأنّه يكفي أن تنتمي للأوجاق لتكون لديك الفرصة لتصبح دايًا. فمن خلال التقسيم السابق، وإن بدا الأمر عشوائيا في المرحلة الأولى بسبب عدم الاستقرار، فإنّ استقرار الأمور وحدوث تطور على مستوى الجهاز الحكومي لا يسع المجال للحديث عنه[2]، جعل الأمر أكثر تنظيمًا، حيث أصبح الخزناجي هو المرشح الأوّل لمنصب الداي، لكن في المرحلة الثالثة والتي اتسمت بعدم الاستقرار، فرغم اختلاف الوظائف التي كان يشغلها الدايات قبل توليهم، إلا أنّ

---

(1) - "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p.118.

(2) - لمزيد من المعلومات، يُنظر : Ibid., p. p. 99-124 -

الأمر لم يكن صدفة كما بينه بواييه، بل خضع لموازين القوى بين أفراد السلطة.

فهل هناك شروطاً أخرى يجب أن تتوفر في الدايات مثل الكفاءة والمقدرة ؟ لقد لاحظنا أنه تعاقب على الحكم رجال ذوي كفاءة سياسية وعسكرية، وعرفت فترتهم إنجازات (من النوع الذي يمكن أن نتوقعه من العثمانيين)، كان يمكن أن نُصَنِّف بعضهم كحكّام من الطراز الرفيع الذي يحفظ التاريخ ذكراهم، كما أن هناك دايات ضعاف، كانوا لعبة في يد غيرهم. أما من الناحية الاجتماعية والثقافية، فإنّ هناك دايات كان لهم مستوى اجتماعيًا وثقافيًا لا بأس به، وفي المقابل نجد الكثير منهم ينتمون إلى مستويات اجتماعية متواضعة جدًا، فمجيئهم من المشرق وانضمامهم إلى الأوجاق، كفل لهم مكانةً خاصة، وضمان الارتقاء، وكذا إمكانية الوصول إلى منصب الداي، ففي الواقع لا ينظر كثيرًا لا للأصل ولا للمستوى الاجتماعي الذي يُكتَسَبُ باعتلاء السلطة، فحسب مرّوش فإنّ السلطة في تلك الفترة هي المصدر الأكبر للثروة، فأنت غني غنًى فاحشًا إذا كنت "ملكًا في مملكته"[1].

ولعلّنا نخلص إلى ما ذكره لوجي دوتاسي بهذا الشأن : "الأتراك في مملكة الجزائر ... كلهم أهل للتعاقب على الدايلك أو الحكومة، عندما تجعلهم خدماتهم أو خصالهم الجيدة جديرين بذلك، أو عندما يكون الفريق الأقوى بجانبهم، كما يحدث في كل الحكومات الجمهورية"[2].

II - سلطـــة الـــداي ووظـــائفه :

1 - سلطـــة الـــداي :

تم الاتفاق على تولية الداي مدى الحياة، كخطوة كان الغرض منها محاولة تدعيم استقرار النظام السياسي للإيالة، التي يحكمها الداي بطريقتين : مباشرة وهذا ينطبق على العاصمة وضواحيها أو ما يعرف بدار السلطان، وغير مباشرة وهذا ينطبق على باقي تراب الإيالة التي تتضمن تقريبًا مساحة دولة الجزائر الحالية، حيث قسِّمت إلى ثلاث مقاطعات تعرف بالبايليكات، يعيّن الداي على رأس كل منها موظف يدعى الباي، يعمل تحت إمرته مجموعة من الموظفين، تختلف مدى استقلالية كل بايلك عن "الحكومة المركزية"، ويعد بايلك التيطري الأكثر تبعية بسبب قربه من مقر الحكم. كما استخدم العثمانيون قبائل موالية تعرف بقبائل المخزن، لتسهيل

---

(1) - Recherches ..... I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit., p. .283.

(2) - Op. Cit., p.57.

عملية حكم الإيالة (حكم البلاد بأهل البلاد)[1].

وبالمقابل توجد مناطق من الإيالة لا تخضع بأي شكل من الأشكال لسلطة الداي، تسكنها قبائل متمرّدة. وبما أنّنا نتحدث عن سلطة الداي، فيجب الإشارة إلى أنّ السلطة العثمانية، لم تكن السلطة الوحيدة على تراب الإيالة، بل كانت هناك سلطات أخرى، ذات نفوذ وقوة وتأثير، وهي سلطات محلية ؛ كالسلطة المشيخية (نسبة إلى شيخ القبيلة) والمرابطية والشريفية[2].

لكن ما مدى سلطة الداي في اتخاذ القرارات، باعتباره السلطة الرسمية في الإيالة ؟ حسب المصادر المحلية فالداي هو السلطان والملك، حيث ذكر حمدان بن عثمان خوجة، أن الداي يتمتع بسلطة مطلقة، انتقدها الكاتب واعتبره خطأ فادحًا من طرف الأتراك[3]. أما المصادر الأوروبية فنعته بالمستبد، والحاكم المطلق، الذي بيده الموت والحياة، والذي لا تناقش أوامره بل تطبق، لكنها ترجع وتستطرد أنّ للداي حدودًا يضعها لنفسه، لا يمكن أن يتخطاها، إذا أراد أن يحافظ على حياته[4]. فما هي هذه الحدود ؟ إنّ أكثر ما يتبادر للأذهان عند ذكر ما يمكن أن يحدّ من سلطة الداي، ثلاثة عناصر : السلطان العثماني، الديوان، العسكر.

أ - السلطـــان العثمـــاني :

ارتبط مصير المغرب الأوسط بالإمبراطورية العثمانية، بعد الرد الإيجابي للسلطان العثماني على الرسالة[5] التي بعث بها أعيان الجزائر، بإشارة من خير الدين "بارباروس"، يعلنون فيها ولاءهم له، وهكذا تأسّست إيالة الجزائر العثمانية. وقد أثارت هذه العلاقة الكثير من التساؤلات حول

---

(1) - لمزيد من المعلومات حول التقسيم الإداري للإيالة، وكيفية إدارتها، ينظر :

- P.Boyer "L'évolution de l'Algérie médiane (Ancien département d'Alger) de 1830 à 1956", librairie d'Amérique et d'orient Adrien - Maison neuve, paris, 1960, p p. 11-41.

- وعن قبائل المخزن، ينظر : حليمة أمقران، موقع المخزنية في النظام العثماني في الجزائر، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004، 2005م

(2) - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى القرن 13 هـ (19م)، دراسة اجتماعية سياسية، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 1990-1991م، ص ص. 342-345.

(3) - المصدر السابق، ص. 154.

(4) -Laugier de Tassy, Op. Cit., p. 129, et V. de paradis, Op. Cit., N. 40, p 268

(5) - ينظر : عبد الخليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، جويلية 1976م، ص. 117.

طبيعتها، ومدى الارتباط بين الإيالة والإمبراطورية العثمانية، وحول النفوذ الذي يمكن للسلطان العثماني أن يمارسه على حكام الإيالة.

بدايةً لقد أثّرت التغييرات التي حدثت على مستوى الحكم على مدى الثلاثة قرون في هذه العلاقة، حيث يقول أبو القاسم سعد الله « ... فقد كانت علاقة وطيدة سياسيًا حين كان الباشوات يأتون من هناك ثم أخذت تضعف أثناء الحكم الثنائي حين كان ممثل السلطان مجرّد موظف سام يتقاضى أجرة ويشاهد مجريات الأمور، ولكن لا يستطيع فعل شيء. وكادت العلاقة تنقطع (بل انقطعت في بعض الأحيان) حين أصبح السلطان مقتنعًا بإصدار (فرمانه) إلى من يختاره الجنود العثمانيون في الجزائر. وقد ظل محافظًا على الحد الأدنى من استمرار العلاقات للمصلحة المتبادلة[1].».

وإنّ إطلالة على المراسلات بين الدايات والجانب الفرنسي والتي جمعها أوجين بلانشي، جعلتنا نلاحظ أنّه قبل 1711م السنة التي انفرد فيها الدايات بالحكم، كان نادرًا ما يُذكر فيها السلطان، بينما منذ تولي الداي علي (1710-1718م)، أصبحنا نرى ذكرًا للسلطان العثماني بشكل أكبر وهذه بعض الصيغ التي ذُكرَ بها في رسائل الدايات : « من طرف الأسمى الأسعد علي، حاليا حاكم وقائد مدينة الجزائر بباربارية والحدود الأبعد التي هي تحت تبعية وسيطرة الإمبراطور الأعظم للمسلمين من الأسرة العثمانية العلية – أدام الله الإمبراطورية إلى آخر الزمان- »[2]، و « من طرف الأسمى الأعظم محمد، داي الجزائر، مسرح الحرب، إحدى المدن التي، بحفظ الله، تابعة للإمبراطور أحمد، خادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة...» [3]، و « عبدي، باشا وداي جزائر باربارية المحروسة،... التي هي إحدى ممالك إمبراطورنا أحمد...[4]»، و « رسالة صداقة من الخادم الدائم للباب العالي، الخاص بالأسمى، الأقدر والإمبراطور الأعظم، السلطان محمود –أدام الله برحمته حكمه !- سموه إبراهيم باشا، حاكم وسيد جمهورية جزائر بربارية، ... [5]»، و « رسالة صداقة...، من طرف علي باشا، داي وحاكم الجزائر، منصب أنعم به عليه الأسمى والإمبراطور الأعظم، السلطان عثمان، الأمير الذي يمسك بين يدي سلطته مفاتيح العصر وزمام شؤون الرجال، المنتقم من

---

(1) - تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.1، ص. 146.

(2) - الرسالة بتاريخ 11 ماي 1711م، ينظر : Op. Cit., t.2, p. 76.

(3) - الرسالة بتاريخ 04 جويلية 1718م، ينظر : Ibid, p. 97.

(4) - الرسالة بتاريخ 17 نوفمبر 1726م، ينظر : Ibid, p. 127.

(5) - الرسالة بتاريخ 4 جوان 1734م، ينظر : Ibid., p. 181.

الاستبداد والظلم، ظل الله على الأرض، المنصور على أعداء الله، حامي العدل، وتاج العظمة المتلألئ، سليمانٌ آخر بحكمته وإسكندر ثان بقوته. –أدام الله مدّة حكمه !– »[1].

هذا العرض لبعض الأمثلة يؤكّد وجود اعتراف من قِبَل الدايات بالسلاطين العثمانيين، فهل هناك خضوع فعلي وحقيقي ؟ رغم أنّه لا يسعنا في هذا الإطار الإحاطة بالموضوع، إلا أنّنا لاحظنا أن الكتاب الأوروبيين تحدّثوا كثيرًا عن ضعف نفوذ الباب العالي في الإيالة، رابطين ذلك خاصة بعدم تمكّن الباب العالي من فرض معاهدات السلام التي أقامها مع الدول الأوروبية على الدايات، حيث كان على هذه الدول أن تتفاوض بشكل مستقل معهم، فقد كتب فونيتر دوبارادي أن معاهدة فرنسا مع الباب العالي لم تعد كافية لإدارة مصالح فرنسا في إيالة الجزائر[2]، والأمثلة كثيرة بهذا الخصوص[3].

لكن من جانب آخر، نجد هؤلاء الكتّاب أنفسهم يؤكّدون، أنّ الدايات كانوا رغم كل شيء لا يستطيعون إذا جدّ الجد قطع هذه العلاقة، خاصة وأنّهم بحاجة دائمة وماسة لتجنيد عناصر جديدة من الأراضي التابعة للسلطان العثماني، بالإضافة للحصول على قفطان التولية[4].

وكملاحظة أخيرة يمكن القول أن تعامل الدايات مع أوامر السلطان قد تباينت بحسب شخصية الداي وكذا نوعية الأوامر وتأثيرها على مصالح الإيالة، حيث تراوحت بين التعظيم لشأن السلطان وتنفيذ أوامره بحذافيرها، وبين الإستهزاء بهذه الأوامر، إلى حد التجرّأ على محاولة قتل مبعوث السلطان نفسه، وهذين مثالين من مذكرات أحمد الشريف الزهار يوضحان ذلك :

---

(1) – الرسالة بتاريخ 10 أفريل 1757م، ينظر : Op. Cit., t.2, p. 233, 234.

(2) – Op. Cit., N. 40, p. 258.

(3) – حسب مقال عن العلاقات بين فينا والإيالات الثلاث التابعة للسلطة العثمانية، فإنّ هذه الإيالات قليلة الإمتثال لأوامر السلطان العثماني، فرغم عقد فينا لمعاهدة سلام مع الباب العالي (كارلوفيتس 1699م) إلا أنّها لم تستطع الاعتماد عليها في حماية تجارها من أعمال القرصنة، حتّى أنّ محاولة السلطان العثماني للجمع بين الطرفين في عاصمة الإمبراطورية، للتشاور حول اتفاقية سلام بين إيالة الجزائر وفينا، ردّت عليها الإيالة بأن الأمور يجب أن تتم في الإيالة حتى يتسنى لها مشاورة السكان، ينظر :

- S.Sacerdoti, "Venise et les régences d'Alger, Tunis et Tripoli (1699-1764)", In. R.A. N.101, An 1957, p. 280,281.

(4) – كتب فونتير دوبارادي أن الجزائر تدين بالولاء للباب العالي، الذي يؤكّد تولية الداي بإرساله للطوغين، والذي بإمكانه إجبارها إذا أراد ذلك فعلا إيقاف القرصنة ضد أي أمّة مسيحية في إشارة إلى تهديد الإيالة بعدم السماح لها بتجنيد الرجال من أراضي الإمبراطورية، ينظر : Op. Cit., N. 41, p. 86. -

- **المثـــال الأوّل** : « وفي سنة 14 (1799م)، خرجت سبعة مراكب بنية غزو البردقيز[1] وكان جنس المنامسة[2] قد بدل بنديرته (علمه) وجعل بنديرة أخرى، فلقي المسلمون مراكب للمنامسة فغنموها، لأنّهم وجدوهم من غير بنديرهم الأولى وأتوا بها للجزائر، وباعوا ما وجدوا فيها من السلع، واقتسم الغزاة مال الغنيمة. فلما سمع الإمبراطور بذلك اشتكى للسلطان سليم، فبعث هذا قبجي باشي إلى الجزائر وبيده فرمان لمصطفى باشا، ليرد مراكب المنامسة فلما وصل قبجي باشي، والتقى مع الباشا وقرأ الفرمان، أطلق النصارى من الأسر، وكتب للسلطان بأن الغنائم اقتسمها الغزاة وهؤلاء الناس. ورجع القبجي باشي بالجواب والأسرى إلى اصطامبول[3].».

- **المثـــال الثاني** : « ثم أمر (الداي) بخروج المراكب الجهادية إلى غزو مراكب الكرايك[4] فأخذوا لهم مراكب. ثم جاء الأمر من الدولة العثمانية بوجوب إرجاع تلك المراكب وإطلاق سراح الأسرى منهم فما كان لوكيل الحرج من جواب على ذلك إلا أنّه أمر بشنقهم، وصلبهم على صواري المراكب الجهادية. وأجاب الأمير الدولة العثمانية بجواب قبيح حتى أنّه قال لهم ان بقيتم على هذه الحالة فإنّ الكريك يأخذون نساءكم. فلما بلغهم الجواب أثر فيهم كثيرا وقالوا ان هذا الرجل عاصي السلطان، وحصل لهم حقد كبير عليه[5].».

ب – الديـــوان :

يُعد الديوان أحد ركائز الحكم العثماني الذي تبنته إيالة الجزائر، على أساس أنّها جزء من الإمبراطورية العثمانية. احتل في الفترة الأولى من تأسيس الإيالة مكانة هامة في تسيير شؤونها[6]، لكن بعدما عُرِفَ بثورة الأغاوات (1659م)، بدأت تعم الديوان الفوضى، وفقد الكثير من صلاحياته، واستمر الوضع كذلك مع بداية عهد الدايات[7]. وحيث أنّه يوجد ديوانين ؛ ديوان

---

(1) – البردقيـــز : البرتغال

(2) – المنامســـة : إمبراطورية النمسا والمجر

(3) – المصدر السابق، ص. 73، 74.

(4) – الكـــرايك : اليونـــان.

(5) – المصدر السابق، ص. 110. (الداي الذي وقعت في عهده هذه الحادثة هو الحاج علي باشا (1809-1815م).

(6) – وليام شالر، المصدر السابق، ص. 42.

(7) – P.Boyer, "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p. 106.

كبير (عام) وآخر صغير (خاص)[1]، فقد تراجع دور الأوّل بينما بقي الثاني قويًا بما يكفي ليؤثّر في الحكم[2]، لكن الأمر لم يبق على حاله، حيث أصبح الداي يستعين بما يسميه الكتاب الأوروبيون "مجلس الوزراء"، الذي يتكون من مجموعة من الموظفين السامين[3].

لاحظ بوابيه وجود علاقة تعاون بين الداي وهؤلاء الموظفين[4]، أفرزت نتائج هامّة نذكر منها، أولاً : تراجع تام للديوان الصغير، حيث أستبدل بمجموعة الموظفين المذكورين أعلاه، أما الديوان الكبير فأصبح يجتمع فقط في المناسبات الدينية كالعيد، أو مناسبات أخرى مثل دفع مرتبات الجند[5]، وهكذا تحول الديوان إلى مجرّد شبح لا حول ولا قوة له كما قال شالر[6]، ثانيا : أدى هذا التحالف إلى نوع من الاستقرار سواء بالنسبة لطريقة انتقال الحكم كما ذكرنا في عنصر سابق، أو بالنسبة إلى تراجع عمليات التمرّد حيث أصبح التخلّص من الداي يجب أن يرافقه التخلص من موظفيه المحيطين به، ممّا صعّب من هذه المهمّة[7]، ثالثا : لم يعد للجند بعد أن سدّ أمامهم باب الديوان الذي يتكون من أغلبية منهم، طريقة للتعبير عن أرائهم سوى التمرّد[8]، كوسيلة استرجعت نجاعتها في الفترة الثالثة التي أسميناها عودة اللإستقرار، لأسباب خارجية وأخرى داخلية إضافة للوضع الاقتصادي المتردّي.

حاول الجند إرجاع دور الديوان[9]، لكن مع تولية الداي علي (1817-1818م) تبخّرت

---

(1) - لمعرفة مكونات الديوان ينظـــــر :

- P.Boyer, "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p p.102-107. et V.de paradis, Op. Cit., N.40, p.48. et A.Devoulx, "Ahad Aman, texte turc", traduit en arabe par Mohammed ben Moustafa, et reproduit en français, par M.Devoulx fils, In. R.A., N. 4, An. 1859-60, p.215.

(2) - لاحظنا في كتاب أوجين بلانشي أنّه في بداية عهد الدايات، أرسلت رسائل كثيرة باسم الديوان، يتم الإمضاء عليها بالترتيب التالي : الداي، آغا الإنكشارية، كاهية الإنكشارية.

(3) - ويسمونهم أيضًا "القوى" (Puissances) وهم (الخزناجي، بيت المالجي، وكيل الخرج، آغا الانكشارية وآغا السباهية، الخواجات)، ينظر : خليفة إبراهيم حمّاش، المرجع السابق، ص ص. 57-68.

(4) - "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p. 112.

(5) - Ibid., p. 108.

(6) - المصدر السابق، ص. 42، كما انتقد حمدان بن عثمان خوجة تجريد الديوان من كل قوّة وسلطان، ينظر المصدر السابق، ص. 154.

(7) - P.Boyer, "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p. 110,111.

(8) - Ibid., p 108.

(9) - Ibid., p. 124.

آمالهم، حيث سارع إلى اتخاذ خطوات اعتبرها الكثيرون ثورة حقيقية، كان من الممكن أن تؤدي إلى تشكيل حكم عسكري مركزي قوي بالجزائر مستقل عن إستانبول ومتفتح على الواقع الجزائري[1]، لكن قصر مدة حكمه، وعمل خلفه الداي حسين على إلغاء قراراته ثم انتهاء حكم هذا الأخير بالاحتلال الفرنسي، حَالَ دون التعرّف على نتائج سياسته.

جـ - الجنـــد :

لعب الجند أو كما يطلق عليهم الأوروبيون "الميليشيا"، دورًا خطيرًا في التطور السياسي للجماعة الحاكمة[2]، فخلال الجزء الأكبر من القرن 16، عمل الجند كجيش في خدمة البايلرباي، تاركين إدارة الإيالة للحاكم، لكن مع نهاية القرن السادس عشر بدأ هذا الجهاز يتدخل في شؤون الحكومة وإدارة الإيالة[3]. ومع ذلك لم تبدأ المشاكل الحقيقية إلا بعد سنة 1659م، عندما استولى الجند على مقاليد الحكم، و لم يبق للباشا ممثل السلطان العثماني أي تأثير. وفي عهد الدايات انتقل الحكم إلى أشخاص ينحدرون من النخبة العثمانية للإيالة (رياس ثم إنكشارية).

وكثيرا ما ذكر الكتّاب تأثير الجند في الحكم، خاصة من خلال عملهم على فرض آرائهم بالتمرّد، الذي كثيرًا ما ينتهي باغتيال الداي، كما عبّر الدايات أنفسهم في مراسلاتهم، على عدم مقدرتهم تجاوز موافقة الجند عند اتخاذ القرارات، وبأنّهم يخافون على حياتهم، ولأجل هذا يقومون بشراء موافقة الجند وهدوئهم بالمال[4].

في الحقيقة لم يكن السلطان العثماني، والديوان والجند، العناصر الوحيدة التي يجب أخذها في الحسبان عند الحديث عن سلطة الداي، فهناك عناصر أخرى ؛ كتأثير الروابط العائلية، ومحاباة الأقارب في الوظائف الحكومية، وتأثير بعض الموظفين القريبين من الداي، إضافة إلى تأثير قناصل الدول الأوروبية، وكذا اليهود، الذين لاحظنا نفوذهم منذ عهد الداي الأول وإلى غاية الداي الأخير وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة.

---

(1) - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مُقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص. 173 وذكر بوايه أن ما فعله الداي علي كان إرهاصات حكم ملكي وراثي يشبه ذلك الموجود في تونس، ينظر : P.Boyer, "Des pachas triennaux .....", Op. Cit., p.121.

(2) - جون ب. وولف، المرجع السابق، ص. 127.

(3) P.Boyer, "Des pachas triennaux ...", Op. Cit., p 102.

(4) - كتاب أوجين بلانتي سابق الذكر مليء بهذه التصريحات من قبل الدايات.

لكن قبل الختام، يمكن أن نتساءل عن رأي الدايات أنفسهم في نظام الحكم الذي كانوا يترأسونه، وما هو موقعهم وموقع مختلف عناصره منه ؟ ما جعلنا نطرح هذه الأسئلة، هي الإجابات التي وجدناها في محتوى رسائل الداي شعبان (1690-1695م) إلى الجانب الفرنسي، وهي رسائل تميزت بالطول وبتعاليق كثيرة بخصوص هذا الموضوع. ومع أنّها صادرة إن صحّ التعبير عن المعنيين بالأمر (الدايات)، إلاّ أنّه لا يمكن اتخاذ ما جاء فيها كحقائق مطلقة، أو أنّها تُعبِّر عن حقيقة هذا النظام وحقيقة سلطة الدايات، حيث لا يجب تجاهل أن هذه الرسائل موجهة للفرنسيين لأجل حل قضايا عالقة تمس بمصالح كلا الطرفين وبالتالي فهي تحمل الكثير من الدعاية، وما علينا إلا الانتباه عند التعامل مع الحقائق الموجودة فيها آخذين بعين الاعتبار النقاط التاليـــة :

- أخذ آراء الداي في إطارها الزماني وفي سياقها.
- الأخذ في الاعتبار شخصية الداي وآرائه الخاصة.
- هذه الرسائل مترجمة، مما يجعل معاني المصطلحات تتأثر.

اعلم الداي شعبان الجانب الفرنسي، في رسائله الأولى، بهروب الداي السابق، واجتماع الديوان الذي اختاره لهذا المنصب[1]، وذلك بموافقة الميليشيا[2].

وكان الداي مدركًا لطبيعة الحكومة العسكرية، حيث كرّر في مناسبات عدة بأنّهم أناس حرب[3]، وبأنّ الإيالة مسرح حرب لأجل الدين[4]. أما فيما يخص سلطته فاخترنا مقطعًا قاله على إثر أسر خمسة "جزائريين" من طرف الفرنسيين : « في هذا البلد، لا يوجد إلا رجل واحد يحكم، وفي فرنسا يوجد مئة يعطي كل واحد منهم أوامر مختلفة ويتصرّفون حسب أهوائهم.» [5]، وفي احتجاجه على عدم تطبيق معاهدة لتبادل الأسرى، بعد سنتين، من الاتفاق عليها، أكّد على أنّ كل سكان البلد يأتمرون بأمره عكس ما يحدث في فرنسا[6]، وخلاصة القول فالداي هو "القائد

---

(1) - رسالة من حاجي شعبان، داي الجزائر، إلى وزير البحرية الفرنسي، في 13 أكتوبر 1689م، ينظـــر :
- E.Plantet, Op. Cit., t. 1., p. 175,176

(2) - رسالة من حاجي شعبان، داي الجزائر، إلى ملك فرنسا لويس 14، في 13 أكتوبر 1689م، ينظر : Ibid., p. 174. -

(3) - رسالة من حاجي شعبان، داي الجزائر، إلى وزير البحرية الفرنسي في 10 ماي 1690، ينظر : Ibid., p. 239. -
و رسالة من حاجي شعبان، داي الجزائر، إلى ملك فرنسا لويس 14، في 20 أكتوبر 1691م، ينظر : Ibid., p. 341. -

(4) - رسالة من حاجي شعبان، داي الجزائر، إلى ملك فرنسا لويس 14، في 10 ماي 1690م، ينظر : Ibid., p. 227 -

(5) - رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 29 أكتوبر 1691م، ينظر : Ibid., p.354,355 -

(6) - رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 06 أكتوبر 1692م، ينظر : Ibid., p. 387. -

المقيم للعدل"[1].

أما بالنسبة للسلطان العثماني فأعتبره بمثابة الحامي[2]، الذي تخضع له الإيالات الثلاث[3] (الجزائر، تونس، ليبيا)، هذا من جهة، وفي المقابل تحدّث كثيرًا عن أهمية الإيالة بالنسبة للإمبراطور العثماني، وأن شغله (الداي) الشاغل هو الحفاظ على الإيالة لأجل السلطان، حيث أنّ كل الحروب التي يخوضها ضد القبائل العربية، هي لأجل الحفاظ على إيالة الجزائر[4] التي يعتمد عليها الإمبراطور لحماية إمبراطوريته في إفريقيا، فحسب الداي فإنّه لو حدث لإيالة الجزائر شيء فإن ممالك تونس وليبيا ومصر ستضيع من أيدي أباطرة العثمانيين[5].

وبشأن الديوان، فقد عبّر الداي في عدة مناسبات، عن أهميته ومكانته المرموقة في الإيالة، ومما قاله : « هذه القيادة تحت إمرة السادة الذين يكوّنون الديوان ؛ دعائم الدولة والدين، وسند الإمبراطورية، وفخر السادة المشهورين الجالسين على كرسي العدالة أين يستمعون للنّاس. [6]». وتتجلى أهمية الديوان في عدّة نقاط : كضرورة موافقته لإقرار السلم[7]، وكذا وجوب مناقشة كل الأمور بحضور أعضائه[8]، وعدم مخالفة قراراته، حيث قال : « ولن يكون هناك أي ذريعة لإفساد الصداقة، لأننا غير قادرين على الإساءة لديواننا بمخالفة أشياء وعد بها. [9]»، في إشارة إلى معاهدة السلام بين الإيالة وفرنسا.

كما احتل الحديث عن الجند أو الميليشيا في رسائل الداي حيزًا كبيرًا، فهي رقم مهم في معادلة عقد معاهدات السلام حسب الداي[10]، وبما أنّها من النوع الذي يريد ضمان الأشياء (تشبه المرتزقة)، فهو غير مستعد للمخاطرة بحياته، باتخاذه أي خطوة دون إعلامها[11]، وقد كرّر

---

(1) – رسالة من الديوان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 05 جانفي 1690م، ينظر : E.Plantet, Op. Cit., t. 1, p. 195. –

(2) – " " " " " " " " ، ينظر : Ibid., p. 195. -

(3) – رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسية، في 27 أوت 1691م، ينظر : Ibid., p. 330. -

(4) – رسالة من حاجي شعبان، داي الجزائر، إلى ملك فرنسا لويس 14، في 01 سبتمبر 1694م، ينظر : Ibid., p. 417. -

(5) – رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، 01 سبتمبر 1694م، ينظر : Ibid., p. 432, 433 -

(6) – رسالة من الديوان إلى ملك فرنسا لويس 14، في 05 جانفي 1690م، ينظر : Ibid, p. 183. -

(7) – رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 29 أكتوبر 1691م، ينظر : Ibid, p. 346. -

(8) – رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 20 أكتوبر 1691م، ينظر : Ibid, p. 354. -

(9) – رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 10 ماي 1690م، ينظر : Ibid, p 238. -

(10) – رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 15 جانفي 1690م، ينظر : Ibid, p. 212. -

(11) – رسالة من الديوان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 05 جانفي 1690م، ينظر : Ibid, p. 201, 202. -

كثيرًا خوفه من القتل إن لم يستطع إرضاءها، ولهذا كلما جدّت قضية بين الإيالة وفرنسا، إلا وأبدى الداي خوفه من الميليشيا[1]، وتحدّث أيضًا عن الشفافية التي يناقش بها الأمور معها[2]، وعمله على تهدئتها وكسب موافقتها بالمال[3]، كما طالب الداي الفرنسيين في رسائله بإرضاء الميليشيا وتحقيق مطالبها، حتى يتعاطى معها بثقة[4]، لدرجة أنّه أعلن ذات مرة أنّه تعرّض للإهانة من طرف الجند، بسبب ضعف موقفه بشأن مسألة عالقة بين الإيالة وفرنسا[5].

وفي الأخير يجب أن نشير إلى أنّ الداي تعرّض في رسائله إلى عدّة مسائل أخرى، ربما أهمها؛ أنّه أبدى رغبته في السيطرة على المغرب (الأقصى) [6]، وكذا توحيد الإيالات الثلاث (الجزائر، تونس، ليبيا) تحت إمرته[7]، كما أظهر مقته الشديد لسياسة محمد باي تونس، واعتبره خائنا للسلطان العثماني، لأنّه أراد وضع البلاد العثمانية بأيدي العرب[8] (يقصد الاتفاق الذي تمّ بين باي تونس وملك المغرب ضد إيالة الجزائر).

2 - وظـــائف الـــداي :

إذا كان محمد حربي، في مقاله "نشأة دولة"، أطلق على جزائر ما قبل الاحتلال دولة "كلب الحراسة" (État chien de garde)[9]؛ لأنّها كانت تكتفي باقتطاع الضريبة لسير أعمالها، وتنظيم الأمن

---

(1) - رسالة من الداي شعبان إلى ملك فرنسا لويس 14، في 12 أفريل 1690م، ينظر : E.Plantet, Op. Cit., t. 1, pp. 217-220
ورسالة من الداي شعبان إلى مسؤول البحرية بطولون، في 12 أفريل 1690م، ينظر : Ibid, p. 225 -

(2) - رسالة من الداي شعبان إلى ملك فرنسا لويس 14، في 23 جويلية 1691م، ينظر: Ibid., p. 295. -
ورسالة الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 29 أكتوبر 1691م، ينظر : Ibid, p. 347 -

(3) - رسالة من الديوان إلى إمبراطور فرنسا، في 26 جويلية 1690م، ينظر : Ibid., p. 252, 253 -

(4) - رسالة من الداي شعبان إلى ملك فرنسا لويس 14، في 24 مارس 1692م، ينظر : Ibid, p. 369 -
ورسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 07 ماي 1694م، ينظر : Ibid, p. 414. -

(5) - رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 12 أفريل 1690م، ينظر : Ibid, p p. 221-223. -
ورغم حديث الداي المتكرّر عن خوفه من اغتياله من طرف الجند، فإنّ هذا الداي اشتهر بحزمه وقوته، كما أنّ قنصل فرنسا لومار (Lemaire) كتب إلى وزير البحرية الفرنسي بأنّ الداي توجّه إلى أعضاء ديوانه قائلا أنّ من سيتمتم سيسلخه حيًا، في إشارة إلى رفضه سماع أي اعتراض على القضية التي كان بصدد الحديث عنها، ينظر : Ibid, p 261. (Note2) -

(6) - رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 24 مارس 1692م، ينظر : Ibid, p. 380, 381 -

(7) - رسالة من الداي شعبان إلى وزير البحرية الفرنسي، في 01 سبتمبر 1694، ينظر : Ibid, p. 442 -
و رسالة من الداي شعبان إلى ملك فرنسا لويس 14، في 06 مارس 1695م، ينظر : Ibid, p. 452, 454. -

(8) - رسالة من الداي شعبان إلى لويس 14 ملك فرنسا، في 01 سبتمبر1694م، ينظر : Ibid, p. 419. -

(9) - هذا الرأي لمحمد حربي يحتاج إلى بحث.

الداخلي والخارجي[1]، فما هي الأدوار والوظائف التي كانت منوطة بمن تولى رأس السلطة في هذا النوع من "الدولة" ؟.

يقول خليفة حمّاش أنّ الداي كان يجمع في شخصيته بين صورتين متكاملتين تعكسان في مظهرهما نظام الحكم الذي كان قائما في الدولة العثمانية بجميع جوانبه السياسية والعسكرية والاجتماعية، وهاتان الصورتان هما صورة الجندي الإنكشاري المنضبط وصورة السلطان العثماني[2]، فالداي ينتمي إلى الجند[3]، ويخضع لنفس نمط العيش الصعب لأي جندي آخر[4]، ويتقاضى راتبًا يساوي ذلك الذي يحصل عليه جندي إنكشاري قديم، وكل ما يميزه أنّ اسمه مسجّل في أوّل قائمة الجند[5]، لكن في الوقت نفسه يتمتع بصلاحيات مطلقة، فله حق الحياة والموت كالسلطان العثماني[6]. وفي هذا السياق يقول فابريال كولين : « نعلم أنّ دايات الجزائر يتقاسمون شرف لقب باشا مع السلطان والذي يترجم سلطتهم المطلقة، كما يحملون لقب حاكم الذي يبين خضوعهم للباب العالي. [7]».

ويضطلع الداي من خلال منصبه بمهام وواجبات، يتلوها القاضي في حفل توليته، مضمونها : « إنّ الله أنعم عليه باستدعائه إلى حكومة هذه الجمهورية وميليشيتها : ليعاقب المذنبين، ويحافظ على امتيازات ورواتب[8] آخرين : وهذا يلزمه كل عنايته لازدهار البلد[9]. »، كما أن السلطان

---

(1) –René Gallissot, Les accords d'Évian en conjoncture et en longue durée, préface de D.Djerbal, Casbah éditions, Alger, 1997, p. 224.

(2) – المرجع السابق، ص. 43، 44.

يمكن أن نضيف إلى هاتين الصورتين، صورة الأب في شخص الداي، حيث أنّه كثيرًا ما يدعو الجند في رسائله بأبنائي، ونفس الشيء لاحظناه بالنسبة لبعض الموظفين الذين يدعونه بالأب، وقد اعتبره حمدان بن عثمان خوجة، بمثابة رئيس دولة وأب للشعب وولي للأيتام، ينظر : المصدر السابق، ص. 182.

(3) – L.de Tassy, Op. Cit., p. 125, 126.

(4) – V. de Paradis, Op. Cit., N. 40, p. 265 et N. 41. p. 68, 69.

(5) – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 122، و – V. de Paradis, Op. Cit., N. 40, p. 74. و Louis de Baudicour, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, sagnier et bray, libraires Editeurs, paris, 1853, p.261.

(6) – L.de Tassy, Op. Cit., p. 129.

وأحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط.2، دار الشروق، القاهرة، 1982م،ص. 106، 107.

(7) – Op. Cit., p. 231. (Note 1).

(8) – يعتبر تأمين مرتبات الجند أهم واجبات الداي، لأجل ضمان استقرار الإيالة، حيث أنّ دولاكرو قال أن الهدف من انتخاب أول داي هو دفع مرتبات العسكر، ينظر : M.Emerit," Un mémoire sur Alger .....",Op.Cit., p10.

(9) – J.Morgan Op. Cit., p. 77, 78.

العثماني يبارك تولية الداي على أساس قيام هذا الأخير بوظائف معينة، ويظهر ذلك في فرمانات التولية، وهذه مقاطع منها :

1. فرمان تولية إبراهيم خوجة من طرف السلطان محمود الأوّل، في أواخر ربيع الآخر 1159 هـ/1746م : « ... رُقي إبراهيم خوجة إلى رتبة حاكم الجزائر. بهذه الصفة، يجب عليه أن يسهر على حراسة وأمن المدن، والدفاع باهتمام دائم على الفقراء وكل السكان، والعيش بتفاهم مع القادة العسكريين للإيالة، أسود النصر والحرب المقدسة، وبذل كل ما في وسعه لكسب محبتهم .... .كل ما يرتبط بمهامنا المجيدة كحاكم، كل ما يختص بواجباتنا المقدسة كإمبراطور، عليه أن يراعيه ويلتزم به بدقة، مثل : إدارة الأماكن المحصنة والمدن، وتحسين مصير السكان، والشرطة، وإدارة المقاطعات، وأمن الطرق والمواصلات، وكل الأشياء التي أمرناه ببذل كل جهوده في سبيلها، كما ألزمناه بالدقة فيما يخص كل الأمور التي تتعلق بوظيفة حاكم الجزائر... فمن الآن فصاعدا، لا يمكن لغير حامل هذه البراءة الشريفة، أن يتدخل في الأمور التي تتعلق إدارتها بحاكم الإيالة، وعلى الداي الجديد أن يأخذ في الاعتبار كل طبقة من رعايانا حسب مكانتها، وأن لا يتوقف على النظر بعين الطيبة والرحمة لظروف الضعفاء والفقراء ؛ ليكن مرعبًا للطغاة وسندا للمظلومين ؛ وأن ينفذ كل ما يؤدي لخير البلد ؛ كما أن عليه أن يثابر في إدارة كل ماله علاقة بالحكومة بالجهد والحماس الدائمين، وأن يبرهن على المشاعر الطيبة والوجهة الحميدة ؛ كما تقتضيه إرادتنا ؛ فلا يقاومها ولا يناوؤها أحد ؛ فلتدرك جيدًا ولتحترم طغرتنا الشريفة [1] ».

2. فرمان تولية الداي حسين في أوائل جمادى الآخرة سنة 1233هـ/1818م « ... يوجه لأمير أمراء الجزائر رتبة جديدة، وردًا على إحسان السلطان يجب أن تتقيد بالصدق والإخلاص، وأن تقوم بالتفاهم مع أمراء الأوجاق وتعتني بالأهالي والسكان، وتتصدى للطامعين بالأوجاق وأن تقوم بالصيانة الكاملة والشاملة وأن تؤمن الحماية للأوجاق بشكل كامل، وأن تتقيد بأمور المسألة التي تجري بين الدولة العلية وبين الدول الأوروبية والتقيد بشروط المعاهدات المعقودة، وتأمين المواد الغذائية والتجارية لهذه الدول استنادا للاتفاقيات المعقودة، وعليك تجنب التعرض للسفن التجارية، وباختصار يجب تطبيق الشرع الشريف... »[2].

ومن خلال كتابات بعض من عايش الدايات، يتبين لنا تعدّد مهام الداي وتنوعها، وأهمها

---

[1] – E.Plantet, Op. Cit., t. 2., p. 582, 583.

[2] – عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص. 617.

العلاقات مع الدول، حيث أنّ عليه الفصل في كل القضايا ؛ من توقيع معاهدات السلام، وإعلان الحرب، وتجديد الامتيازات أو إلغائها، وتسوية قضايا الأسرى وحل الحلافات، ومراسلة الدول، وقبول القناصل، واستقبال الإتاوات من هذه الدول.

كذلك من بين أهم وظائفه الجلوس للفصل بين الناس، فهو يحكم بينهم في كل الأمور ما عدا الدينية التي يتكفّل بها القاضي، فالكل من أكبر شخص في الحكومة إلى أضعف عبد يأتون ويَضَعُون دعاويهم بين يديه، يشرحونها دون محامي ولا وكيل، فالقضايا تحل فورًا بلا تكاليف ولا استدعاء[1]. ومن صلاحياته فرض العقاب الذي يريد على من يريد[2].

ومن مهام الداي التعيين في الوظائف، حيث أن تعيين عددًا كبيرًا من الموظفين يُعد من اختصاص الداي، وخاصة الموظفين الكبار[3]. كما يتدخل الداي في الجانب الاقتصادي ؛ فيتدخل في تحديد قيمة السكة[4]، ويتدخل في التجارة الخارجية، خاصة بيع الحبوب[5]، ومراقبة السلع التي تجيء من البلاد المسيحية[6]، كما يُشرف على تحديد سعر المواد الغذائية الضرورية للحياة كالخبز والخضر[7]، وهو الذي يعطي الرخص للسفن[8]، ويترأس احتفال دفع المرتبات[9]، ويستقبل كل الأجانب الذين يدخلون للإيالة، ويسألهم عن سبب مجيئهم ومن أين جاؤوا وأحوال البلاد التي جاءوا منها[10]. ومن مهامه أيضا اتخاذ إجراءات معينة عند حدوث الكوارث الطبيعية والمجاعات[11].

وحسب أحمد الشريف الزهار، فإنّ بعض الدايات كان شغلهم الشاغل الجهاد، ولهذا كانوا

---

(1) - L. deTassy, Op. Cit., p. 134, 135..

(2) - Ibid., p. 137, et V. de Paradis, Op. Cit., N. 40, p. 56, 59.

وكاثكارث، المصدر السابق، ص. 30

(3) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 63. وحمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 141، وكاثكارث، المصدر السابق، ص. 22، 28، 79. و Laugier de Tassy, Op. Cit., p. 137,139,140. و V. de pardis, Op. Cit., N.39, An 1895, p. 275, 307, 308. 309, et N. 40 p. 50, 55, 58, 74, 75, 77.

(4) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 147. و V. de Paradis, N. 40, p. 47.

(5) - Ibid, N. 39, p. 285, 286.

(6) - Ibid, p. 295, 296.

(7) - L. de Tassy, Op. Cit., p. 80.

(8) - كاثكارث، المصدر السابق، ص. 17، 77.

(9) - V. de Paradis, Op. Cit., N. 40, p. 47, 48, 49.

(10) - L. de Tassy, Op. Cit., p. 70.

(11) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 117، 155، 156. وحمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 160.

يعملون على تحصين المدن ببناء الأبراج، كما كانوا يهتمون بإنشاء السفن وتزويدها بالمدافع[1]. واشتهر الدايات أيضا بأعمالهم العمرانية، كبناء المساجد والعيون والبساتين والقصور، والكثير من المرافق الخاصة والعامّة[2]. إضافة إلى أن بعض الدايات قاموا باستصدار بعض القوانين لتسيير الإيالة، لدرجة أن بعضهم تسبّب في تغيير الأوضاع جذريًا[3].

وتصب أعمال الداي كلها في إطار واحد وهو حفظ الأمن الداخلي والخارجي للإيالة، حيث كان يجرّد الحملات للقضاء على الثورات الداخلية[4]، أو لصد هجمات جيرانه، وكان بعض الدايات يَقودون هذه الحملات بأنفسهم، مثلما كانوا يأمرون بتجهيز السفن القرصنية التي يعتبرونها جهادًا[5]. ويبدو يوم الداي طويلاً وشاقًا، حيث أنّه يبدأ من الفجر إلى غاية التاسعة ليلاً، وهو يعمل كل يوم ما عدا يوم الثلاثاء، ويوم الجمعة بعد الصلاة[6].

إذًا فقد انتمى الدايات إلى نظام سياسي هو أقرب إلى "جمهورية عسكرية" حسب مفهوم ذلك العصر، يتميّز هذا النظام بالتجدّد المستمر فيما يخص الطبقة الحاكمة، حيث يعطي الفرصة لكل مغامر للوصول إلى أعلى المناصب فالجسور دائمًا ممدودة نحو السلطة وبالتالي الثروة[7].

إنّ الداي الذي يملك السلطة المطلقة والكلمة الأخيرة في اتخاذ القرارات سواء في الداخل أو عند التفاوض مع مختلف القوى المسيحية، همّة الأوّل هو تأمين رواتب الجند، وأكثر تحديدًا سلك الإنكشارية، هذه الفئة التي تملك وعيًا كبيرًا بهويتها وسلطتها الجماعية[8]، فحتى أقوى الرجال الذين انتمُوا إليها في بداياتهم وعرفوا خباياها ثم وصلوا إلى منصب داي لم يستطيعوا حفظ حياتهم، حيث تعرّضوا للإهانة والتعذيب والقتل.

هذا ما جعل علي خوجة (1817- 1818م) يقرّر الانتقال إلى القصبة، عاملاً على التخلّص من سطوة الإنكشارية، هذه الخطوة الجريئة، استفاد منها الداي حسين (1818– 1830م) الذي

---

(1) – المصدر السابق، ص. 24 و مايليها، 82، 99، 105.

(2) – المصدر نفسه، ص. 80، 127، 144، 158، 166. و 268 p. N. 39 - V. de pardis, Op. Cit., N. 40, p. 260. et

(3) – أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 136، 165، 166. وحمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 153.

(4) – أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 159، 160. و .76 .N 41, p. - V. de Paradis, Op., Cit.,

(5) – كاتكارت، المصدر السابق، ص. 77.

(6) — V. de Paradis, Op. Cit., N. 39, p. 273 et N. 41, p. 68, 69..

(7) — L. Merouche, Recherches..... I. Monnaies, prix et revenus, 1520-1830, Op. Cit., p.215, 216.

(8) — Ibid, p. 54.

الحقد حيث كانت بني حبيش جذورا قصيرة . إن حضوره هذا المنصب جعلت الكثير من المرشحين يرفضونه، لكن لم يكن أمامهم إلاخيار واحد "إما التاج أو الموت". فحتى من كانت له طموحات سياسية، كان يفضّل أن يحكم من الخلف دون أن يظهر في الواجهة، وخير مثال على ذلك الداي عمر (1815– 1817م) فرغم سطوته وتأثيره وطموحه، رفض هذا المنصب ثلاث مرات، لكنّه اضطرّ في الأخير إلى القبول، فكانت نهايته شبيهة بنهاية الخزناجي المسن (الداي الذي قبله) الذي قام هو بالقضاء عليه.

إنّ هذه الظروف التي عمل ضمنها الدايات والتّي تتميّز بالتناقض والقسوة، ظاهريًا على الأقل، كنتيجة لجمع الداي بين صورتين صورة السلطان صاحب السلطة المطلقة، وصورة الإنكشاري الذي عليه أن يتقيّد بقوانين صارمة، جعلت الكتّاب الأوروبيين يتبنون ويُكرّرون مقولة الأسقف جوان كانو (Juan Cano) بخصوص دايات الجزائر : « كذلك يعيش هذا الرجل (الداي)، غنيًا دون أن يكون سيدًا على كنوزه، أبًا دون أطفال، زوجًا دون امرأة، مستبدًا دون حرية، ملكًا للعبيد وعبدًا لرعاياه »[2].

فهذه العبارة تعكس من جهة انتماء الداي إلى نظام سياسي له خصوصياته، فهو منصب مربح ماديًا لكنّه كثيرًا ما كان مميتًا، صاحبه له السلطة المطلقة لكنه يخضع لقوانين صارمة، حتى أنّه غير مسموح له بالاحتفاظ بعائلته داخل القصر، حيث أنّ محاولة من هذا النوع قد تودي بحياته (الداي أحمد خوجة 1805– 1808م كمثال)، ومن جهة أخرى تعكس نوعًا من التعاطف مع هذا الحاكم.

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء .....، المرجع السابق، ص. 249.

(2) Dr. Oppenheim, History of the [illegible] Dey [illegible]

الفصل الرابع : تجليات صور الدايات في الكتابات الأجنبية والمحلية

لم تكن محاولتنا لكتابة سيّر مختصرة للدايات (في الفصل الثاني) عملية سهلة، إذ إصطدمنا بندرة المعلومات وتفرّقها بين المصادر وقلة الخيارات، والأكثر من ذلك تناقضها. ومع هذا حاولنا قدر الإمكان إبراز الصورة التي ظهر بها الدايات كما جاءت من خلال المصادر الأجنبية والمحلية.

I - الكتـــابات الأجنبيـــة :

إنّ أهم ملامح صور الدايات التي صادفناها عند تتبعنا لعناصرها في مختلف المصادر المتاحة هي :

1 - الصورة السلبية المتكرّرة.

2 - الصورة المتناقضـــة.

3 - الصورة الإيجابية (الاستثناء الذي يؤكّد القاعدة).

1 - الصورة السلبيـــة المتكرّرة :

تتجسّد هذه الصورة في ما يمكن أن نطلق عليه عبارة "الداي السيء" والذي من المفترض أن تقابلها صورة "الداي الجيد"، وتبرز مثل هذه الصور كنتيجة للأحكام القيمية التي تصنّف الأشخاص إلى طيب وشرير دون أن تلقي بالاً لـــ "المعادلة الإنسانية الموسومة بالتناقضات حيث تطغى على النفس طبائع دون أخرى"[1].

ورغم تكرّر هذه الصورة وتعدّد جوانبها، إلا أنّها ترتكز على عناصر معينة، لا تحيد عنها وهذه العناصر قد تجتمع كلها في شخص داي واحد، وقد تنقص إحداها أو بعضها، لكنها لا تخرج عنها، وسنحاول في هذا العرض المبسّط ذكر أهمها والأكثر تكرارًا

أ. صورة الداي الدموي :

إنّ عبارات مثل التي أوردها دوقرامون : « كان أغلب الدايات دمويين،...»[2]، أو بانانتي عند وصفه لأحد الدايات : «... إنّه المستبد الأكثر دموية، والذي لم يحكم الجزائر من قبل.[3] »،

---

(1) عبرة بفاطمة الزهراء قشي (المشرفة على البحث).

(2) —Histoire d'Alger sous la domination turque 1515 - 1830, Op Cit., p. 290.

الفصل الرابع

تجليات صور الدايات في الكتابات الأجنبية والمحلية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بقدر ما تعبّر عن تعميم صفة الدموية على الدايات، فإنّها تفيد بـــأنّ درجة الدموية تتفاوت بين داي وآخر.

ذكر هؤلاء الكتّاب شواهد كثيرة تؤيد هذا التعميم، تتدرج من تنصيب الداي إلى انتهاء فترة حكمه التي كثيرًا ما تكون عبارة عن جريمة تقشّعر لها الأبدان. ومن المشاهد التي تتكرّر قيام أحد الدايات بالمشاركة في قتل سلفه، ثم إعتلائه كرسي الحكم وهو يتدثّر بقفطان الداي المغتال الملطّخ بدمه[1]، كذلك لدينا مشهد قيام الداي المتولي بتعذيب وقتل أفراد أسرة الداي السابق، بحثا عن أمواله، ليهدئ ثورة الجند[2]. أو قيام الداي بعملية قتل واسعة للقضاء على مناوئيه وفرض النظام في بداية حكمه[3].

وتتباين هذه المشاهد الدموية، بين ما يمكن أن يتقبله العقل بالنظر إلى الزمان والمكان وطبيعة حكم الدايات، وبين ما يشبه الأسطورة والتي في الغالب يكون الكاتب قد نقلها عن طريق السماع، وهنا نذكر مشهد يمكن أن نضعه في هذه الخانة، كتب شالر عن الداي علي خوجة (1817-1818م) : « ... والغريب أنّه بعدما إرتقى العرش بأعمال دموية قاسية كان دائما يدّعي العلم والتقوى. وفي مناسبات الأعياد والحفلات الرسمية التي يستقبل فيها قناصل الدول الأجنبية، كان هؤلاء يمرّون في طريقهم إليه على عشرات الجثث، ولكنهم عندما يصلون إلى قاعة الإستقبال، يجدونه يرتدي أفخم الأزياء....» [4].

لكن هذه الصورة الدموية للدايات لم تتكرّس بعبارات تعميميه أو مشاهد دموية معزولة قد تكون اقتضتها الظروف فقط، بل هناك حالات نجد أنّ الدموية هي الصفة الغالبة للداي وبإجماع من كتب حوله، وربما خير مثال على ذلك حالة الداي علي خوجة أماسيالي الذي أجمع من كتب حوله من الداخل أو الخارج عن دمويته، فقد أسهب بانانتي في إظهار ذلك حيث إعتبره المستبد الأكثر دموية، لا يفوّت أي مناسبة للقيام بعمل إنتقامي، ليس هذا فقط بل إنّه يستمتع بأعماله الدموية مُبديا سرورًا متميزًا، بل وإنّه وبسبب ممارسته للقتل حسب الكاتب نفسه باستمرار فإنّه

---

(1) - نذكر هنا كمثال كيفية تولية الداي دالي إبراهيم (1709-1710م)، ينظر : Peyssonnel, Op. Cit., p. 229. -

(2) - نأخذ كمثال تعذيب الداي حسين خوجة (1705-1707م) لأسرة سلفه، ينظر :

- De Grammont, Histoire d'Alger ..., Op. Cit., p.223.

(3) - نأخذ كمثال قتل علي سوكلي (1710-1718م) لـــ 1700 شخص في مدة شهر، ينظر :

- Laugier de Tassy, Op. Cit., p. 130.

جعل شد. وأخير يعتقد بأن الإستحمام بدم البشر من طرف هذا الداي بتكرر أصبح شيئا يُعبّر به عن إيمانه، كما يُعبّر عن ذلك باهتمامه الشديد بوضؤاته وصلواته اليومية[1].

بيد أنّ من الكتّاب من برّر بعض هذه الأفعال الدموية المنسوبة إلى الدايات، مثل تعليق دوفرامون على قتل علي سوكلي لـ 1700 شخص بـ "عدالة ظالمة لكن صرامة ضرورية"[2]. ورغم تعميم هذه الصورة إلا أننا لاحظنا أنّ كثيرًا من الدايات لم يؤثر عنهم أنّهم قاموا بأعمال دموية بشكل واسع، كما أنّ حالة إجماع حول دموية أحد الدايات مثل ما حدث مع علي أماسيالي، لم نلاحظ أنّها تكرّرت. هذا ويجب التفريق بين ما يمكن أن يسمى أعمَالاً دموية ويوصف الشخص بالدموية وكأنّه مصاب بمرض، وبين طبيعة الحكم الذي ينتمي إليه الدايات وخصائصه في إقرار النظام.

تتقاطع في التعميم صورة الداي الدموي مع صور أخرى كصورة الداي المتوحش والقاسي والمستبّد والعنيد والجاهل والمتكبّر والمتعصّب. فمثلا عبارة داي متوحّش لا تخلو منها نصوص هؤلاء الكتّاب، وهي لا تعمّم على الدايات فقط، بل على جميع الأتراك، كتب شالر : « أنّ الحكومة الجزائرية كما هي موجودة في الوقت الحاضر، غير قابلة للتحسين، وإنّ وحشية الأتراك وجهلهم أمر غير قابل للإصلاح،... »[3].

وصفة التوحّش هذه إما تطلق على الداي مجرّدة دون ذكر السبب، أو أنّها ترتبط بأفعال قام بها هؤلاء الدايات، ولعل أبرز هذه الأفعال التي لفتت إنتباه الكتاب وأثارت حفيظتهم، هي أنواع العقاب التي كان الدايات يطبقونها على من يعتبرونهم مذنبين من السكّان أو الأسرى. وقد وصف لنا الأسير كاثكارت في مشاهد عديدة أنواع العقاب والظلم التي كان يتعرّض لها الأسرى، ومما قاله : « كانت حياة العبيد والخدم كلها قلق وبؤس، وفي كل لحظة قد يتعرّض أحدهم للجلد أو للأشغال الشاقة والتكبيل بالسلاسل أو للموت، ونحن يجب أن نتذكّر أنّ الداي يملك السلطة الضرورية لتنفيذ تهديده وحكمه على شخص مهما كان الذنب الذي إقترفه تافها »[4]، ويزيد الأمر توحّشًا إذا عرفنا أنّ المبدأ المعمول به في الجزائر بهذا الخصوص، على عكس ما يحصل في

---

(1) - Op. Cit., p. 296.

(2) - Histoire d'Alger ..., Op. Cit., p.227.

(3) - المصدر السابق، ص. 186.

بلدانهم، حيث أنّه يفضل معاقبة شخص بريء بدلا من هروب مجرم"[1].

وهذا الإهتمام بتطبيق هذه العدالة الجائرة من طرف الدايات، لا تخص السكان والأسرى فقط بل وتشمل القناصل في فترات النـــزاع بين بلدان هؤلاء والدايات، فمشهد القناصل المكبلين بالأغلال والمتوجهين للأعمال الشاقة ليست نادرة، وصورة الأب المقعد لوفاشي (Le Vacher) وعشرين من الرعايا الفرنسيين الذين أمر الداي حسين ميزومورطو (1683- 1686م) بالقضاء عليهم عن طريق طلقات المدفع، إثر هجوم دوكين (1683م)[2]، مازالت ماثلة في الأذهان ولنا أن نتصور ما يمكن أن يُنسج من أساطير حول مثل هذه القصص التي تقشعِّر لها الأبدان، خاصة عندما يكون حدوثها مؤكّدًا تاريخيًا.

وقبل أن نختم هذه النقطة يجب أن نشير إلى أنّ هذا التوحش الذي يتصف به الدايات ليس من النوع الإنساني بل هو توحش حيواني، ففي بعض الأحيان يلقب الداي بإسم حيوان كالنمر[3]مثلا للتعبير عن قسوته ووحشيته، وأحيانا أخرى يذكر لنا كاتب آخر أنّ أحد الدايات قد ورث هذه الصفة عن الحيوانات التي كان يرعاها في المشرق[4]، وقد يختصر أحدهم الطريق ويصف لنا أحد الدايات بالحيوان المتوحّش[5].

ولا تكتمل صورة الداي الدموي بأن تصبح أكثر قتامة، إلاّ إذا أضفنا لها صفة الجهل، هذه الصفة التي لم ينج منا إلا النادر من الدايات، وهذا الجهل لا يعني عدم معرفة القراءة والكتابة فقط، بل ويخص أيضا عدم الكفاءة في العمل كحاكم، فهذا الداي جاهل لأنّه قام بصفقة خاسرة[6]، وهذا الداي جاهل لأنّه لم يأخذ برأي هذا القنصل في مسألة عالقة بين حكومة هذا الأخير والداي[7]، وهذا الداي جاهل لأنّه لا يفقه في أمور الدبلوماسية شيء[8]، وتتعدّد الأسباب لكن

---

(1) - وليام شالر، المصدر السابق، ص. 47.

(2) - إعتبر لمنور مرّوش هذه القصة مشكوك في صحتها، ينظر :

- De Grammont, Histoire d'Alger ...., Op. Cit., p. 210. (Note 2).

(3) - وليام شالر، المصدر السابق، ص. 162.

(4) - Laugier de Tassy, Op. Cit., p. 136.

(5) - De Grammont, Histoire d'Alger ...", Op. Cit., p. 280.

(6) - Laugier de Tassy, Op. Cit., p. 101.

(7) - F.Charles - Roux, Op. Cit., p. 408, 409.

النتيجه واحده، بل هي في أغلب الأحيان ليست نتيجة بل هي بديهية أو قاعدة عامة. كيف لا وهؤلاء الدايات يؤمنون بالخرافات، وإذا واجههم الموت أو مشكلة ما فإنّهم قد يقفون دون حراك في انتظار القضاء والقدر، بحجة أن كل شيء مكتوب منذ ولادتهم ولا سبيل لتغييره[1].

ولتوضيح الحجم الكبير الذي إتخذه تعميم الصور والصفات السلبية على الدايات في الكتابات الأجنبية، نذكر حالة الداي محمد بن عثمان باشا، الذي حدث حوله إجماع بأنّه الأفضل من بين كل الدايات، حيث تمّ تعديد فضائله على المستوى الشخصي وكذلك بصفته دايا للإيالة، ورغم كل هذا وعلى إثر موقف نُقل إلى كاثكارث إعتبره هذا الأخير شخصًا ظالما، قائلاً : « ومع ذلك فإن الداي محمد باشا عرف عنه أنّه أقل جميع دايات الجزائر ظلما وإستبدادًا »[2]، في الحقيقة لا يهمنا إن كان الداي في ذلك الموقف الذي ذكره كاثكارث ظالما أم لا، وقد يكون كذلك، بقدرما يهمنا تعميم صورة الظلم والإستبداد على الدايات، فصورة الظلم والاستبداد لا يمكن التخلص منها، فأفضل الدايات يصوّر على أنّه الأقل ظلمًا.

وتعميم هذه الصور والصفات السلبية، خلقت صورًا نمطية عن الدايات، عبّر عنها شالر بقوله : « ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية عمر باشا وتقديرها حق قدرها، إلا إذا عرفنا شخصية الداي العادي في الجزائر. لقد حل محل العنف والوحشية والجهل، بارتقاء عمر باشا العرش، مظهر النبل والوقار والعدل والرحمة، وإنّه لمن حسن الطالع أنّ هذا المثال الرائع لا يزال يحتذيه خلفاؤه من بعده[3]».

ب. **صورة الداي الجشع :**

لا نكون مغالين إن قلنا أنّ لفظ داي في هذه الكتابات مرادف لعبارات مثل طمّاع وجشع وشره ونهم، والدليل أنّه يمكننا تلمّس ملامح هذه الصورة بسهولة عند قراءة ما كتبه هؤلاء الكتاب، وخاصة كيفية تناولهم للعلاقات بين الدول المسيحية وحكومة الداي وبشكل أخص ما تدفعه هذه الدول كإتاوات وهدايا، فهي لا تعطينا فكرة عن نوعية هذه الهدايا وقيمتها، وسبب دفعها فقط، بل أنّ المتمعّن في رسائل ومذكرات القناصل يجد فيها مادة غنية لتكوين هذه الصورة من خلال تفاصيل المناقشات التي تتم بين القنصل وحكومة بلاده عن هذه الهدايا، فيوميات

---

(1) وليام شالر، المصدر السابق، ص. 218 و Laugier de Tassy, Op. Cit., p 82 –

(2) المصدر السابق، ص. 29.

القناصل لا تخلو من الحديث عن الهدايا التي يجب تقديمها بهذه المناسبة أو تلك، والعواقب الوخيمة التي قد تصيب مصالح بلدانهم إن تم إهمال هذا الأمر، الذي يكثر الإلحاح عليه من طرف الداي بشكل مستمر.

ولأهمية هذا الموضوع في عمل القناصل فإنّ من ضمن ما نصح به القنصل الفرنسي لومار (1749-1756م) خلفه بيـــرو : « كثيرًا ما يريد "الجزائريون" أن يلاطفوا بالهدايا. إنّ شحّهم القذر والمعيب لا يمكن إشباعه في هذا الصدد،...»[1]، كما أخبره أنّهم يقيسون التقدير الذي نكنّه لهم بكمية وثمن الأشياء التي نقدّمها لهم، وأنّ على قنصل فرنسا أن يلاحظ نقطتين مهمتين بهذا الشأن، الأولى : أن يكون كريمًا وأن يقدّم من وقت لآخر هدايا صغيرة، إذا كان يريد أن يحصل على الحضوة عند الكبار، والتمتع بالقليل من الهدوء في بلد عاصف، والثانية أن لا يقدّمها أبدًا في أوقات دورية، ولا في مناسبات يمكن أن تسمح للجزائريين بوضع قانون لهذه الأعطيات، واعتبارها ضرائب، بدل أن تكون تعبيرًا عن الصداقة. ويجب أيضا أن يظهر أن القنصل يقدمها على حسابه الخاص لأنّ، هذه الطريقة أكثر تشريفا للأمة، ومناسبة أكثر للسير الحسن للأعمال[2].

ومتأثرا بما كتبه لومار وغيره، رسم دوڤرامون للدايات صورة هزلية وساخرة، ومما قاله : « مراسلاتهم (أي القناصل) ممتلئة بتفاصيل غريبة جدًا حول هذه الهدايا ؛ إنّها دراسة مسلية حول السلوك أين نرى الأتراك يتصرّفون بالفظاظة الساذجة للأطفال سيئي التهذيب، مظهرين بلا حياء شراهة مضحكة، يطلبون كل ما يرون، وكل ما يسمعون عنه، يشتكون من نوعية الكستناء، أو الماراسكا (نوع من الكرز) ومن سوء حالة حفظ الفواكه، يسخطون من كونهم نسوا عند توزيع هذه السلعة أو تلك، يستسلمون بخصوص هذا الموضوع إلى مشاحنات صبيانية، حيث القناصل لا يستطيعون منع أنفسهم من الضحك، مع أنّهم أحيانا يكونون قلقين من النتيجة النهائية. لأنّ عبر كل هذا التسول، لا تتنازل القوى عن تعجرفها، ويجب تهدئتهم بالملاطفات والوعود »[3]، وواصل رسم هذه الصورة قائلا : « لا يحمل الطمع الجزائريين على تسول الهدايا بالطريقة الأحط والأحقر فقط، بل أيضا على تفحص مختلف المؤن التي يأتي بها القناصل من أوروبا لأجل إستعمالهم الشخصي ؛ وهذا ليس لمعرفة إن كان بينها سلعًا ممنوعة، ولكن ليطلبوا دون حياء ما يناسبهم

---

(1) - L. Chaillou, Op. Cit., p.6.

(2) - Ibid, p.6.

أكثر. وليحافظ القناصل على الإنسجام معهم، لا يتجرؤون على الرفض ؛ ... يطلب الظباط الكبار والداي نفسه منهم، السكر والمشروبات الروحية، والمربى الذي يرسل إليهم، حتى أنّه قد لوحظ أحيانًا، كثيرًا من الموظفين الكبار ذاهبين إلى بيوتهم متأبطين الغادس (أو المورة وهو نوع من السمك) [1]».

ولا تكتمل الصورة من هذا الجانب، إذا لم نضف لصفات الطمع والجشع والبخل كون هذا الداي ليس إلا رئيس عصابة، فهذا المستبد كما قال ثادنا (Thèdenat) يجمع بين يديه كل ذهب إسبانيا وعدة قوى أخرى[2]. وفي الصدد نفسه ذكر قنصل فرنسا كورسي(1782-1791م)، أن أحد الدايات عندما كان خزناجيا ردّد عدّة مرات، بأنّ ما تفعله حكومة الإيالة ليس عدلاً، وبأنّه يحسُ بالكثير من الحزن، فهذا البلد بلد لصوص[3]. ونختم بالمشهد الذي نقله إلينا دوقْرامون عن الداي علي نقسيس (1754-1766م)ردًا على مطالب أحد قناصل الدول المسيحية : « أنا رئيس عصابة لصوص، وبالتالي عملي أن آخذ وليس أن أرجع »[4].

إنّ ما إعتبره الأوروبيون طمعًا وجشعًا وحتى لصوصية، لم يكن في حقيقة الأمر إلا أحد آليات إستمرار نظام الحكم. فمرتب الداي وهو أعلى مرتب يمكن أن يحصل عليه موظف في الإيالة لم يكن بالشيء الكثير، وإذا كان الحكام الأوائل وخاصة الباشاوات الثلاثيين قد إغتنوا من نهب الخزينة، فإن أحد تبعات إستقرار النظام في عهد الدايات هو حفظ الخزينة من الإختلاس[5]، لكن كان يجب في المقابل إيجاد طريقة لتدعيم رواتب الموظفين بما في ذلك الداي.

إذا فموظفي الإيالة كانوا يعتبرون الهدايا أو الاتاوات التي تقدم في مختلف المناسبات كعقد معاهدات السلام حقهم المشروع، ولهم كامل الحق في المطالبة به والإلحاح عليه والتدخل في تقدير قيمته، في حين إعتبر الطرف الآخر هذا الأمر إذلالاً له.

جـ. صورة الداي المجنون :

هل حكم إيالة الجزائر بين سنتي 1671 و 1830م مجموعة من المجانين ؟ إنّ المتصفّح لكتاب

---

(1) - Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 200.

(2) - F.Charles, Roux, Op. Cit., p. 419.

(3) - Ibid, p. 351.

(4) - Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 249.

دوڤرامون، وهو كتاب اعتمد على ماده أصليه وعزيزه، ويعتبر الكتاب الشامل الأول عن الجزائر في العهد العثماني عن الجانب السياسي، ومرجعًا أساسيًا لهذه الفترة، كما قلنا فإنّ المتصفّح لهذا الكتاب حتّى وإن لم يقصد التركيز على كيفية تعاطيه مع الدايات فإنّه لا يمكن إلاّ أن يُشد إلى صورة ملفتة جدًا عن الدايات، عمل الكاتب على ترسيخها، وهي إصابة أغلب الدايات بمرض عقلي خاص بهم، فقد بدا دوڤرامون واثقًا من تفشي هذا المرض بين الدايات. فما هي أسبابه ؟ وما هي أعراضه ؟ إنّ السبب الرئيسي لهذا المرض هو الخوف من القتل، أما أعراضه فإنّ الداي يصبح شكاكًا وقاسيًا كما يُصاب بنوبات جنون.

وقد أعطى دوڤرامون أمثلة عن دايات أصيبوا بهذا المرض، مثل الداي أحمد (1695-1697م)[1]، وكذلك الداي محمد بن بكر (1748-1754م) الذي كان مثار إعجاب الأوروبيين، لكنّه تغيّر حيث كتب عنه يقول : « خشُن طبعه ؛ أصبح شكاكًا، قاسيًا، وبدأ يعطي بعض العلامات لذلك الجنون، الذي يبدو أنّه أصاب كل حكام الجزائر الواحد بعد الآخر.[2]»، وهذا التحول في الطبع بسبب ممارسة الحكم، حسب دوڤرامون، أصاب كذلك الداي حسن (1791-1798م)[3]، والداي أحمد خوجة (1805-1808م)[4].

وهذه الصورة الكاريكاتورية عن الدايات لها جذور في مختلف المصادر، فوجود عبارات مثل داي أحمق أو بله، أو حتى مجنون، تعتبر عادية. وإذا أخذنا كتاب كاتكارت، الذي تعامل مع الداي حسن (1791-1798م) لعدة سنوات، فإننا نخرج بصورة كاريكاتورية ساخرة عنه، فهذا الداي الذي عاش تحت وطأة الخوف والرعب من الاغتيال كاد يتسبّب في مذبحة في عدة مناسبات، بسبب ضيق فتحة قميصه، أو ضوضاء تسبب فيها أحد أفراد حاشيته لأنّه يمشي وهو نائم[5]. أما الأسير ذاته الذي عمل كمدير ديوان الداي فقد كان عرضة لميزاجية الداي وأهوائه ونوبات جنونه، فحسب الكاتب فإنّ سلوك الداي يخضع للإنفعالات والعواطف[6] كما أنّه ذو

---

(1) - Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 219, 220.

(2) - Ibid, p. 247.

(3) - Ibid, p. 274.

(4) - Ibid, p. 287.

(5) - المصدر السابق، ص. 29، 30.

مزاج نزوي وعصبي "، وقد روى عنه مشاهد تعرض فيها للشتم والإهانة، التي كان يعتبرها أقسى عليه مما كان يلاقيه من عذاب بدني قبل ترقيته إلى هذا المنصب الذي يعمل فيه مباشرة مع الداي، إلا أنّه في إحدى المرات علّق على ما حصل عليه من إهانات وشتم من الداي حسن قائلاً : « .... إنّه لا تحط من شرفي إهانة مجنون أو طاغية مستبد، بل أن الشخص الذي يسدّد الإهانة في الحالة الأخيرة، إنّما يحط من قدره هو. [2]».

وعلى العموم فإنّ تقييم تصرّفات وسلوكيات الدايات في أغلب هذه المصادر تتدرّج من الهوائية والميزاجية والتعصُّب والعناد، إلى أن تصل إلى أقصى درجات الجنون. لكن ماذا يُفهم من ظاهرة الجنون التي وحسب دوقرامون أصابت الدايات الواحد بعد الآخر ؟ وهل كان دوقرامون مقتنعًا بالتفسيرات التي أعطاها ؛ خوف الدايات من القتل وممارستهم للحكم ؟ مما سبق فالأكيد أنّ تصرّفات الدايات أو لنقل عددًا منهم لم تكن محل إعجاب الأوروبيين المتوافدين على الإيالة، فهل يعود هذا إلى إختلاف في الذهنيات أم أنّ طبيعة النظام جعلت الدايات يتصرّفون بشكل أثار حفيظة الكتّاب ؟.

وبقي أن نشير أنّ هذه الصفات السلبية ليست الوحيدة التي نُعِت بها الدايات، واتخذت شكلاً معمّما في هذه الكتابات، فالطبيب الإنجليزي شو (1720–1732) مثلاً، نزع عن "الجزائريين" صفات العدل والشرف والصدق، وعمّم عليهم صفة الخداع، مستشهدًا برد أحد الدايات على قنصل إنجليزي جاء يحتج لديه بسبب تعرّض سفن بلاده للإهانة من طرف "القراصنة"، بأنّ "الجزائريين" عصبة لصوص وبأنّه قائدهم[3].

لكن حسب ملاحظتنا فإنّ الصور التي ذكرناها (الداي الدموي، الداي الجشع، الداي المجنون)، هي التي كونت بشكل بارز الصورة النمطية السلبية عن الدايات. وإن كنا نجد في المقابل أنّ هناك صفات سلبية لم تعمّم، فقد أوردنا في الفصل الثاني بعض الأمثلة عن الداي "الماجن" لكنها بقيت محصورة في بعض الدايات فقط.

فما هي دواعي ومبررات وتفسير وجود مثل هذه الصور السلبية ؟ وكيف تبلورت صور الدايات بهذا الشكل ؟ هل قصد الكتاب الأوروبيون إبراز هذه الصور بالذات ؟ وهل ساهم

---

(1) المصدر السابق، ص. 171.

(2) المصدر نفســـه، ص. 245.

(3) – Voyages de Mons'. Shaw, M.D. dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant, t.1. La

الدايات في إنتاج مثل هذه الصور ؟ سنحاول الإجابة عن جانب من هذه الأسئلة بالإجابة عن السؤال التالي، هل يوجد ما يدعّم هذه الصور السلبية في المصادر المحلية ؟.

لقد انحصرت هذه الصور في النصوص المحلية في أمثلة قليلة جدًا، خاصة التي تربط بين الفعل والصفة، فنجد الزهّار مثلا يصف أحمد باشا (1805-1808م) بسفاك دماء المسلمين[1].

أمّا الأمثلة التي نستشف منها صورة الداي الدموي أو الطمّاع وغيرها، بشكل غير مباشر فهي كثيرة جدًا، حيث أورد أصحاب النصوص هذه الأمثلة دون أي تعليق وكأنّها أحداث عادية. وكمثال على ذلك اليوميات التي سجلها موظف بالإيالة عمل لدى باي التيطري إبراهيم بورصالي[2] (1794-1796م)، والتي تركّزت أحداثها في عهدي كل من الداي حسن (1791-1798م) والداي مصطفى (1798-1805م).

فما يلفت الإنتباه في هذه اليوميات هي ظاهرة توقيف الموظفين الكبار في الإيالة وخاصة البايات، هذه العمليات التي يعقبها دائما مصادرة أموالهم، وفي بعض الأحيان تعذيبهم وقتلهم. فقد عرف حكم الداي حسن القضاء على صالح باي قسنطينة (1771-1792م)، أما الداي مصطفى فأوّل ما بدأ به حكمه هو مصادرة أموال قريبه الداي السابق وكذلك أموال موظفين كبار على رأسهم الخزناجي والاغاوبيت المالجي، هذا إضافة إلى بايات المقاطعات[3].

وقد علّق فيرو على هذه الأحداث، أنّه من المفيد للمهتمين بدراسة سياسية "الأتراك" بالجزائر، قراءة ما كتب هذا العربي المعاصر لهؤلاء الباشاوات المستبدين، الذين يحركهم الطمع للإستيلاء على أموال رعاياهم[4]. وأعقب قائلاً بأنّ فرنسا أضافت لمجدها المتمثّل في وضع نهاية للإذلال الذي عانى منه العالم المسيحي منذ قرون، عن طريق غزوها للإيالة، عملاً إنسانيا وحضاريًا، يتمثّل في تحرير السكان من ظلم هو أقسى من الإستعباد[5].

---

(1) - المصدر السابق، ص 99.

(2) - إفترض فيرو الذي ترجم هذه اليوميات إلى الفرنسية، من خلال التفاصيل التي ذكرها هذا الموظف، أنّه عمل أيضًا لدى الباشا، ينظر : "Ephémérides d'un secrétaire officiel ....." , Op. Cit., p. 295.

(3) - إنّ هذه المصادرات تسبّبت في ظاهرة أخرى تمثّلت في إخفاء آثار النعمة وإدّعاء الفقر من طرف أصحاب الثروات، ينظر : - L.Merouche, Recherches .... I.Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit., p. 165.

(4) - "Ephémérides ...." , Op. Cit., p. 296.

كذلك ممّا يدعّم هذه الصور السلبيه ما نجده في الكتب أو حتّى في رسائل البايات إلى الدايات، من تفاصيل عن عمليات قمع المتمردين على السلطة أو الرافضين لدفع الغرامات المستوجبة عليهم والتي تتسم بالقسوة والوحشية، وكل ذلك يتم طبعًا بمباركة الداي نفسه.

ممّا تقدّم فإنّه من الصعب تفكيك هذه الصور النمطية التي كرّست الصور السلبية بخصوص الدايات ويعود هذا حسب جوسلين داخلية (Jocelyne Dakhlia) قبل كل شيء إمّا لكونها حقيقية أو لأنّها تحتوي على جزء من الحقيقة[1].

2 - الصورة المتنـــاقضـــة :

إنّ محاولتنا لرصد الكيفية التي تمّ بها تناول كل داي في مختلف المصادر –في الفصل الثاني– إنتهت بالحصول على عدة صور متناقضة تتعلّق بالعديد من الدايات ، وهذا على مستويين : فالأول قد يبدو مستساغًا عندما يكون هناك فريقين من الكتّاب أحدهما يقدّم لنا الداي بشكل إيجابي والآخر يعطينا فكرة سلبية عنه، وإن كان غريبا أن يصطف الفريقان على طرفي نقيض بالشكل الحاد الذي لاحظناه، ومع هذا قد نجد للأمر مبرّرات كاختلاف نظرة كل واحد منهما للأمور، أو إلى أن أحكامها كانت خاضعة للظرفية.

أما المستوى الثاني وهو عندما نجد كاتبًا يعطينا صفات لداي ويناقضها في الكتاب نفسه وحتى في العبارة نفسها. وهذه المرّة لا نجد مبررًا سوى عدم وضوح الرؤية بالنسبة لهذا الكاتب، حيث لم يكن قادرًا في الظروف التي خضعت لها كتاباته من الخروج بفكرة واضحة عن الداي، وعلى كل سواءً في الحالة الأولى أو الثانية فقد نتج عن هذا الأمر صور مزدوجة أو متناقضة، كانت إحدى السمات الأساسية للصورة التي حصلنا عليها بخصوص الدايات.

3 - الصورة الإيجابية (الاستثناء الذي يؤكّد القاعدة)[2] :

رغم طغيان الصورة السلبية والصورة المتناقضة على الصورة العامّة، إلاّ أنّ هناك بعض الصور الإيجابية والمشرقة التي لم تستطع عمليتي التعميم والتنميط منع بروزها بشكل جلي، ونذكر هنا صورة الداي محمد بن بكر (1748–1754م)، والداي محمد بن عثمان (1766–1791م) لكن هذه

---

(1) – Le divan des rois, le politique et le religieux dans l'islam, Aubier, Paris, 1998, p. 16.

(2) – لقد برز هذا النموذج الإيجابي (الإستثناء الذي يؤكد القاعدة) بشكل واضح في عمل فاطمة الزهراء قشي حول صالح

الأمثلة القليلة تعتبر الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، فدوقرامون مثلاً الذي قال عن محمد بن عثمان خوجة أنّه الأفضل من بين كل الذين تعاقبوا على عرش الجزائر، اعتبر أنّ هذا الاختيار لم يكن إلا صدفة[1].

II - الكتـــابات المحليـــة :

فرضت علينا نوعية وقلة المادة المتوفرة في المصادر المحلية بخصوص موضوع الدراسة، عدم إتباع المنهج نفسه الذي عملنا به مع النوع الأوّل من المصادر، حيث فضلنا اختيار بعض العناوين المعروفة، ثم بحثنا عن حضور أو غياب الداي فيها.

1 - الرحلة الورثيلانية :

يعد كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار لصاحبه الحسين بن محمد الورثيلاني (1713-1779 أو 1780م)[2]، أحد المؤلفات القليلة والهامّة التي وصلتنا عن الفترة العثمانية في الجزائر، ورغم أنّ صاحبها ضمّنها عدة مواضيع، فكتب في الفقه والتصوّف وغيره من العلوم، إلا أنّ الأحداث التي نقلها لنا كشاهد عيان وحتى كفاعل فيها وناقد لها، خاصة وأنّه ساح في بلاد المشرق والمغرب، من خلال رحلاته إلى الحج أو غيرها، ذات أهمية بالغة، لكونها تمثّل وجهة نظر من الداخل.

فقد أخبرنا عن انتشار القتال والفتن في البلاد، مرجعًا ذلك إلى ضعف نفوذ السلطة الحاكمة على السكان، حيث اعتصم هؤلاء بالجبال، قائلا : « فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين إذ القتال بين المسلمين في وطننا كثير والفتنة بينهم قل أن ترتفع والهرج بينهم قوي أزال الله ذلك بمنه وكرمه وحكم السلطان غير نافذ فيهم إذ لا يقدر عليهم وإن كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحصنوا بالجبال فلم يفد فيهم إلا همة الصالحين وأهل الخير فيجب على من يُقْبَل منه ان يذهب اليهم ويصلح حالهم ليرتفع ما فيهم من المعصية... »[3].

---

(1) - Histoire d'Alger....., Op. Cit., p. 255.

(2) - مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورثيلاني عرض ودراسة، د.ط، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، د.ت، ص. 14، 15.

(3) - الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تقديم وتحقيق : محمد بن أبي شنب، ط.2،

ولذلك دعا أهل الخير والصلاح، أصحاب الكلمة المسموعة منهم، كما هو واضح في النص السابق، التدخل لإصلاح ذات البين بين الفئات المتناحرة لأنّه واجب عليهم[1]، هذا الدور الذي قام به دون كلل في عدة أماكن، حيث عمل على الإصلاح بين القبائل، أو بين الولاة ورعاياهم. كما أنّه استعان بمحلة تابعة لأحمد باي (1756-1771م) باي قسنطينة، لقمع تمرّد عدد من القبائل[2].

وسجّل لنا الورثيلاني، بعين فاحصة وناقدة، الكثير من الملاحظات التي تخص عدة ظواهر سياسية وثقافية ودينية، كانت منتشرة في البقاع التي مرّ بها، حيث أشار إلى ظلم "الأتراك" وتعسّفهم وإلحاقهم الخراب بعدة مدن، كما حدث لبسكرة[3]، واستنكر استشراء آفة الرشوة في عمالة الجزائر حتّى أنّ مناصب القضاء والإفتاء تُشترى بالمال[4]. واتّهم "الأتراك" بتضييع الأموال في تلبية شهواتهم كالملابس والمآكل والمشارب، وهذا اعتبره من أسباب هلاك صاحبه، كما أنّ هذه الأموال تصرف على بناء الحصون والأبراج والأسوار والثغور وإقامة العساكر والنوبات في كل محل يخشون فيه تمرّد السكان[5].

بدا الكاتب غير راضٍ عن أحوال البلاد والعباد، بسبب ظلم وتعسّف أولي الأمر وكذلك خروج النّاس في عدة أماكن زارها عن جادة الصواب وإتباعهم لسبل الفتن، حتّى أنّه اعتبر المنطقة التي يعيش بها مكانًا سائبًا ومهملاً، لا يوجد به سلطان ولا أحكام شرعية، كما دعا الله أن يصلح حاله على يد سلطان عادل[6]. ورغم هذا الامتعاض مما آلت إليه الأحوال، إلا أنّه لم يبد أي نية في الخروج عن إرادة السلطة الحاكمة، على العكس من ذلك فقد تجلى ولاؤه من خلال عمله على تهدئة الصراعات وإطفاء نار الفتن بالاشتراك مع الولاة، وبسطه الحديث عن عدم جواز الخروج عن السلطان[7].

أما الحديث عن الدايات بشكل مباشر، محور دراستنا، فقد كان غائبا تمامًا عن كتابه، اللهم

---

(1) - حسب فتوى لعلماء بجاية، ينظر : المصدر السابق، ص. 8.

(2) - المصدر نفسه، ص. 75.

(3) - " " ، ص. 87، 88، 110.

(4) - " " ، ص. 111.

(5) - " " ، ص. 686، 687.

(6) - " " ، ص. 28.

ما جاء في سياق عام عند حديثه عن ضعف نفوذ السلطان وغيرها من الإشارات العابرة، ماعدا فقرة تخص حديثا دار بينه وبين خزناجي الداي محمد بن بكر (1748-1754م) عن مقارنة بين مداخيل الجزائر وتونس، حيث ذكر لنا عَرَضًا أنّ هذا الخزناجي قتل هو والداي وتولى بعده الداي علي بوصبع (1754-1766م)، وهذا جزء من نصّ الحديث : « وقد سمعت من الفاضل الكامل السيد علي الخزناجي صاحب الرحمة والدولة الشاملة ذي اللطف واللين وعدم الظلم المبين دولة محمد باشا الذي قتله غرناؤوط ليتولوا أمره فلم يرجعوا اصلا فَقُتِلوا كما قَتَلوا فتولاها علي أبو الاصبع بعد موت السلطان والخزناجي يقول ان ما يدخل تونس في يوم يعدل ما يدخل الجزائر في العام ... »[1].

ونحن لا نعرف أين التقى الورثيلاني بهذا الخزناجي، هل في الجزائر (مركز الحكم) أم خارجها ؟ وإن كان التقى به في الجزائر فلماذا لم يفرد لنا بعض التفاصيل عن الداي الذي كان يحكم آنذاك أو عن غيره من الدايات ؟ رغم أنّه أشار لعدة لقاءات جرت بينه وبين حكام حواضر إسلامية أخرى، بل وكان يتمتع بحُظوة كبيرة لدى باشا طرابلس، الذي أعطانا وصفًا له ولكيفية حكمه، والنصائح التي أسداها له فيما يخص شؤون الحكم[2].

2 - **رحلة ابن حمادوش الجزائري** :

إنّ عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، وليد الجزائر سنة 1695م والمتوفي بعد ذلك بحوالي تسعين سنة[3]، معاصر لصاحب الرحلة الورثيلانية. كانت له بالإضافة إلى اهتمامه بعلوم عصره كالعلوم الشرعية واللغوية، اهتمامات بعلوم أخرى، كالصيدلة والطب والفلك والحساب، وغيرها من العلوم الرياضية والطبية[4]، وصفه أبو القاسم سعد الله بأنّه دقيق الملاحظة، حيث أنّ رحلته "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" مليئة بالأخبار عن طبائع الناس وغرائب الأشياء[5].

ورغم استقطاب الرحلة للدارسين بسبب ما تحويه من أخبار، خاصة فيما يتعلّق بعادات

---

(1) - المصدر السابق، ص. 686.

(2) - المصدر نفسه، ص. 144، 634، 635.

(3) - عبد الرزاق بن حمادوش : المصدر السابق، ص. 9.

(4) - المصدر نفسه، ص. 10.

وتقاليد الجزائريين [illegible]، إلا أن ابن حمادوش اكتفى فيما يخص موضوعنا بتسجيل بعض الأحداث السياسية، كرفض استقبال أحد الدايات لمبعوث السلطان، مرجعًا ذلك إلى عدم وجود منفعة من ورائه[2]، كما ذكر لنا قمع الأتراك لإحدى ثورات زواوة معلقًا بقوله لا حول ولا قوة إلا بالله[3]، بالإضافة إلى تسجيل أحداث أخرى كهروب باي الغرب مصطفى بن المسراتي بسبب كيد أحد اليهود[4]، وعقد الصلح بين الجزائر والدانمارك[5]. والغريب أنّ الكاتب صرّح بأنّه إستعان بأحد أقاربه ليتوسط له لدى خوجة الملح للتهرّب من دفع قيمة المكس الذي فرض على دكانه[6].

فهل يمكن أن نستنتج من هذا التصريح لابن حمادوش طبيعة علاقته بالسلطة ؟ وبعبارة أخرى هل هو تعبير ضمني منه عن عدم رضاه على القوانين المفروضة من طرف هذه السلطة ؟ أم أنّه مجرّد حديث عابر لشخص لا يرى في هذا الأمر أي حرج ؟.

ويبدو أنّ تواجده في الجزائر (مركز الحكم) جعله لا يُغفل أمر الدايات، فوضع قائمة لمن حكموا الجزائر في العهد العثماني من البداية إلى وقت كتابته لمؤلّفه، مع إعطاء بعض التفاصيل الصغيرة عن التغييرات التي وقعت على الحكم، مميزًا بين الحكّام على أساس درجة تبعيتهم للسلطان العثماني[7]، وبعد انتهائه من قائمة حكام الجزائر، سرد قائمة أخرى تخص سلاطين آل عثمان[8]، ثم أشار إلى أنّه إذا كان الرد إيجابيا من السلطان على هدية الداي إبراهيم (1732-1745م) سيكون الباشا السبعين الذي يتولى الجزائر، داعيًا الله له بالبقاء وخلود ملكه وصلاح رأيه[9]. ثم في موضع آخر ذكر لنا وفاة هذا الباشا، ومراسيم جنازته[10]، وتولي الخزناجي للحكم، وما حدث من لغط حول زواجه[11]، كما حدّثنا عن زواج حفيد الباشا[12].

---

(1) - المصدر السابق، ص. 11.

(2) - المصدر نفسه، ص. 120.

(3) - " " ، ص. 163.

(4) - " " ، ص. 253.

(5) - " " ، ص. 257.

(6) - " " ، ص. 114.

(7) - " " ، ص ص. 225-233.

(8) - " " ، ص ص. 233-235.

(9) - " " ، ص 235.

(10) - " " ، ص. 236.

(11) - " " ، ص. 236، 237.

وهذه تقريبًا كل المعلومات التي وصلتنا من الكاتب عن الدايات، مكتفيًا بهذا القدر اليسير، رغم أنّه في المقابل صرّح لنا بأنّه كتب قصيدتين في مدح سلطان المغرب، حيث اعتبرها المرة الوحيدة التي يكتب في مدح أحد السلاطين، ونحن نتساءل لماذا لم يفعل الشيء نفسه مع أحد الدايات الذين تعاقبوا في حياته، أو اهتم بإعطائنا تفاصيل أكثر عن نظام الحكم وعن الدايات ؟

3 - **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية :**

هذا المؤلّف لصاحبه محمد بن ميمون الجزائري عبارة عن ترجمة للداي محمد بكداش (1707-1709م)، يغلب فيه المديح والثناء على الداي، كما يظهر بدءًا من العنوان.

قسّم الكاتب مؤلّفه إلى ست عشرة مقامة، خصّص الأولى[1] لذكر نسب الداي والطريقة الصوفية التي ينتمي إليها ثم مجيئه إلى الجزائر وانتسابه إلى العسكر، وملازمته لأحد شيوخ مدينة عنابة، وإعجاب الناس وحتى بعض علماء ذلك العصر بصفاته. أما المقامة الثانية والثالثة[2] فتحدث فيها عن تدرّج الداي في المناصب، وكيف عمل على تنحية الداي مصطفى (1700-1705م) الظالم والمتجبّر حسب الكاتب عن الحكم، ورفض المترجم له هذا المنصب وتفضيله تتويج صديقه حسين الشريف (1705-1707م)، مكتفيا بالمشاركة في الحكم، وقد استأنس ابن ميمون ببعض الأشعار التي اعتبرها صالحة لمدح هذا الداي (أشعار قيلت في غيره).

ولكن الداي تعرّض للكيد له من طرف حساده، مما أدّى به إلى الهروب إلى طرابلس الغرب أين استقرّ عند أحد علمائها، لينتقل إلى تونس وهناك وعده حاكمها بمساعدته حتى يتمكن من الرجوع إلى الجزائر، وهذه المعلومات احتوتها المقامة الرابعة والخامسة[3]. ومن خلال المقامة السادسة[4] نعرف أنّ الدّاي رجع إلى الجزائر وتمت له البيعة، بعد أن أزاح صاحبه القديم عن الحكم، كما أعطانا الكاتب وصفا إيجابيا للداي حسن الشريف رغم أنّه يعتبر غريما لممدوحة.

وأفرد المقامة السابعة[5] للحديث عن أبناء الداي وأصهاره ووزرائه وكُتّابه وترجمانه وقضاته، معتبرًا إياهم أصحاب علم. وجمع في المقامة الثامنة[6] عددًا من النصوص النثرية والشعرية التي مدح

---

(1) - المصدر السابق، ص ص. 114-118.

(2) - المصدر نفسه، ص ص. 119-126.

(3) - " " ، ص ص. 127-138.

(4) - " " ، ص ص. 139-142.

(5) - " " ، ص ص. 143-151.

أصحابها فيها الداي محمد بكداش، راجين منه المعونة والرضى.

أما المقامات الثمانية الباقية [1] فقد تمحورت حول عملية فتح وهران التي تمت في عهد هذا الداي، هذا الأخير اعتبرها هدفه الرئيسي، وتطرّق الكاتب إلى الأشعار التي أرسلها إليه بعض العلماء يحثونه على تحرير وهران وتحسين حالتهم المزرية، كما فصّل في مراحل عملية الفتح، منتهيًا بالانتصار ودخول وهران، وتكلّل هذا النجاح بمجموعة من الأشعار مدح فيها أصحابها الداي طالبين منه أن يتنعّم عليهم بالعطاء.

ورغم ما يمكن أن يقال عن هذا اللون من الكتابة، مما يتهم به صاحبه من الانحياز إلى صاحب الترجمة، وتكريسه لصورة نمطية عن حاكم يجمع في شخصه كل الصفات الإيجابية (العلم، العدل، القوة والرحمة ...)، فإنّ ابن ميمون وعلى مدى صفحات الكتاب، مكّننا من التعرّف على هذا الداي وسيرته، وعلاقاته الطيبة مع كثير من علماء عصره وبعض تفاصيل فتح وهران وغيرها من المعلومات، وإن كانت لا تروي عطشنا، إلا أننا ما كنا لنتمكن من الحصول عليها لولا جهد هذا الكاتب.

4 - مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار :

ندين لأحمد توفيق المدني أن قام بإنقاذ مخطوط هذا الكتاب من ضياع شبه مؤكّد[2]، ويمكننا أن نعتبره دون مبالغة شمعة تضيء، وسط الظلام الذي يكاد يلف كامل هذه الحقبة من تاريخ الجزائر، خاصة إذا أردنا أن نطل عليها من الداخل.

وصاحب الكتاب هو أحمد الشريف الزهّار (1781-1872م)[3]، الذي اعتبره مرّوش أكبر شاهد على عصره[4]. وقد خصّص كتابه هذا للفترة ما بين 1754 و 1830م، قسّمه إلى فصول بعدد الدايات الذين تعاقبوا ابتداءً من الداي علي بوصبع إلى الداي حسين. واتبع في ذلك منهجًا موحدًا، حيث يبدأ بذكر اسم الداي وتاريخ توليه، ثم صفاته والوظيفة التي كان يشغلها إن توفرت له المعطيات، كما يذكر لنا الطريقة التي تولى بها، ثم يسرد لنا أعمال الداي والأحداث التي وقعت في عهده حسب التسلسل الزمني.

---

(1) - المصدر السابق، ص ص. 203-264.

(2) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 5. (مقدمة).

(3) - لمزيد من المعلومات عن الكاتب ينظر : المصدر نفسه، ص ص. 9-13.

أما عن الصورة التي ظهر بها الدايات في هذا الكتاب، فيمكن القول أن الكاتب كان محايدا لحدٍ كبير، فلم يكن متعصبًا لهم كما لم يكن متحاملاً عليهم، فسكت عن بعضهم واكتفى بالحديث عن أعمالهم، وأظهر البعض بشكل إيجابي في حين انتقد عددًا منهم أو انتقد بعض أعمالهم. فقال عن الداي حسن (1791-1798م) بعد تعديد حسناته، أنّه كان في بعض الأحيان يعتريه الحمق[1]، واستنكر قتله لصالح باي قسنطينة (1771-1792م)[2]، واعتبر الداي احمد باشا (1805-1808م) سفاكًا لدماء المسلمين[3]، وعبّر عن رضاه بفشل الحاج علي باشا (1809-1815م) في إتمام حملته على تونس لأنّ في ذلك أذية للمسلمين[4]، وصوّر لنا الداي عمر (1815-1817م) بشكل سلبي تمامًا[5].

كما أنّه ورغم إعطائه لصورة إيجابية عن الداي حسين (1818-1830م)، إلا أنّه لم يكن مرتاحًا لبعض أفعاله حيث وصف إعادة بنائه لقنطرة الرّنا أنّها أول أعماله الخسيسة[6]، واستغرب تصديق الداي لأهل البدع والخرافات[7]، ويبدو أنّه كان يتمنى لو افتديت الجزائر بحسين باشا وهذا ما يُفهم من القصة التي رواها لنا، حين كان يظن بأنّ السلطان العثماني، كان قادرًا على إيقاف الاستيلاء على الجزائر لو أنّه أرسل من يأخذ حسين باشا ليقوم بمعاقبته[8].

وفي آخر هذا الكتاب، قام أحمد الشريف الزهار بعملية إسقاط لكلام ابن خلدون عن الأطوار التي تمر بها الدولة على حكم العثمانيين للجزائر، فحسبه أنّهم لما حلّوا بالبلد قاموا بتعميره وتشييد المباني حتّى أصبح ملاذا للجميع بسبب الترف الذي عمّه، ثم بدأ في الانحطاط حتى سقط في أيدي النصارى، الذين عاثوا فيه فسادًا، وأرجع أسباب هذا الانحطاط إلى انتشار الترف وإتباع الشهوات والمنكرات، وسوء الأخلاق[9]، وهي الأسباب نفسها التي ذكرها الورثيلاني في رحلته عن سبب التدهور الذي تعانيه البلاد.

---

(1) - المصدر السابق، ص. 61.

(2) - " " ، ص. 65.

(3) - " " ، ص. 99.

(4) - " " ، ص. 108.

(5) - " " ، ص. 125، 127.

(6) - " " ، ص. 144

(7) - " " ، ص ص. 168-176.

(8) - " " ، ص. 169، 170.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ اقتصارنا على هذه العينات الاربع من الكتب المحلية، لا يعود لكونها تمثل كل الأصناف التي كتب فيها "الجزائريون" في مجال التاريخ لهذه الفترة[1]، ولا لكونها أهم المصادر المحلية التي يمكن اعتمادها في دراستنا، لكن اخترنا هذه النماذج، لنظهر من خلالها نسبة حضور الداي أو غيابه فيها، وكيفية هذا الحضور.

لقد لاحظنا عزوف بعض هؤلاء الكتّاب عن ذكر الدايات بشكل خاص، إلا ما جاء في السياق العام من حديث عن السلطة الحاكمة، بينما ذُكر الدايات في بعضها على شكل قائمة تعدّد أسماءهم وتواريخ توليهم، مع بعض المعلومات البسيطة عن نظام الحكم، هذا إضافة إلى القليل جدًا الذي ألّف في مدح أحد الدايات، وكثيرًا ما يكون في إطار التأريخ لحادثة مهمة ألّمت بالإيالة، أمّا مذكرات أحمد الشريف الزهار، فيبدو أنّها حالة فريدة، اكتسبت مميزاتها من إطلاع الكاتب على الحياة السياسية وقربه من دوائر القرار، وكذا تأليفه في مرحلة ما بعد انتهاء الحكم العثماني بالجزائر.

إنّ أغلب وأهم الإنتاج التاريخي الخاص بـــ "الجزائريين"، والذي قد يفيدنا في إعطاء صورة عن الدايات، تركّز في القرن الثامن عشر[2]، وبعض المناسبات الهامة على مدى فترة حكمهم. وقد حملت هذه الكتابات في معظمها خطابًا إيجابيًا عن الحكم العثماني وعن الدايات، أو ما أسماه محمد غالم بموقف النخبة العالمة – علماء ومتصوفة – المساند[3]، والغريب أنّ جزءًا مما يمكن أن نسميه بالخطاب الموالي لسياسة العثمانيين، رغم انتقاده للوضع السائد، وحديثه عن الظلم والتعسّف، إلا أنّه كان يعمل على استقرار هذا الحكم (الورثيلاني كمثال)، في حين لم يوضّح البعض موقفه من الأعمال القاسية التي كان يمارسها العثمانيون وإن كان يعترف لهم بالشرعية (ابن حمادوش كمثال).

وفي المقابل ورغم الحصار المفروض عليه من طرف السلطة الحاكمة، استطاع أن يصل إلينا خطاب مضاد لهذه السلطة، ويتجلى هذا الصوت الخافت الذي اخترق الصمت خاصة في الشعر الشعبي الذي ألّفه شعراء القبائل التي ساد التوتر بينها وبين العثمانيين، نشر بعضها فيرو [4]. كذلك أورد بعض الأمثلة كل من أبي القاسم سعد الله[5] والمهدي البوعبدلي في تقديمه لكتاب "الثغر الجماني في ابتسام

---

(1) – عن الأصناف التي كتب فيها الجزائريون في مجال التاريخ، ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.2، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص. 321.

(2) – المرجع نفسه، ص. 231.

(3) – محمد بن أحمد أبي رأس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق : محمد غالم، ج.1، د.ط، منشورات CRASC، الجزائر، 2005، ص. 48.

(4) – "Les Harar seigneurs des Hanencha", In. R. A,N. 18, An 1874, p p. 214 - 217. et "Ferdjioua et Zouar'a note historique sur la province de Constantine", In. R. A,N. 22, An. 1878, p. 10, 11

الثغر الوهراني"، وممّا جاء في المقدّمة قصيدة عبّر فيها شاعر شعبي يدعى بوعلام بن الطيب السجراري عن فرحته بهزيمة "الأتراك" بقيادة الباي مصطفى على يد عبد القادر بن الشريف الدرقاوي في ربيع الأوّل عام 1219هـ/ 1804م، وقد ختم قصيدته بهذه الأبيات :

والخيل اتصـــادى هذا يـــرد الـــذاك

نحو الجزائر رسلو برية مطبوعة.

خط الخوجة خط احديث كان اوصار

الباشا مبهوت صادفته خلعـــة.

خاف على الخزنة يسعاوها الاحـــرار.

أمر ببراته للجيش واحد الساعة كانت مجموعة بطبولها تنقار[1].

ورغم النقد الشديد الذي وجّه للكتابات المحليّة سواءً في الداخل أو الخارج، بسبب قلتها، وضعف الكثير منها، وضياع بعضها، حيث لم يبق منها إلا العناوين أو ذكر لمحتوياتها، في حين كانت بعضها أحسن حظًا ببقاء ترجمة لها (مع ضياع للأصل)، رغم هذا فإنّها لم تنسحب تماما وتترك الساحة فارغة، بل إنّ بعضها سجّل نفسه بشكل قوي، وخير مثال على ذلك تقييدات ابن المفتي، التي حازت احتراما كبيرًا حتّى من الكتّاب الغربيين الذين لم يكونوا قبلاً ليقبلوا الاعتماد على النصوص المحلية في أعمالهم، وكان دلفان قد نشر ترجمة لها تحت عنوان "تاريخ باشاوات الجزائر من 1515 إلى 1745م"، كما نشر مقتطفات منها نور الدين عبد القادر في كتابه "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر". لقد سجّل لنا هذا الكرغلي القريب من دوائر الحكم معلومات تخص مختلف المجالات : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأخبارًا عن الأزمات التي مرّ بها سكان مدينة الجزائر خاصة الزلازل، لكن ما أفادنا فعلاً في الفصل الثاني، هي معلوماته الدقيقة إلى حد كبير والتي تخص تواريخ حكم الولاة، وكذلك بعض الملاحظات الهامة عن النظام السياسي وطريقة التداول على الحكم وما يعقبها من أحداث.

أما بالنّسبة لكيفية تناوله للدايات، فإنّه كان يدعو لبعضهم بالرحمة[2] عند ذكره لموتهم، وبدا متحفظًا بالنسبة لبعضهم بحيث لم يذكرهم بسوء ولم يترحّم عليهم في الوقت نفسه، كمـــا أنّـــه اشتكى من فرض اثنان من الدايات للضرائب في فترات الأزمات كالزلازل والاعتداءات الخارجية

---

(1) - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 39، 41.

والتي أهلكت كاهل السكان، وهما حسين ميزومورطو (1683-1686م) والداي آتشي مصطفى[1] (1700-1705م)، وعلّق على قتل الداي دالي إبراهيم (1709-1710م) بالقول : « ... أيام قليلة بعد ذلك (دفنه)، حطّم شاهد قبره ؛ اليوم، لم يبق منه أي أثر ؛ ليمحي الله ذكره كما أضلّه خلال حياته »[2].

وعلى العموم فمن الواضح بأن ابن المفتي كان يعترف بشرعية الحكم العثماني، معتبرًا أنّ بداية حكم الدايات قد جلب الازدهار لمدينة الجزائر حتّى أصبحت تشبه سوريا ويضرب بها المثل في الرخاء، لكن ترصّد "الكفار" لها جعل هذا من الماضي[3]. قال عنه دلفان بأنّه رجل ذو عقل سليم وفكر مستقل، لا يغلق عينيه على أية معلومة، بل يناقش صحتها، كما أنّه كان يرفض القصص غير المبرّرة، ويعمل على رد الاعتبار للأشخاص الذين اتهموا ظلمًا[4]، وحسب دلفان نفسه فإنّه قام بعمل لم يسبقه إليه أحد[5].

ومن بين الكتب الهامة أيضًا "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر الذي قال عنه أبو القاسم سعد الله « كان على رأس المؤرخين إنتاجًا وإدراكًا لأبعاد الدراسة التاريخية »[6]. وأصل هذا الكتاب عبارة عن قصيدة ألّفها الكاتب بمناسبة فتح وهران الثاني 1206هـ/1792م، لمدح الباي، تحتوي على 118 بيتًا سمّاها "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان"، فطلب منه هذا الأخير أن يشرحها شرحًا وافيًا، فكان ذلك الشرح هو كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"[7].

ورغم تركيز الكاتب على فتح وهران والمحاولات السابقة لذلك. فإنّه كتب عن نشأة الدولة العثمانية[8]، وعن بداية الحكم العثماني بالجزائر، حيث عبّر عن إعجابه بخير الدين بربروس، وامتعاضه من أخيه عرّوج (بسبب ما فعله في تلمسان)[9]، كما ذكر بعض الاعتداءات الخارجية

---

(1) - G. Delphin, Op. Cit., p. 212.

(2) - Ibid, p. 207.

(3) - Ibid, p. 211.

(4) - Ibid, p. 191.

(5) - Ibid, p. 199, 200..

(6) - تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.2، ص. 376.

(7) - محمد أبي راس الناصر، المصدر السابق، ص. 33.

(8) - المصدر نفسه، ص. 165، 166.

على مدينة الجزائر[1]، أما فيما يخص الدايات فقد ذكر بعض الذين حاولوا فتح وهران، وأورد بيت شعر قيل في الداي محمد بكداش الذي تمّ الفتح الأول لوهران في عهده :

محمد بكداش هو باشتها ∴ قد فاق الأكفاء في الدهاء والرغس[2].

وطبعا كان الكاتب من المؤيدين في هذا الكتاب على الأقل، للحكم العثماني بالجزائر.

وحتى لا نستطرد في ذكر الكتب المحلية التي يمكن أن تفيدنا ولو بقدر يسير في دراسة موضوعنا، يجب أن نشير إلى أنّ أهم هذه التآليف، كان مناسباتيا، وقد ألّف في البداية على شكل قصيدة لكنّه وبطلب من الممدوح حوّل إلى كتاب، وهذه المناسبات تتمثّل في الاعتداءات الخارجية، وبشكل خاص في عمليتي فتح وهران الأولى والثانية، اللتان استرعتا اهتمام العلماء الجزائريين كثيرًا، سواءً قبل الفتح للحثّ عليه، أو بعده للتعبير عن الفرح وبغرض الحصول على الحظوة والمكاسب المادية، حيث نال في الفتح الأوّل الداي محمد بكداش نصيبا كبيرا من المدح، بينما نال الباي محمد بن عثمان الكبير حصة الأسد في الفتح الثاني، ومع هذا فهي لا تخلوا من ذكر للداي الذي تمّ الفتح في عهده، إلى جانب بعض المعلومات حول النظام السياسي.

ومن بين الكتب التي أُلّفت في الفتح الأوّل لوهران بالإضافة إلى "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" لابن ميمون، كتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر "للشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، وكذلك رجز ألّفه مفتي تلمسان محمد بن أحمد الحلفاوي وشرحه تلميذه عبد الرحمن الجامعي. أما فيما يخص الفتح الثاني فنذكر "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" لمحمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة "والثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لابن سحنون والذي ربما يُعد أهمها. وفي الأخير نختم بكتاب "الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" لمحمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني، وقد كتب بخصوص حملة إسبانيا (حملة أوريلي) على الجزائر (1189هـ/1775م)، وهذا الكتاب يحمل أخبارًا عن باشاوات الجزائر وأعمالهم.

وعلى العموم فمن وجهة نظرنا وحسب استفادتنا من هذا النّوع من المصادر في موضوعنا، فإنّنا يمكن القول بأنّها أعطتنا في الأعم صورة مؤيدة لحكم الدايات، مع ذكر لاستثناءات سلبية، لكنها صورة غامضة عن أشخاصهم، إلا القليل من الإضاءات الخافتة.

---

(1) - المصدر السابق، ص ص. 163- 165.

- III - منطلقـــات صور الدايـــات :

من الصعب الإحاطة بكل الأسباب التي ساهمت في تَشَكُّل صورة الدايات على الوجه الذي حصلنا عليه فيما سبق، على إثر محاولتنا لرصد أهم ملامح هذه الصورة من مختلف المصادر. إنّ هذه الصورة بل الصور كانت كنتيجة لتجمُّع عدة عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية وثقافية ودينية ونفسية، سنحاول فيما يلي استقراء أهم هذه العوامل التي وردت في المصادر عن قصد أو غير قصد منها، وما نبهنا إليه باحثون آخرون تعاملوا مع هذا النوع من المصادر.

فيما يخص المصادر الأجنبية فإنّ أوّل سؤال يتبادر إلى الذهن، ما هي الدوافع التي كانت وراء الاهتمام بالكتابة عن الجزائر في تلك الفترة ؟ لقد تعدّدت الدوافع بتعدّد طبيعة الكتّاب من قناصل وأسرى ومفتدي أسرى ورحالة وجواسيس، ولكن بداية هذا الاهتمام كان بتحول الجزائر في ظل العثمانيين إلى قوة مؤثّرة في البحر الأبيض المتوسط، يقول مولاي بالحميسي : « ويعود السبب في ذلك إلى ما أثاره نظام البلاد الجديد في العالم المسيحي من حيرة وما لفته من أنظار لدى الساسة والقادة ورجال الكنيسة والمسؤولين على البحريات. فلا غرابة إن تعددت التآليف وتنوّعت حتى ملأت الخزائن »[1]، فكان مثلاً القناصل والجواسيس يجمعون المعلومات عن الإيالة بقصد حماية مصالح بلدانهم، وكان مفتدو الأسرى يقومون بذلك لتعبئة الرأي العام المسيحي للمساعدة في تحرير الأسرى، وهناك من كانت له أغراض علمية، وقد يكون بعضهم قد كتب من باب التعبير عن الذات لدى الآخر[2]. وهذه الكتابات كانت ترزح تحت عبء تاريخي ميزته الصراعات بين العالمين الإسلامي الذي تعتبر الإيالة جزءًا منه والمسيحي الذي تقاطر منه هؤلاء الكتّاب[3]. وحول هذه النقطة يقول مروش أنّه من الخطأ أن نختصر العلاقات بين ضفتي المتوسّط ببساطة في الصراع بين الإسلام والمسيحية، حيث لم تكن هناك قطيعة تامة بين العالمين، بل كانت هناك دائما روافد للإتصال وحتى للتحالف[4].

ونتج عن جو التوتر الذي ساد بين العالمين (الإسلامي والمسيحي) استعلاء ثقافي وديني، بدا

---

(1) - "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1988م، ص. 101.

(2) - تعبير من الشاعر السوري نوري الجرّاح بخصوص أدب الرحلة (حصة تلفزيونية).

(3) - عن تأثير هذا الصراع على هذه الكتابات، ينظر : مولاي بالحميسي، "موقف المؤرخين ..."، المرجع السابق، ص. 103.

متبادلاً في هذه الكتابات، فالداي يحمد على المسيحيين ويسيء إليهم بسبب ديانتهم، والكتّاب يتحدثون عن تمسُّك الداي بدينه الخاطئ[1]. وانتمائه إلى محيط متخلّف يؤمن بالخرافات، فيما هم ينعمون بحضارة راقية في تطور مطّرد، حيث أنّ "وكر القراصنة في مقابل العالم المتحضّر"[2].

وهؤلاء الدايات لا ينتمون إلى ثقافة منحطة ودين خاطئ فقط بل إلى جهاز حكم لم يكسب أي تعاطف من هؤلاء الكتّاب، فهو نظام إستبدادي، يوجد على رأسه مستبّد غير إنساني "كلمته هي القانون"[3] (تعبير لأسير ووزير باي الغرب محمد الكبير (1778-1799م) ثادنا[4])، نظام سياسي دخيل لا ينتمي إلى السكان ويعاملهم معاملة سيئة[5]. نظام ظالم وجشع، تسبّب في تخلّف البلاد في كل المجالات، وبعض هذه المجالات أضرت بمصالح المسيحيين كالجانب التجاري الذي يحتكره النظام ويتدخّل الداي شخصيًا في كل كبيرة وصغيرة تخصّه[6].

ولا يتوقف سوء هذا النظام عند هذا الحد، فهو نظام يعتمد أساسًا على القرصنة التي عرفت احتقارًا كبيرًا، لأنّه نشاط أضرّ بمصالح المسيحيين في البحر، وجعل سواحل هذه البلدان غير آمنة، مفرزًا ظاهرة أقلقت الكتّاب كثيرًا، وجعلوها محورًا أساسيًا في كتاباتهم، وهي قضية الأسرى، كان هؤلاء عناصرًا فاعلة في هذه الكتابات. نظام غير مستقرّ، فمن النادر أن يموت الداي بشكل طبيعي فالتغيير كثيرًا ما يكون كنتيجة لثورة. ومن خلال هذه الكتابات نفسها تشعر بأنّه نظام لا تحكمه ضوابط أخلاقيه ولا آليات معينة في اتخاذ القرارات[7]، فهذه الأخيرة تعتمد على ميزاجية الداي وهوائيته، فهو الحاكم المطلق وهو المسؤول على تبعات هذا النظام الجائر. لا يحتاج البلد الذي

---

(1) - عبارات مأخوذة من هذه المصادر (ينظر الفصل الثاني).

(2) - وليام شالر، المصدر السابق، ص. 158، 159.

(3) - F.Charles Roux, Op. Cit., p. 415, 418.

(4) - لمزيد من المعلومات عن الأسير ثادنا، ينظر :

- M.Emerit, "Les aventures de Thédenat, esclave et ministre d'un Bey d'Afrique (XVIII[e] siècle) ", In. R.A., An. 1948, p p. 143-148.

(5) - حتى أنّ ثادنا اعتبر أنّ أي حرب ضد الإيالة، سيجعل السكان الأصليين يقفون في الأخير ضد الأتراك، ليتخلصوا من طغيانهم. ينظر : F.Charles Roux, Op Cit., p. 420.

(6) - الآراء التي تنتقد نظام الحكم كثيرة، وخاصة إذا تعلّق الأمر بأي تأثير على مصالح المسيحيين، ينظر : شالر، المصدر السابق، ص. 37، 41، 46، 50، 51، 101، 102.

(7) - حسب كانكارت فإن ما يحكم علاقات هذا النظام مع غيره هو الخوف أو الطمع في الكسب، ينظر : المصدر السابق،

يحكمه الدايات، إلا لسقوط هذا النظام ليصبح جثة"[1]. وقد انعكست السمعة السيئة لطبيعة هذا النظام على سمعة الدايات أنفسهم، حتى أنّ بعضهم أرجع الطبع السيء للدايات إلى طبيعة هذا النظام، حيث أنهم يعملون تحت ضغط التوجه السائد للحكم، وأنّهم لوكانوا خارجه لكانوا أشخاصًا جيدين، قال شالر بهذا الصدد "أنّهم في الحياة السياسية يكتشفون في أنفسهم وحشية نادرة"[2].

في الحقيقة فإنّ مرّوش ذكر عدّة ملاحظات، تبيّن التأثير المتبادل بين الدايات والنظام السياسي. حيث إعتبر أنّ من بين الأسباب التي أدّت إلى وجود إختلاف في سيمات النّظام السياسي بين فترة وأخرى، هو التباين المسجّل على مستوى شخصية الحكام المتعاقبين[3].

وفي المقابل فإنّ طبيعة النظام أثّرت في تصرّفات الحكام، وإلاّ كيف يمكن تفسير (حسب الكاتب نفسه) سماح شخص متمسك بتطبيق الشرع مثل الداي علي (1817–1818م)، أو الداي حسين (1818–1830م) المعروف بالعدل والتقوى، بمصادرة أموال الفِرق المقصية من الحكم، إثر الإنقلابات الناجحة. فحسب مرّوش فإنّ هذا الأمر يعود إلى تميز هذا النظام بظاهرة "أنّ سابقة تفتح الباب إلى عادة تتكرّر بشكل منتظم"، حيث أنّ هذا التكرار أعطى هذه الأفعال شرعية بقوة العادة. وهكذا إندمجت هذه الممارسات (التجاوزات) ضمن عادات العصر[4]. وهنا نتذكر نصائح القنصل الفرنسي لومار (1749–1756م) لخلفه، بأنّ يتجنب تحول الهدايا التي يقدمها للدايات إلى عادة وبالتالي إلى حق شرعي، وهذا بتجنب تقديمها في أوقات معينة بذاتها[5].

والمصدر نفسه الذي أتى منه الدايات لم يحظ بأي إعجاب، ونقصد سلك الإنكشارية، وكل مغامر من هؤلاء له الحظ في الوصول إلى هذا المنصب[6]، وعليك أن تتصوّر مستوى الأشخاص الذين يصلون إلى الحكم ويمسكون بزمام الأمور. فمستويات الأشخاص الذين يتم تجنيدهم لا يعدون أن يكونوا مجموعة من العاطلين عن العمل، وأصحاب السوابق، وذوي المستويات التعليمية البسيطة[7].

---

(1) – وليام شالر، المصدر السابق، ص ص. 185–192.

(2) – المصدر نفسه، ص. 54، 164.

(3) – Recherches .... I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Op. Cit., p. 192.

(4) – Ibid., p p. 189-192.

(5) – L.Chaillou, Op. Cit., p.6.

(6) – V. De Paradis, Op. Cit., N. 41, p. 87.

ومن العناصر الفاعلة في تكوين هذه الصورة، القناصل الذين لا يقلون (حسب ما جاء في كتاباتهم) معاناةً[1] من فئة الأسرى، فعلى القنصل أن يتحمّل سلوك الداي المتقلّب، وهو معرّض في كل لحظة للأسر والأعمال الشاقة، وحتى القتل في بعض الأحيان. وقد عبّر الكثير من هؤلاء القناصل عن استغرابهم وامتعاضهم، من وجود علاقة بين دولهم وهؤلاء البرابرة، معتبرين أنّ طبيعة العلاقة وخاصة تقديم الهدايا إذلال لهم ولبلدانهم، ولهذا كانت هناك دعوات كثيرة من قبلهم للتوقف عن تقديمها، وتطوّر الأمر ليصبح مطالبة بإفناء حكومة الداي، مسهبين في ذكر الأسباب والكيفية. وكمثال على ذلك دعوة القنصل الفرنسي كورسي (1782-1791م) لشن حملة عسكرية على مدينة الجزائر، وتأكيده على أنّ الهدف الرئيسي لهذه الحملة يجب أن يكون القضاء على حكومة الداي قبل أي شيء آخر[2]، كما قدم ثادنا عند عودته إلى بلاده عدة مشاريع بهذا الخصوص، مبديًا حماسًا كبيرا اتجاه هذا الأمر[3].

وفي المقابل علينا أن نشير إلى أنّ علاقة هؤلاء القناصل ببعضهم البعض سادها التوتر والمؤامرات، فكان كل واحد منهم يعمل لكسب الحظوة لدى الداي، وهذه الاستماتة للحصول على المكاسب، والتي لم تكن تخص بلدانهم فقط، بل حتّى مصالحهم الشخصية، حيث كان بعضهم يعمل بالتجارة، جعلتهم محل شبهة، وقد سجّل جمال قنان إستياء الدايات من إرسال الدول الأوروبية لقناصل يعملون بالتجارة، لكون هذا الأمر يؤثر سلبًا على علاقات الدول[4]. كما تميّز بعض القناصل بطبائع غريبة وتعالٍ مصطنع.

فما هي المميزات الأخرى (لهذه الآراء) التي تحكّمت في تشكّل صور الدايات ؟

- تميّزت هذه الآراء بالجهل والأحكام المسبقة، حيث لاحظنا أنّهم لم يقوموا بالكثير لفهم الآخر، فقد أتوا بأحكام وأفكار مِمَا يروّج له في بلدانهم وملؤوا بها كتبهم دون بذل الكثير من الجهد. وبعد أنّ لاحظ هذا الأمر كل من لوجي دوتاسي وبايصونال، خصّص لوجي دوتاسي

---

(1) - سجّل القناصل في تقاريرهم معاناتهم مع الدايات، ويُعد مقال Jean Cazenave، سابق الذكر، "Un consul français en Alger au XVIII[e] siècle Langoisseur de la Vallée" تسليط للضوء على معاناة القناصل الفرنسيين ودورهم البطولي في الدفاع عن مصالح فرنسا.

(2) - F.Charles Roux, Op. Cit., p. 354, 357.

(3) - M.Emerit, "Les aventures de Thédenat esclave et ministre d'un Bey d'Afrique", Op Cit, p. 147 et p. 148 (Note 7).

الفصل الأخير من كتابه للردّ على بعض هذه الأحكام المسبقة، عاقدا مقارنات بين ما يحدث في الإيالة وما يحدث في البلدان المسيحية[1]، كما حمّل مسؤولية هذه الصورة المشوّهة التي يعيد إنتاجها المسيحيون لكل من مفتدي الأسرى وبعض الأسرى[2].

- حكمت هذه الكتابات الظرفية ؛ فقد أعطى الكثير منهم رأيه في الدايات بعد مقابلة قصيرة أو حتى عن طريق السماع، فلا نجد منهم من أفرد كتابًا خصّصه لسيّر هؤلاء الدايات كما فعل هايدو مع الحكّام الأوائل، ومن الأمثلة على تحكّم الظرفية في هذه الآراء، الحكم القاسي لبايصونال على الداي كور عبدي، رغم أنّ هذا الداي ظهر بشكل إيجابي في كتابات غيره، وغلبت صفاته الإيجابية على السلبية. وقد اتخذ بايصونال هذا الموقف، لأنّه كما يبدو تعرّض لمعاملة سيئة من طرف الداي بسبب شكه في أن يكون جاسوسًا لأحد مناوئيه في تونس، التي كان الكاتب قادمًا منها.

- ممّا أثّر في هذه الآراء أيضا طبيعة الأشخاص الموفدين من بلدانهم كممثلين دبلوماسيين، والذين كانوا يرسلون تقاريرهم المليئة بالشكوى من الدايات وامتعاضهم من رفضهم لطلباتهم، فيصفونهم بالعنيدين وغيرها من الصفات (السلبية)، وفي الفصل الثاني أمثلة على قناصل اتخذوا مواقفًا مختلفة بشأن الداي نفسه (رغم أنّهم يمثلون البلد نفسه فرنسا). وقد ذكر دوقْرامون، بشأن أحد القناصل كان اتخذ موقفا سلبيا من أحد الدايات بأنّه يبالغ وأنّ تصرفاته هي التي تغضب الداي، وقال عن قنصل آخر بأنّ الطبيعة الغريبة للقنصل هي التي أفقدت بلاده مكاسب كثيرة.

- وقد تأثرت أيضا كتابات القناصل بالمصالح وكذلك بحالة العلاقات بين بلدانهم وبين الدايات، وكمثال على ذلك الداي بابا حسن (1697-1700م) الذي اعتبره الفرنسيون رجلاً قويا (كانت العلاقات بين الداي وفرنسا جيدة)، وفي المقابل نجد غيرهم وصفه بأنّه غير قادر على التماسك في الأحداث الكبيرة، وقد تأكّد ذلك عندما تخلى عن الحكم على إثر ثورة الإنكشارية وهجوم باي تونس على الإيالة، والشيء نفسه حدث مع الداي سيدي حسن (1791-1798م) المشهور عنه بأنّه غريب الأطوار، إلاّ أنّ قنصل فرنسا صوّره على أنّه شخص جيد، مع العلم أنّ في فترة حكم هذا الداي حصلت فرنسا على مساعدات كبيرة من الإيالة على إثر الأزمة التي ألّمت بها.

---

(1) - Op. Cit., p p. 183-204.

- جعل الكتاب الأجانب الأمور تظهر سطحية وتافهة، حيث عكسوا بساطة النظام الخارجية (لا يشبه ما يوجد في أوروبا من فخامة) على جوهر النظام، فكانت تفسيراتهم بسيطة وأحكامهم قاسية، كما ركّزوا على سلبيات النظام دون الإيجابيات إلاّ النادر.

- إنّ تنوع الكتّاب وتعدّد المصادر، لم يعطنا في المقابل صورة متنوعة، و لم يُمكنا من تجديد نظرتنا للموضوع[1]، ومن أسباب هذا الجمود نقل الكتّاب عن بعضهم البعض، حيث أنّ ضمن هذا الكم الهائل من الكتابات لا نجد إلا القليل منها الذي يكتسي أهمية. ولهذا السبب علينا أن نستفيد مما يمكن أن يزودنا به الأرشيف المحلي من وثائق مختلفة، والتي من خلالها نستطيع تثبيت بعض الصور حول الدايات، كما يمكن نفيها، أو وضعها على الأقل محل نقاش.

- هناك نقطة مهمة أخرى قد تفيدنا في الإجابة عن سؤال كيف تكونت هذه الصورة عن الدايات بهذا الشكل ؟ وتتمثّل في المصادر التي كان يستقي منها هؤلاء معلوماتهم. فإذا كانت جوسلين داخلية قد حاولت ولو مبدئيا في تقديمها لكتاب هايدو حول الحكام الأوائل، إزالة الغموض حول سبب تعاطي الراهب الإسباني هايدو بشكل إيجابي مع هؤلاء الحكام، حيث أرجعت هذا الأمر إلى اعتماده بشكل ملفت على شهادات محلية، وعلى هذا الأساس استنتجت سهولة التواصل بين المسلمين والمسيحيين في القرن السادس عشر، وهذا ما جعلها تدعو إلى التعمق في دراسة حيثيات إقامة هايدو في الإيالة وكذا علاقاته الشخصية مع المسلمين لما لها من تأثير على نظرته للحكّام[2].

فإننا في المقابل نجد إشارات قوية عن عدم وجود هذا التواصل بين الطرفين في القرون اللاحقة، حيث ذكر شو أنّه عندما وصل إلى الإيالة حاول التعرف على كل من يملك قدرًا من العلم والمعرفة، لكنّه لم يستطع بسبب صعوبة ربط علاقات صداقة معهم، لأنّهم ينفرون من الغرباء وينظرون إلى المسيحيين باحتقار[3]. وربما نستطيع تأويل ملاحظة فالنسي (L.Valensi) لصالح افتراض وجود هذه القطيعة، حيث ذكرت في تقديمها لكتاب بايصونال أنّ هذا الأخير ومعاصريه

---

(1) - ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، لسنة 1988م، ص. 112.

(2) - Diego de Haëdo, Histoire des rois d'Alger, traduite et annotée par H.D. de Grammont, présentation de Jocelyne Dakhlia, Bouchène, Paris, 1998, p. 7, 8.

كانوا يدركون الأشياء بالنظر واللمس وليس بالسماع[1]، وقد يفهم من ذلك أيضًا أنهم لم يكونوا يصغون للآخر، بل كانوا يحكمون عليه تبعًا لثقافتهم هم. ليس هذا فقط فإنّ الشواهد تدل على أنّهم كانوا يعتمدون في قسم من معلوماتهم على أوروبيين آخرين، فبايصونال مثلا حصل على جزء من معطياته من التجار الفرنسيين[2].

وقد أورد كل من مولاي بالحميسي في مقاله "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني" وعائشة غطّاس في مقالها "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"[3] تقييمًا لهذه الآراء، يتوافق مع ما قاله كاتب أمريكي، خبير في شؤون الجزائر والمغرب يُدعى آلف أندرو هيقوي (Alf A.Heggoy)، من أنّ النظرة الغربية نحو شمال إفريقيا تحكمها القسوة والأفكار المسبقة وسوء التفاهم والتعالي الثقافي، وأن الدوافع إلى ذلك لا تكاد تخرج عن لجوء الكتّاب إلى أسلوب المبالغة والإثارة لبيع كتبهم وترويجها بين الناس، ولجوء القساوسة الذين كانوا يعملون على افتداء الأسرى المسيحيين بجلب عواطف جمهورهم للتبرع والبذل في سبيل أهداف دينية ومادية[4].

وعلى العموم فقد طرح هذا النوع من المصادر عدة إشكاليات، جعلت مجموعة من المؤلفين يفردون لها عددًا من المقالات والكتب، نذكر منها كتاب (Guy turbet – Delof)[5] وكتاب دنيس براهيمي سابق الذكر. وقد اخترنا هذا الأخير لذكر بعض الأفكار التي أوردتها الكاتبة، لأنّ الفترة التي تناولتها أشمل لحكم الدايات، كما أنّ الكتّاب الذين اختارت نصوصهم لدراستها، اعتمدنا على عدد كبير من كتاباتهم لاستقراء صورة الدايات.

أعلنت دنيس براهيمي في بداية كتابها أنّه لم يكن في نيتها أن تعرض من خلال النصوص التي اختارتها الوجوه المختلفة لحقيقة ما، ولكن قصدها كان إظهار الطرق المختلفة التي رأى بها عـــدد من الأشخاص هذه الحقيقة، وكذلك لتبيِّن أنّ صورة بلد ما تعتمد على ملاحظيه. واعتبرت أنّـــه

---

(1) - وصلت فالنسي إلى هذا الرأي بسبب قلة اهتمامهم بالموسيقى واللغات، ينظـــر : Op. Cit., p. 37, 38 -

(2) - Ibid., p. 32.

(3) مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1988م، ص ص. 116-127.

(4) أبو القاسم سعد الله، "نصرة الأمريكيين للتاريخ الجزائري"، مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1988م، ص. 138، 139.

(5) - L'Afrique barbaresque dans la littérature française aux XVI[e] et XVII[e] siècles, librairie Droz.

ليس من باب الصدفة، أن تسبق كلمة آراء (opinions)كلمة نظرات (regards) في العنوان، لأنها تعتقد أنّ الأولى تسبق الثانية دائما، حتى بالنسبة للرحّالة الذين أرادوا الوصـــول إلى الموضـــوعية العلمية، والنضال ضد الأحكام المسبقة، وإلا كيف يُفسّر وجود رغبة في كل نـــص في التعريـــف بالنفس بالنسبة للسابقين الذين نسرقهم أو نتجادل معهم[1](إشارة إلى نقل الكتّاب عن بعضـــهم البعض).

تقول براهيمي أنّ هذه الكتابات تمت في ظل سلسلة المواجهات المستمرة بين إفريقيا وأوروبا، إلا أنّها في البداية رغم الصبغة التهجمية و العنيفة التي لفتها لم تكن تحمل مواقفًا أبوية أو عنصرية، لكن التطور الاقتصادي الذي بدأت بوادره في أوروبا مع بداية القرن 17، جعل أوروبا تكتشف حاجتها للعنصرية لتبرير رغبتها الاستعمارية، وقد لاحظت تفاقم هذا التيار عبر النصوص، حيث جرّ الأشخاص بغض النظر عن مواقعهم وصفاتهم بقوة جبرية. والذي أدهش الكاتبة أنّ هذه العنصرية تطورت في الوقت الذي فقدت فيه أوروبا الأسباب الأساسية للتهجّم على "الباربارسك"، حيث وافق أنّه في القرن 18 وخاصة بداية القرن 19، دخلت القرصنة في مرحلة الركود، كما قلّ عدد الأسرى، ولم يعد الرياس يشكلون مصدر خوف كما في القرنين 16 و 17، وضعفت الإيالات اقتصاديا[2].

وأكّدت الكاتبة أنّ المظاهر اليقينية للتعصّب، والذي لا يجب خلطه مع العداوة العنيفة والمتكرّرة في القرن الماضي، قد بدأت مع بداية انحطاط الإيالات حوالي سنة 1725م، وهذا التعصّب مبني على احتقار الخصم والشعور بالتفوّق. وقد اعتبرت الكاتبة ظهور التعصّب في النصوص في الوقت الذي أصبح فيه الأوروبيون لا يرون في "الباربارسك"خصومهم الرهيبين، لكن مهزومون بالقوة، موقف نذالة متستّر تحت هيبة العلم والنشاط الثقافي. واستبعدت النظرة الموضوعية في هذه الكتابات، رغم تطور الفضول العلمي لدى الأوروبيين، لأنّهم استخدموا هذه النظرة كوسيلة للسيطرة، وحفر خندق بينهم وبين الآخر، حتى يستطيعوا تطويقه ومحاصرته بشكل أفضل[3].

إنّ قراءة الكاتبة لنصوص القرن 18 أعطاها إحساسًا بخيبة أمل لم تشعر بها في كتابات

---

(1) – Op. Cit., p. 7.

(2) – Ibid, p. 8.

القرن 17 ، حيث أن الكتاب قاموا بوضع الجوهر الحي للبلاد في تصنيفات معدّة مقدّما، مما يعطي إحساسًا سيئًا بأنّهم لم يستطيعوا رؤية الأهم[2]. حتى أنّ ازدياد تنوّع كتّاب القرن 18، بانضمام الرحالة المستقلين، للأسرى ومفتدي الأسرى والدبلوماسيين، جعلهم يطورون من دورهم المبدئي وسبب تواجدهم، بالبحث على جمع معارف جغرافية وتاريخية وعرقية كافية، ليثبتوا أحكامهم القيمية (Jugements de valeur) التي تُكَوِّنُ موقفهم الفلسفي اتجاه البلاد [3]. وبهذا فهذه الكتابات شخصية جدًا، لأنّها تعبّر عن مؤلفيها، وليس عن البلاد التي كتبت لأجلها. أما محاولة لوجي دوتاسي وبايصونال للتخلص من تقليد سيء، مضاد خاصة "للجزائريين"، فقالت عنها بأنّه موقف نظري جدًا يمكن إرجاعه أكثر إلى الاختلافات الإيديولوجية في إطار جدال فلسفي، وليس عن سابق معرفة بالحقيقة المغربية[4].

وحسب الكاتبة فإن على قدر ما كان الأوروبيون معجبين بجمال البلاد ومناظرها وآثارها، بقدر ما كانوا غير قادرين على فهم رجالها أو ربط علاقات معهم[5]. ولا يرجع سبب الخلاف إلى الظروف الماديّة للرحّالة، لأنّ عددًا من الأسرى نجحوا في خلق علاقات أمتن مع سكان البلاد، لم يستطع إقامتها رحالة جاءوا بمحض إرادتهم، إنّما يعود لكون أنّه كلّما اكتشفت البورجوازية الأوروبية نفسها، واستقرت مع ترسانتها للقيم المنظّمة، كلّما أصبحت غير قابلة للاختراق مما يمكن أن تقدّمه لها مقابلات الرحلة. فلا الظروف، ولا اكتشاف سلوكات أخرى، كافية بأن تجعلها تضع طريقتها في الحياة محل نقاش، فبالبداهة هذا الآخر هو الذي يجب أن تعترض عليه وأن تنكره، حتى تبرّر ما هي عليه بشكل أفضل[6].

وشيئا فشيئا تكونت لدى الأوروبيين نظرة عن "بربريا" تميل إلى جعل هذا البلد تابعًا، وما الرغبة في الغزو التي ظهرت في النصوص، إلا تعبير عن وجود عجز في التوصّل إلى فهم ومعرفة حقيقيين، وكأن الغزو العسكري كان نوعًا من الانتقام من فشل غزو آخر، غزو ثقافي وعاطفي

---

(1) - Op. Cit., p. 9.

(2) - Ibid, p. 8.

(3) - Ibid p. 9

(4) - Ibid, p. 10.

(5) - Ibid, p. 10.

(6) - Ibid, p. 185

أو أخلاقي[1]، وتراجعهم عن الرغبة في البقاء في هذه البلاد، يرجع إلى كونهم لم يعودوا يقبلون بأقل من امتلاك هذا الجمال[2].

وهذه بعض الآراء التي توصّلت إليها دنيس براهيمي فيما يخصّ عددًا من الكتّاب.

- قالت عن المبعوث الفرنسي إلى الجزائر دارفيو (1675م)، بأنّ إنسانيته جعلته يرتبط بالأشخاص أكثر من المؤسسات العامّة[3].

- اعتبرت أنّ مفتدي الأسرى عملوا على تسويد صورة الأسرى المسيحيين، لأنّه كان لزامًا عليهم إبهار خيال النّاس لضمان مساهمات المتدينين، بغرض افتداء الأسرى، إلا أنّهم اضطلعوا بمهمة إضافية، وهي وصف المدن وكتابة تاريخ الدايات الحاكمين، فكانت كتاباتهم غنية بالمواقف التي حصلت لهم والوصف ومعلومات مختلفة، لكن هذه الكتابات عرفت انحطاطا لعدة أسباب منها ظهور الفكر النقدي[4]،وأعطت الكاتبة عدة أمثلة عن عدد من الآباء الذين خاضوا تجربة الكتابة، ومنهم الأب الفرنسي فيليمون (Philémon de la Motte) الذي زار الجزائر سنة 1703 و 1720م، حيث قالت عنه بأنّه أعطى صورة جميلة جدًا عن الجانب المادي للبلد لكن قصر مدة بقائه لم تسمح له بفهم الأشخاص، بل إنّ متطلبات رسالته الافتدائية جعلته يعطي صورة سيئة عنهم، فما كتبه يعتبر جيدًا أدبيًا، لكن الفكر الفلسفي لذلك العصر يميل إلى سوء النية بشكل كبير، وهذا ما جعل كل من لوجي دوتاسي وبايصونال يعملان على فضح هذه الدعاية الدينية التي حكموا عليها بأنّها فضّة ومروّجة لأفكار مسبقة خطيرة[5].

- قالت عن الطبيب الإنجليزي شو (1720-1732م)، بأنّه رغم أهمية كتابه إلا أنّ احتقاره للآخر أوقعه في العنصرية، كما أنّه مأخوذ بالمذهب الأنجليكاني الذي يتميز بالبراغماتية، ومعجب ببلده الذي هو في عزّ توسّعه الاقتصادي (البلد الأوّل في الصناعة والتجارة)، مما جعل كتابه يُطبع بفكر ذلك العصر، حيث الفكر العلمي، في خدمة الرأسمالية الأوروبية ونظرتها للعالم[6].

---

(1) - Op. Cit., p. 185.

(2) - Ibid, p. 186.

(3) - Ibid, p. 82.

(4) - Ibid, p. 103, 104.

(5) - Ibid, p. 104, 105, 115.

فإنّ فكره البورجوازي الليبرالي الداعي إلى حرية التجارة، جعله يطالب بشن أشرس حملة استعمارية على "الجزائريين" الذين يعيقون التوسّع الاقتصادي للدول الأوروبية، ولهذا كانت نظرته الاجتماعية الجغرافية رجعية وعنصرية[1].

إنّ طبيعة هذه المصادر، جعل المؤرخين وغيرهم من المهتمين بتاريخ الجزائر وشمال إفريقيا لهذه الفترة، يختلفون في التعامل معها ففي حين نطق البعض بلسانها وكرّس الصورة التي جاءت بها مثل دوڤرامون، فكّر البعض في إيجاد منهج جديد، حيث قبلوا الآراء الإيجابية واستغنوا عن السلبية، وخير مثال على ذلك فيشر (Godfrey Fisher) الذي كتب (Légende barbaresque)، حيث خلص إلى أنّ الدايات اتبعوا في الأعم سلوكًا حكيما فيما يخص علاقاتهم الخارجية خاصة مع فرنسا وإنجلترا[2]، أما الفريق الثالث، فرفض أغلب ما كتب، واعتبره لا يمثل الحقيقة ولا نصف الحقيقة[3]. في الواقع لا يمكن الاستغناء عن هذه الكتابات، وإن كان يجب التعامل معها بحذر.

وقبل أن نختم مع هذا النوع من المصادر، سنعطي فيما يلي مثالاً أخيرًا عن آخر دايات الجزائر والذي يبدو من المقال السابق الذكر للمؤرخ الفرنسي أغسطين جال أنّه عانى شخصيًا من الصورة التي لاحقته عن شخصه في زيارته إلى باريس، حيث استغلّ الكاتب فرصة زيارة الداي حسين، ليتأكد ممّا يروّج له من القصص على أنّ حسين باشا رجل أحمق متوحّش، وأنّه قتال فاقد الإحساس[4].

وقد اشتكى الداي حسين للكاتب مما تنشره الجرائد[5] عنه من حكايات وأخبار ملفقة،

---

(1) – Op. Cit., p. 175, 176, 178

(2) – Traduit et annoté par Farida Hellal, O.P.U., Alger, 2000, p. 380.

(3) – أبو القاسم سعد الله، "نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائري"، المرجع السابق، ص. 140.

(4) – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (مقال زيارة الداي حسين باشا لباريس 1831م)، المرجع السابق، ص. 234.

(5) – إنّ هذه الصورة عن الداي حسين قد سبقت تواجده بباريس، بل وسبقت احتلال الجزائر نفسه، وحول هذا الموضوع ينظر مقال جمع فيه صاحبه أشعارًا لفرنسيين، تتحدّث عن الحملة الفرنسية على الجزائر، وعلى رأس هذه الأشعار قصيدة تدعى "البكرية" نسبة لناثان بكري (Nathan Bacri)، والقصيدة من النوع الجدّ – هزلي (Héroï-Comique)، نشرها صاحباها في نوفمبر 1827م، وخصّصا مقطعا منها يصوّر كيف يقضي الداي حسين يومه كحاكم، وقد ظهرت صورة الداي كاريكاتورية وساخرة. ينظر :

- G.Esquer, "Les poètes et l'Expédition d'Alger «la Bacriade» de Barthélemy et Méry" In. R.A., N 60, [illegible]

حيث قال أنّ ذلك لا يؤثّر عليه ولكنّه يجعله مستغربًا من أن يصدر ذلك عن أناس ينتمون إلى أمّة سمع عنها أنّها مؤدّبة، دون تقدير لسنه العجوز أو للحالة التي آل إليها[1].

وعبر صفحات هذا المقال كشف الكاتب عن إعجابه بشخص الداي، سواءً مما شاهده وسمعه منه، أو من خلال شهادات من عرفوه أثناء حكمه، حتّى أنّ الكاتب شبّه أخلاقه وتصرّفاته بنابليون[2]. وهذه مقاطع من المقال تبيّن كيف أنّ هذه الصورة الإيجابية عن الداي – وإن كانت عن داي ما بعد الحكم – لا تستطيع اختراق الحاجز الذي كوّنته الأحكام المسبقة : « ... إنّ الشائع هو أنّ طاغية من أفريقية لا يمكن أن يكون خيّراً، وقد يقال لي أنّك تتحدّث حديثًا خياليًا عندما تصف رجلاً كان يحكم القراصنة، بالمشاعر الحيّة والقلب النبيل. إنّه من الصعب على أبناء جلدتي أن يصدّقوا أنّ العمامة تستطيع أن تخفي غير عقل جاهل وغليظ. لأنّ أغلبهم لا يعرفون عن التركي إلا أنّه شخص قاس وشرير، يلزمه عشرون امرأة في اليوم ودنان (كذا) من الدم ... إنّ حسين كما عرفته سيظهر لهم أنّه اختراع ولن يصدّقوا كلمة من ذلك. ولكني أشهد مع ذلك إنني لم أتخيل حقيقة، ولا تفاصيل، ولا كلامًا. إنني أعيد قول ما سمعت وأصور ما رأيت. ولم أتأثّر بلقاء سريع وأولي. إنّني الآن متأكّد من ذلك إذ أنني منذ زيارة التعارف للداي تشرّفت برؤيته كثيرًا، وقد درسته بعناية. وأحكم عليه اليوم أيضًا حكمًا لصالحه كما حكمت عليه في السابق. إنّه رجل يوحي لكل من عرفه بالعطف الكبير. إنّ كثيرًا من النّاس قد اقتربوا منه والتقوا به خلال فترة الشهرين والنصف التي قضاها في باريس. ويمكنهم أن يكذبوني إذا كنت لا أقول الحقيقة »[3].

أمّا بالنسبة للكتابات المحليّة (الخاصة بالتاريخ)، فقد أشرنا إلى أنّها لاقت نقدًا قاسيًا، خاصة من الكتّاب الغربيين، حيث قال دوقرامون بهذا الشأن أنّه لا يمكن الاتكال على الحوليات الأهلية، بسبب قلتها، والمتوفر منها ذو أسلوب مطنب، ومليء بالأخطاء والمبالغات والكذب الذي غالبًا ما يكون مقصودًا[4]. كما اعتبرها إمريت (M.Emerit) ذات قيمة ضعيفة [5]. في الحقيقة نحن لسنا بصدد مناقشة رأي دوقرامون ولا إمريت، لكن الأكيد أنّ مجموعة من كتّاب القرن الثامن عشر

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ...، المرجع السابق، ص. 235.

(2) – المرجع نفســـه، ص. 258.

(3) – " " ، ص. 244، 245.

(4) – Histoire d'Alger....., Op. cit., p. 23.

المحليين، قد أدركوا هذا النقص الفادح في الكتابة في التاريخ ومن بينهم ابن المفتي وأبوراس الناصر، والورثيلاني، وقد كتب هذا الأخير : « فإنّ علم التاريخ منعدم فيهم (أهل بلده) وساقط عندهم فيحسبونه كالاستهزاء أو اشتغالاً بما لا يعني أو من المضحكة المنهي عنها فترى المتوجه منهم إلى الله يرى الكلام فيه مسقطا من عين الله تعالى ليس من علم يذكر إذلا طائل فيه اصلا بل بنفس ذكره عندهم ينكر ...» [1]، وهؤلاء الكتّاب لم يكتفوا بالإشارة إلى هذا النقص فقط، بل دافعوا عن الكتابة في التاريخ، وساهموا بكتاباتهم في سد بعض الثغرات.

وقد أرجع أبو القاسم سعد الله ضعف التأليف في التاريخ إلى سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية، فهو منسوب عند المتدينين إلى الأخبار والسير العامة ومتصّل بالأدب والمجون[2]. بينما ذهب محمد غالم إلى أنّ المؤسّسة السياسية القائمة هي التي لم تشجّع على الكتابة في التاريخ، لأنّها لم تكن مُحتّاجة في عهد قوتها إلى صياغة إيديولوجيا تُقِرُّ بوجودها، ولا بدعوة سياسية أو مذهبية معينة، إلا أنّ الأزمة السياسية التي شهدتها الإيالة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر دفعت السلطة الحاكمة إلى تجنيد المثقفين لصياغة شرعية تبّرر نفوذها على المجتمع، ففي نظر الكاتب فإنّ الاهتمام بالتاريخ مرتبط بحاجة الدولة إلى كسب شرعية تقاوم بها المعارضين لها ويدافع عن وجودها[3].

لكن ما لاحظناه أن هذا القليل من الكتب التاريخية المحلية يتصف بميزتين أساسيتين، أولاً أنّه مؤيّد في أغلبه لحكم الدايات، والثاني أنّ اهتمامه بكتابة سير الدايات قليل جدًا. بالنسبة للنقطة الأولى، يجب أن نعرف أنّ السبب الأول لارتباط العثمانيين "بالجزائريين" وهو الجهاد والدفاع عن الأرض بقي حاضرًا بسبب بقاء احتلال وهران، والاعتداءات المتكرّرة من طرف المسيحيين، وقد تبنّى العلماء هذا الموقف أكثر من غيرهم[4]، ويظهر ذلك خاصة من دعوتهم وحثّهم للحكام المتعاقبين على إخراج الاسبان من وهران، وإظهار إعجابهم بالدايات الذين كانت لهم أعمال جهادية.

---

(1) - المصدر السابق، ص. 597.

(2) - تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.2، ص. 321، 322.

(3) - محمد أبي راس الناصر، المصدر السابق، ص. 24.

وقد أرجع محمد عالم تبني علماء القرن الثامن عشر لمشروع المؤسّسة السياسية القائمة في تبرير وجودها، إلى موقف نابع من السياسة الشرعية التي يتبناها الفقهاء السلفيون، وهذه السياسة الشرعية قائمة على الجهاد والحكم العادل ونبذ الفتن والقلاقل، وليس رغبةً منهم في التقرُّب من هذه السلطة أو الانتفاع من عطاءاتها[1]. وهذا ما يوضّح لنا قيام بعض هؤلاء الكتّاب بالعمل على تدعيم الحكم العثماني، رغم نقدهم الشديد للأوضاع في الإيالة.

أما عن سبب تسجيل قلة حضور الداي وأخباره في الكتابات المحلية، فيمكن إرجاعه للأسباب التاليـــة :

- إنّ الكتابات التاريخية نفسها قليلة وبالتالي فنصيب الدايات بالمقارنة مع قلتها لن يكون أفضل حظًا.

- إنّ عددًا من أنواع الكتابات التاريخية والتي اشتهرت في ذلك العهد، غير متخصّصة ولا مُطَالبة بإفراد جزء منها لسير الدايات، وخير مثال على ذلك الرحلات.

- يبدو أنّ من كتب في السّير والتراجم، كان يرى بأنّ هناك من هم أحق من الدايات بأن تفرد لهم الكتب أو أجزاءً منها، ونقصد هنا سير الأولياء والصالحين، التي ازدهرت في هذا العهد، وهذا يرجع إلى الروح الدينية التقليدية الغالبة على العصر، حيث لاحظنا كيف أنّ الورثيلاني كان يتنقّل من مكان إلى آخر للتبرُّك بمقامات الأولياء والصالحين الأحياء منهم والأموات، حتى أن تراجمهم احتلت جزءًا كبيرًا من كتابه.

- عدم وجود تشجيع من الدايات للكتّاب، لكتابة سيّرهم، وهذا قد يعود لعدة أسباب، منها صعوبة التواصل بين الطرفين بسبب اللغة[2]، مما جعل البعض يتجّه إلى حكّام مجاورين يفهمون لغتهم ويهتمون بتخليد ذكرهم، ويدفعون لمادحيهم، كذلك فإنّ قصر مدة حكم الدايات[3] بسبب عمليات الاغتيال المتكرّرة لم يسمح لهم بالاهتمام بهذا الموضوع، فيبدو أنّهم كانوا مشغولين بحفظ حياتهم لا بحفظ سيّرهم. لكن أهم سبب هو عدم وجود استعداد من الدايات لهذا الأمر (وقد يرجع لمستواهم الثقافي وطريقة تفكيرهم)، فقد لاحظنا أنّه لما كان هناك استعداد لدى الداي محمد بكداش (رغم قصر مدة حكمه)، فإنّه كوّن علاقات طيبة مع العلماء، وهذا شجعهم

---

(1) محمد أبي رأس الناصر، المصدر السابق، ص. 09، 10.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج.2، ص. 254.

للكتابة عنه. والشيء نفسه حصل مع الباي محمد الكبير الذي أحاط نفسه بمجموعة من علماء ذلك العصر، وكان يطلب منهم شرح قصائدهم في مدحه، وتحويلها إلى كتب، وهذا ما يُفسّر تخصيصه بالمدح عند فتح وهران، دون أن يحظى بذلك الداي الذي حكم في عهده.

- ربما يعود عزوف الكتاب المحليين عن الإهتمام بسير الدايات، رغم عملهم على تدعيم النظام القائم بغرض حفظ المصالح والشريعة[1]، إلى كون هؤلاء الدايات لم يكونوا النموذج الذي يفضلونه لحكامهم. وقد يكون الورثيلاني خير من عبّر عن هذا الأمر عندما دعا الله أن يمن على المنطقة التي يسكنها بسلطان عادل يصلح حالها.

إذًا فالظروف في الإيالة لم تُشجّع على بروز كتابات خاصة بالدايات، وما كان منها فهو إما اجتهاد شخصي بسبب إدراك للموضوع، أو كنتيجة لاستفزاز مشاعر دينية، أو طمعًا في الحصول على حظوة أو رزق إذا توفّر الحاكم المعطاء. كل هذا لم يسمح بأن تلعب هذه المصادر دور كاشف للحقيقة، أو حتى أن تقوم بإضفاء نوع من التوازن على الصورة النهائية للدايات، فبدت هذه الصورة مشوّهة وكاريكاتورية ونمطية، يغلب عليها التبسيط، والإزداوجية، والضبابية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- خـــاتمـــة :

لقد حاولنا من خلال فصول هذا البحث، تأديت الجزائر صور وأبعاد (1671- 1830م)، والإجابة عن الإشكالية التي صرحنا بها في مقدّمة. وهي البحث عن الصور التي تكرّست عن الدايات في المصادر (الأجنبية، المحليّة)، والعوامل التي ساهمت في تشكّل تلك الصور.

إنّ أوّل نتيجة توصلنا إليها أنّه كان لعدم وجود توازن في المادة الخبرية حول الدايات بين المصادر الأجنبية والمحلية، أثرًا كبيرًا على نتائج هذا البحث، خاصة وأنّ منطلقنا بشكل أساسي هو هذه المصادر. وبالتالي كانت المصادر الأجنبية أقدر على إيصال الصور التي أرادتها، بسبب تنوعها بالمقارنة مع المصادر المحلية.

فبدءً من مصطلح "داي" نفسه نجد أنّ الأوروبيين استطاعوا عن طريق إصرارهم على استخدام لقب داي أكثر من أي لقب آخر عند ذكر الحاكم العثماني، من جعل هذا اللقب عنوانا مقترنا ما بين 1671و1830م، رغم أنّ الدايات أنفسهم لم يستخدموا هذا اللقب إلا في حدود ضيقة.

ونلاحظ أنّ أهم العناصر التي ساهمت في تشكّل صور الدايات، أولاً : الدايات أنفسهم وكيفية تصرّفهم وتعاملهم مع الأمور الداخلية والخارجية، ثانيًا : النظام السياسي الذي انتمى إليه الدايات وتأثيره على هذه الصور، ثالثًا : الوعاء الذي تشكّلت ضمنه هذه الصور، ونقصد المصادر الأجنبية والمحلية.

فتصرّفات الدايات حكمتها إضافة إلى الخصائص الشخصية لكل داي، النظام الذي انتموا إليه منذ أن كانوا يولداشا، وحتى اعتلوا رأس السلطة في الإيالة. نظام حدّد طموحات السكان المحليين بالنسبة للوظائف السامية، وشكّل نخبة سياسية وعسكرية متميزة عن السكان، مثّل الداي فيها صورة السلطان وصورة الانكشاري النموذجي. فقد كان للصورة التي مثّلها هذا النظام في ذهن كل فئة من الكتّاب (المحليين، الأجانب) تأثيرًا مباشرًا على الصورة التي برزت في كتاباتهم، سواء بشكل إيجابي أو سلبي.

فما هي الصور التي استحدثها عن الدايات من مختلف المصادر ؟ بالنسبة للمصادر المحلية فقد عرفت تقريبا وبشكل كبير عن وضع سير الدايات. وحتى لا نكرّر الأسباب التي ذكرناها لهذا الموقف سنضيف سببًا آخرًا. وهو عدم رغبة الكتّاب المحليين التورّط مع السلطة الرسمية. وهذا

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كان تركيزهم بشكل أكبر عند التطرّق للجانب السياسي، على الأحداث أو الأعمال، دون الانشغال بشخص الحاكم (الداي)، وهم في أكثر الأحيان لم يظهروا شعورهم اتجاهه، إلا إذا كان شعورًا إيجابيًا، هذا الشعور الإيجابي تولّد في الأغلب عن "الأعمال الجهادية" للداي. لكن عمومًا فصورة الدايات في هذه المصادر إيجابية ومدعّمة لحكمهم، انطلاقا من تبنيها لفكرة عدم جواز الخروج عن الحاكم، وهذا لا يعني عدم وجود استثناءات، ظهرت فيها صورة بعض الدايات بشكل سلبي. وهكذا برزت صورة غامضة عن الدايات بسبب ندرة المعلومات، ولكنها تعطي انطباعًا يتراوح بين الإيجابي والمبهم.

أمّا المصادر الأجنبية فكانت صور الدايات فيها أوضح، فرغم أنّ المعلومات حول الدايات قليلة، لكن الانطباعات بخصوصهم كثيرة، وما لاحظناه أنّ هذه الانطباعات التّي أدّت إلى تشكّل هذه الصور، أثّر فيها عاملان أساسيان، أولا : المصالح بين الطرفين (الدايات والكتاب) وثانيًا : الاختلاف في الذهنيات بين هذين الطرفين. فكل من جاء إلى الإيالة وأبدى رأيه في الداي، حكم رأيه أو انطباعه المصلحة التّي جاء لقضائها، وهذا تبعًا لطبيعة القادمين أنفسهم (رحالة، قناصل، مفتدي أسرى، أسرى، ...)، كما أنّ الصور التي استقرءناها من هذه الكتابات، تؤكّد على وجود اختلاف في أسلوب التفكير بين الدايات والوافدين الأوروبيين، هذا الاختلاف تطوّر إلى عداء[1] ورفض للآخر (الداي)، وبرز هذا جليًا في دعوات القرن التاسع عشر لإفناء حكومة الداي. كما دلّل على وجود هذا العداء أيضًا طغيان الصور السلبية والمتناقضة على المشهد العام، بينما بقيت الصورة الإيجابية هي الاستثناء الذي يؤكّد القاعدة.

وما ميّز صور الدايات في هذه الكتابات هو الثبات والجمود والتكرار (داي دموي، جشع، مجنون ...)، فرغم طول فترة حكم الدايات، وتنوع راسمي هذه الصور، إلا أنّها لم تتطور ولم تتجدّد، حتّى أنّ محاولة كل من لوجي دوتاسي وبايصونال لتجاوز الأحكام المسبقة، التّي أنتجت الصور النمطية، كانت ضمن إطار جدل إيديولوجي أكثر من كونها محاولة مبنية على المعرفة، وثبات هذه الصور دليل على تشوهها.

صاحب ثبات هذه الصور، اختلاف في دوافع تشكّلها، فبينما حكم العداء اتجاه الدايات

---

(1) رغم انتقادنا للتفسير الديني للعداء، لكن هذا لا ينفي أنّ التمايز الديني كان إطارا لكل الاختلافات في تلك

في البدايه الخوف والصراع، تطوّر فيما بعد إلى عداء ممزوج بالتعالي والازدراء والعنصرية، وهذا لتبرير التوسع الاستعماري.

والملاحظ أن بعض آليات تشكّل صور الدايات، ساهمت في تولّد الأحكام المسبقة، التي نتجت عنها الصور النمطية، مثل التصورات المباشرة التي لا تقوم على المعرفة، والتي كثيرًا ما تحكمها الظرفية. كما أنّ صور الدايات تشكّلت عبر عملية تنميط، تقوم على التصنيف والتعميم، ولهذا بدت صور الدايات بسيطة، حيث ظهرت بالأبيض والأسود. هذا وقد راعى الكتاب الأوروبيون في مؤلفاتهم رضى القارئ، حيث كان لزاما عليهم استخدام الحكايات المرعبة والمنتظرة.

ومن هنا نتساءل هل كانت هناك استراتيجية تعمّدت وضع هذه الصور، أم أنّ آليات تشكّلها هي التي أدّت إلى هذه النتيجة (صور كاريكاتورية ومشوهة ونمطية) ؟ حيث أنّ النصوص الأجنبية كانت أكثر إعادة لإنتاج القوالب وتثبيتًا للأحكام المسبقة. إنّ ما يجب قوله بهذا الخصوص أنّه علينا أن نحترس من النظرة الغائية، بأنّ كتاب القرن 17 و 18 كانوا يعلمون بأنّ هذه المناطق سوف تصبح مستعمرات أوروبية، ولهذا مهدوا للأمر بكتاباتهم، على عكس دعوات كتاب القرن 19 التي تدل على نضج الفكر الاستعماري، بسبب التطوّر الاقتصادي في أوروبا، وبهذا فإنّ صورة الدايات تأثرت بالتطورات الحاصلة في أوروبا.

لكن انتقادنا لهذه الصور والآليات التي تشكّلت وفقها، لا يعني أنّها لا تملك أسسًا في الواقع، فمهما كانت هذه الصور مغالية في درجة السلبية، فإنّها لا تخلو من الحقيقة، وفي الوقت نفسه فإنّ صور الدايات ليست هي واقع الدايات، لأنّ الصورة وفي كل الأحوال ليست هي الواقع.

وفي الأخير فإنّ أهمية الصور تكمن في توظيفها، فهذه الصور عن الدايات كانت مبرّرًا لدعوات القرن 19 للقضاء على حكومة الدايات، ثم استخدمت فيما بعد لتبرير الاحتلال الفرنسي للإيالة، وقبل هذا استخدمها مفتدو الأسرى في خدمة قضيتهم. ومن ثمّ فهذا النوع من الدراسة يُفيد في توعية الدارسين لمنطلق الكتابات التي يستندون عليها كمصادر، وفي صقل ملكة النقد لدى الباحثين.

الملحق الأول: رسالة من الداي علي باشا (1754-1766م) إلى محمد باي تونس

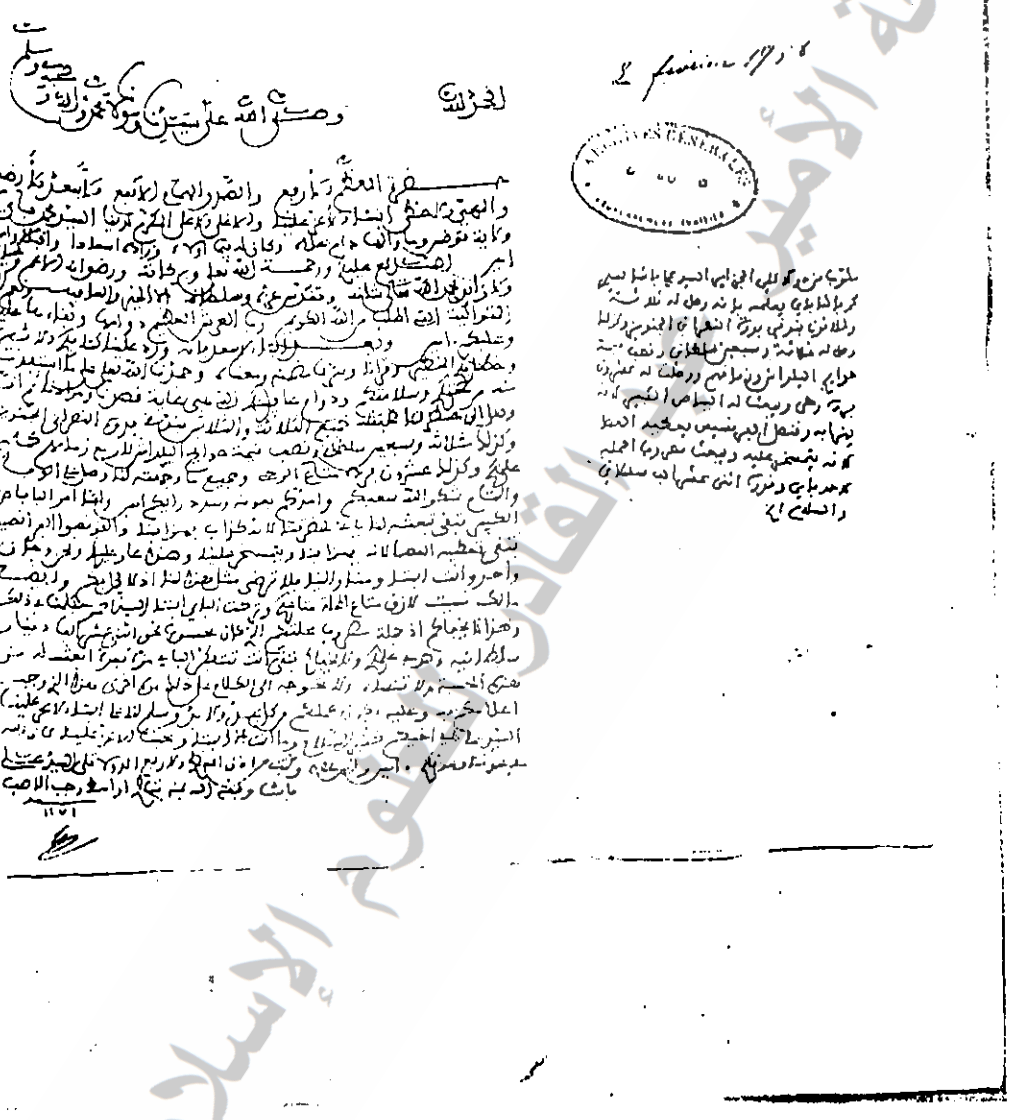

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم.

حضرة المعظم الأرفع والصدر الهمام الانفع الاسعد الأرضى والمرعي الاحضى ابننا والأعز علينا والاغلى الاعلى المكرم لدينا السيد محمد باي ولاية تونس وما والها دام علاه وكان له فيما اولاه وزاده اسعادا واقبالا و ... امين السلام عليكم ورحمه الله تعالى وبركاته ورضوانه الاعم وتحيات ولا زايد بحمد الله تعالى شانه وتقدس عزه وسلطانه الا الخير والعافية ونعم الله المتوالية التي اطلب من الله الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها علينا وعليكم. امين وبعد ابننا الاسعد فانه ورد علينا كتابكم الاثير وخطابكم الخطير وقراناه شرف مضمنه ومعناه وحمدت الله تعالى على ما استفدت منه من صحتكم وسلامتكم ودوام عافيتكم التي هي غاية قصدنا ومرادنا ثم انه وصل الى حضرتنا صحبته جميع الثلاثة والثلاثين بندقى ... النصراني الجنويني وكذلك ثلاثة وسبعين سلطاني ونصف قيمة حوايج اليلداش لار مع زمامهم كما في علمكم وكذلك عشرون فردة متاع الرحى وجميع ما وجهته لنا وصل على الوفاء والتمام شكر الله سعيكم وامدكم بعونه وسدد رايكم امين واما امر الباباص الكبير تبقى تبعثه لنا ياتي لحضرتنا لانه كذاب يهزا بنا والقونصوا الفرنصيص تبقى تعطيه العصا لانه يهزا بنا ويتمسخر علينا وهذا عار عليكم ونحن وجاق واحد وانت ابننا ومنا والينا فلا ترضى مثل هذا لنا اذ لا يجمل بكم وايضا مالك نسيت الازق متاع المحلة متاعكم وتركت الباي ابننا السيد احمد يكلمنا في ذلك وهذا لا يخفاكم اذ جملة مصروف محلتكم الذي كان محسوب نحو اثني عشر الف دينار سلطانية وهو في علمكم ولا يخفاكم تبقى انت تتفكر الباي ... ابعث له من هذه الحسبة ولا تنساه ولا تحوجه إلى الكلام على ذلك مرة اخرى هذا الذي وجب اعلامكم به وعليه يكون عملكم من كل بد ولابد وسلم لنا على ابننا الاعز علينا السيد علي باي اخيكم كثير السلام وما انت الا ابننا ومحبنا الاعز علينا كان الله في عوننا وعونكم. امين والسلام وكتب عن اذن المعظم الارفع الدولاتلي السيد علي باشا وفقه الله بمنه تعالى اواسط رجب الاصب سنة ١١٧١.

الملحق الثاني: رسالة من حسين باشا (1818–1830م) إلى محمود باشا تونس.

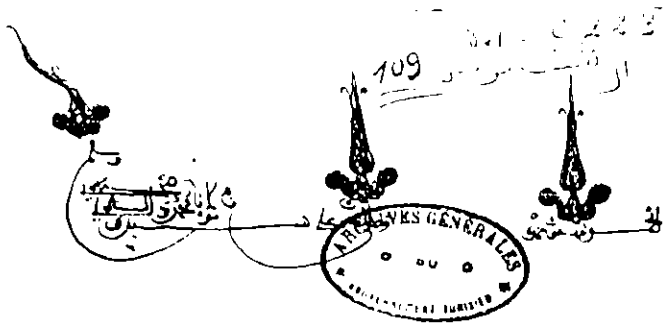

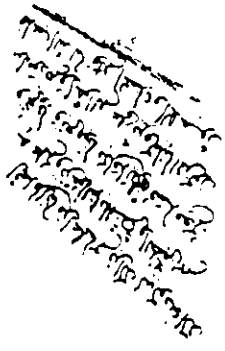

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم.

المقام الذي له المكارم الراضية ∴ والجلالة الراقية ∴ والمكانة العالية ∴ والأعمال الصالحة الباقية ∴ مقام المعظم الأجل ∴ الزكي الافضل ∴ الخير الأشمل ∴ المرعي المبجل ∴ اخينا ومحبنا وصديقنا ∴ السيد محمود باشا محروسة تونس ادام الله له الهنا والعافية ∴ بجاه المصطفى خير الخلق والبرية ∴ سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية ∴ سلام تام ∴ عنبر ثم الختام ∴ ... عن ثغر بسّام ∴ مقرونا ... ونعم جسام ∴ يهدي الى ذلك المقام الكريم الماضي الحسام ∴ والقدر الرفيع السلام ∴ ما ..... ∴ وابتسمت ثغور الاباطح عن ازهار الكمام ∴ اما بعد حمد الله ذي الجلال والاكرام ∴ على ما اولانا من خير ... والانعام ∴ والصلاة والسلام على خير الأنام ∴ ونبراس الظلام ∴ وبدر التمام ∴ ومن هو للرسل ختام ∴ سيدنا محمد وعلى اله واصحابه البررة الاعلام ∴ فإن الموجب أولا لتسطير هذا الكتاب ∴ و ..... إلى ذلك المقام والجناب ∴ السؤال عنكم وعن المرضية أحوالكم ∴ جعلكم الله بخير وعافية في جميع أوقاتكم ∴ وادام لنا ولكم الاسْعاد ∴ وبلغنا جميعا في الدارين غاية المراد ∴ بجاه المصطفى خير العباد ∴ وثانيا فقد لا يخفاكم ∴ ادام الله عزكم وعلاكم ∴ اعانكم على ما قلدكم واولاكم ∴ وزين خير الزهى بحلاكم بانّ اعداء الله ورسوله طايفة النصارى الانجليز دمّرهم الله تعالى واهلكهم ∴ وشتت شملهم ∴ وفرّق جمعهم قد تحققت لنا الكيرة والعداوة معهم وهّن الله تعالى كيدهم ∴ وجعلهم فيئا للمسلمين ∴ ونفلا للمؤمنين ∴ واعاننا عليهم مولانا خير الناصرين في كل وقت وحين ∴ بجاه سيد الأولين والاخرين ∴ وها نحن من اعلمناكم بذلك لتكونوا على بصيرة جميعا هنالك ∴ لاننا حال واحد وامر متحد واخوان مؤمنون ومسلمون وعلى الله تعالى متوكلون وبه على قتالهم مستعينون فهذا ... منكم اليكم ∴ ثم المراد منكم والموكل به منا على حضرتكم ان كل ما يطرق مسامعكم من امورهم واحوالهم وحركاتهم وسكونهم وكافة اشيائهم وشؤنهم ∴ فاعلموا بجميعها وكيلنا السيد محمود بن امين السكة وعرفوه بذلك ∴ فهو يخبرنا ويعلمنا عن ما عرف بكل ما هنالك ∴ سلك الله بالجميع احسن الطرق والمسالك وارشدنا واياكم إلى طريق الهدى والصواب ∴ اليه المرجع والمآب لا رب غيره ولا مبعود سواه ولا حول ولا قوة الا بالله ∴ العلي العظيم ∴ الرؤف الرحيم وثم السلام التام في البدء والختام وكتب عن اذن المعظم الارفع الهمام الانفع مولانا الدولاتلي السيد حسين باشا محروسة بلاد الجزآير امنها الله تعالى من سوء الدوآير ونصره الله تعالى واعطاه الله من الخيرات والمسرات ما يحب ويشا. آمين تاريخ ... شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٤.

الملحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق الثالث: رسالة من الداي حسين باشا (1818–1830) إلى محمود باشا تونس

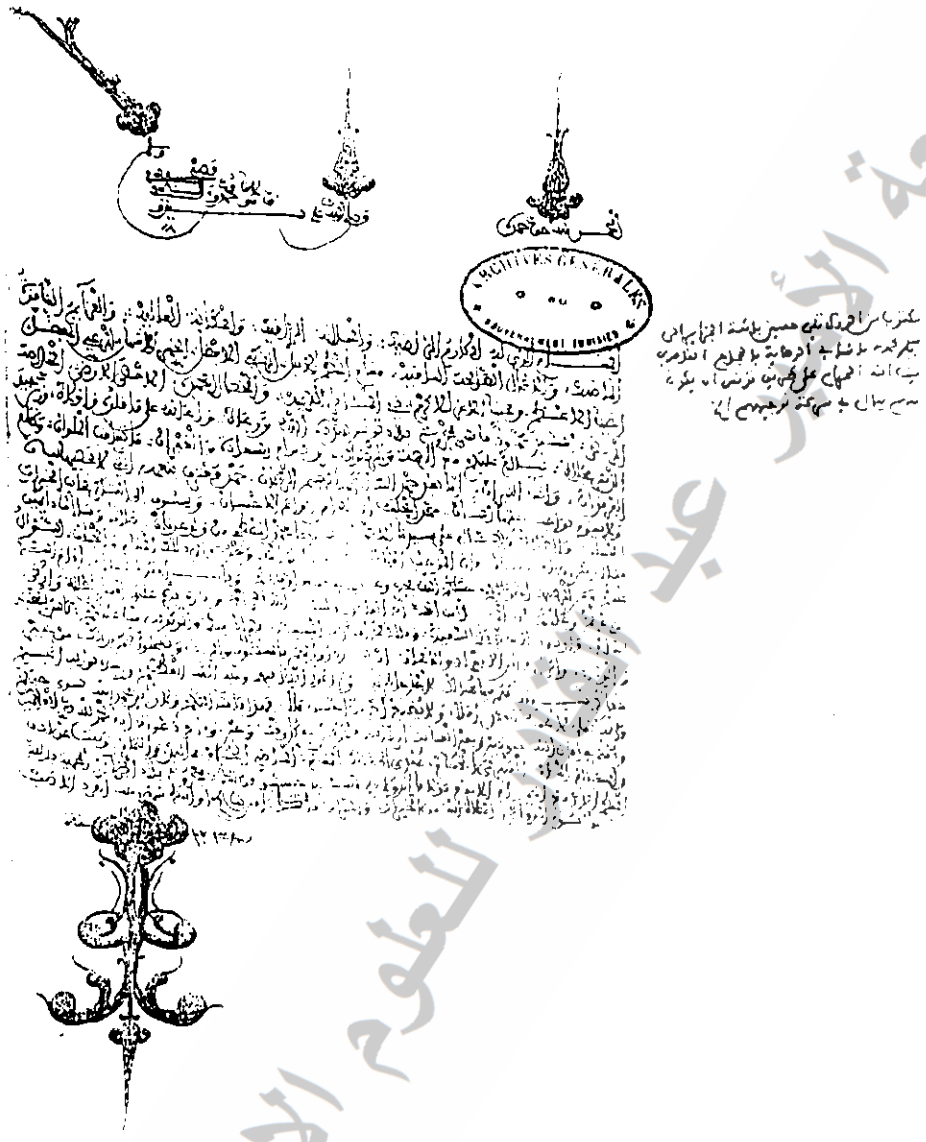

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم.

المقام الذي له المكارم الراضية ∴ والجلالة الراقية ∴ والمكانة العالية ∴ والعزآيم النافذة الماضية والأعمال الصالحة الباقية ∴ مقام المعظم الاجل ∴ الزكي الافضل ∴ الخير الاشمل ∴ المرعي المفضل اخينا الاعظم ∴ ومحبنا الاعز الاكرم ∴ ذي المآثر الكريمة ∴ والخصال الحميدة الاحضى الارضى ∴ الخلاصة المرتضى ∴ السيد محمود باشا محروسة بلاد تونس سدّده الله ورعاه ∴ واعانه على ما قلده واولاه ∴ وزين خير الزهى محلاه ∴ سلام عليكم مع الرحمة والرضوان ∴ ودوام السعادة والغفران ∴ ما تعاقب الملوان ∴ وطلع الفرقدان ∴ واضآ النيران ∴ اما بعد حمدًا لله الكريم الرحيم الرحمن ∴ حمد معترف بنعمه التي لا يحصيها لسان ولا يقوم بواجب حقها انسان ∴ حمْدا يجلب الى الحامد الداعي الاحسان ∴ ويسوق الى الشاكر مجايب الخيرات الحسان ∴ والصلاة والسلام على سيد الاكوان ∴ سيدنا محمد المصطفى من ولد عدنان ∴ صلاتا وسلامًا دائمين متلازمين الى يوم الامتنان ∴ فإنّ الموجب اولا لتسطير هذا الكتاب ∴ وتحريره إلى ذلك المقام والجناب ∴ السؤال عنكم وعن المرضية احوالكم ∴ حماكم الله بخيره وعافيته في جميع اوقاتكم ∴ وثانيًا فقد لا يخفاكم ∴ ادام الله تعالى عزكم وعلاكم ∴ ان الملأ من الحجاج القاصدين لبيت الله الحرام ∴ وزيارة قبره عليه افضل الصلاة وازكى السلام ∴ واردون إلى حضرتكم السعيدة ∴ وبلادكم المباركه المنيعة ∴ فالمرادُ منكم والموكل به منا عليكم ∴ تاكيد المحبة والمودة ∴ وابراز خزآين..... ∴ ان تبادروا لهم بالمقصود والمراد ∴ وتعجلوا لهم بذلك ∴ من غير جعل ..... لهم فيما هنالك لاجل خاطرنا ∴ وتراعُو ايضا فيهم وجه الله العظيم ∴ ورجاء ثوابه الجسيم فانه تعالى لا يخيب لعبد املا ولا يُضيع اجر من احسن عملا ∴ فهذا ... اليكم ولا زايد بحمد الله سوى حبكم ودمتم في امان الله محفوظين وبعين العناية الربانية ملحوظين في كل وقت وحين ∴ واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام التام ∴ ... ثم الختام ∴ يهدى الى ذالك المقام ∴ الماضي الحسام ∴ في البدْء والتمام ∴ وكتب عن اذن المعظم الارفع الهمام الانفع مولانا الدولاتلي السيد حسين باشا ∴ محروسة بلاد الجزآير المحمية بالله تعالى من سوء الدوآير ∴ اعطاه الله من الخيرات والمسرات ما يشا. امين بتاريخ اواسط شهر رجب الفرد الاصب سنة ١٢٣٨.

الملحق الرابع: رسالة من محمد جاقر باي قسنطينة (1814–1817م) إلى الداي عمر باشا (1815–1817م)

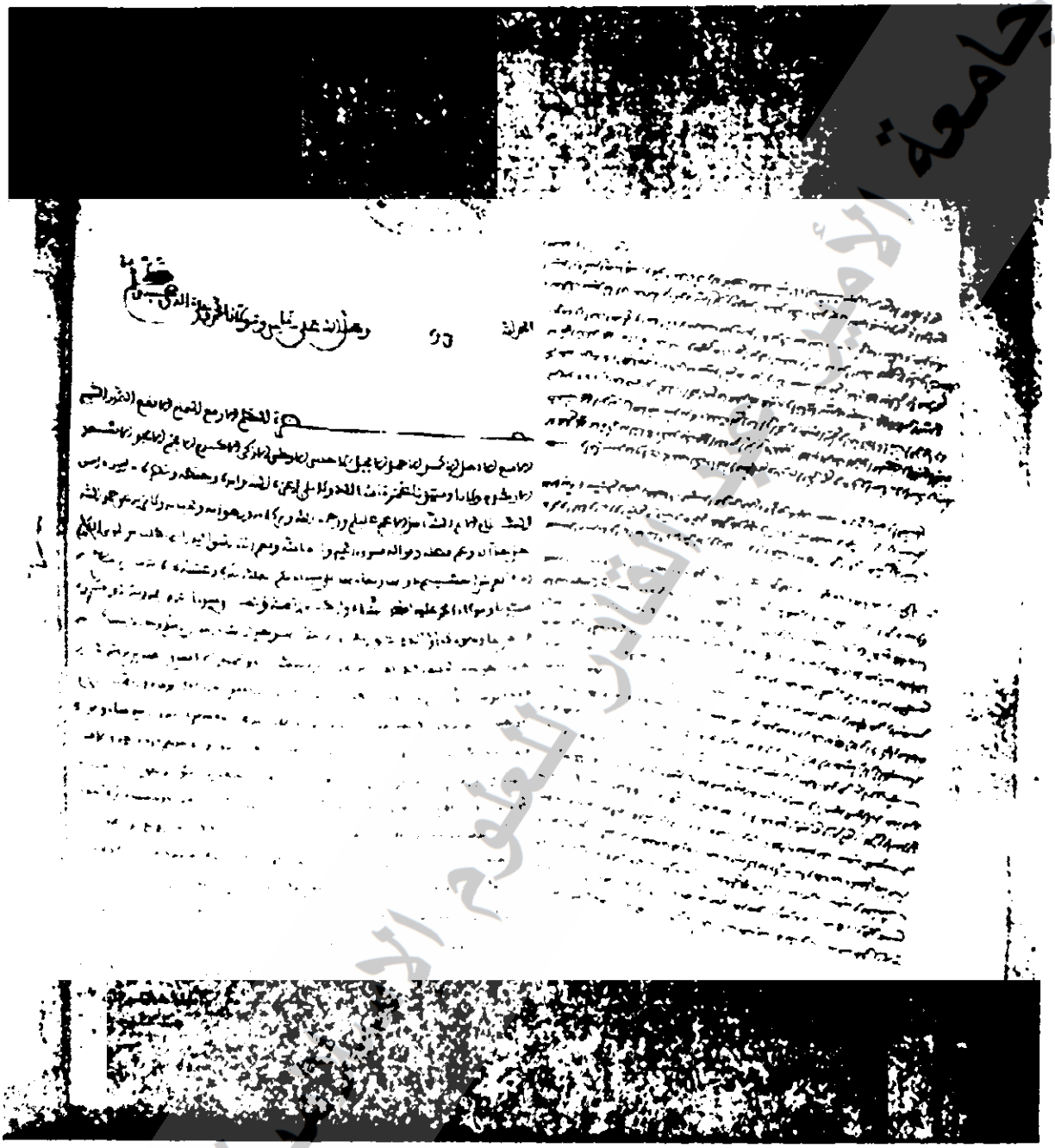

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

حضرة المعظم الهمام الأنفع الصدر الشهير الامنع الأفضل الاكمل الاجمل الابجل الاحضى الارضى الازكى الاكرم الافخم الامجد الاسعد الارشد مولانا وسيدنا عمر باشا الدولاتي اعزه الله وايده وحفظه ونصره امين امين السلام الاتم الشامل الاعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ولا مزيد عن حمد الله جلّ جلاله وعم فضله ونواله سوى الخير والعافية ونعم الله المتوالية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا اعزك الله ونصرك وايدك وابقى لنا وجودك أنّ الذي يكون في شريف علمك هو خيران شاء الله ان ابنكم وخديمكم عثمان خوجة الخليفة قد انفصل من عندنا من قسنطينة يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر التاريخ ومعه لزمة الدار الكريمة وما يتبعها من عادات وقادات وبقر وجلب على الوفاء والتمام على حسب العادة والطريقة المباركة المعتادة جعلها الله عادة مستمرة الدوام مع بقاء وجودك ودوام سلطانك وهو متوجه إلى حضرتك العلية جعل الله وروده عليكم ورود خير وعافية وهناء وسرور دائما هذا سيدي وانني لما اتاني امرك السعيد بان يكون دخول الخليفة لمحروسة الجزائر يوم السابع من رجب ضبطنا احوالنا وعزمنا بقضاء حوايجنا ووجهنا لكم في اليوم المذكور ولعله يكون دخوله للجزائر المحمية اليوم الثامن من رجب أو التاسع لان السابع على هذا اظنه بالجمعة ومعذرة اليك سيدي فإن ذلك نهاية ما في جهدنا والله يمد لنا في حياتك وينصرك ويحفظك بمنه تعالى والمطلوب منه سبحانه وتعالى ان يبقي لنا وجودك ويخلد ملكك وسلطانك وينصر السابحاق السعيد ويُعلي بفضله وكرمه كلمة التوحيد إنّه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ودمت سيدنا في امان الله تعالى وحفظه ورعايته وكلاءته وكرامته ولطفه. امين. امين والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل قدمكم وخادم دولتكم محمد جاقر باي وفقه الله. وذلك واخر ٢٥ جمادي الثانية سنة ١٢٣٢.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق الخامس: رسالة من الحاج أحمد باي قسنطينة (1826–1837م) إلى الداي حسين باشا (1818–1830م).

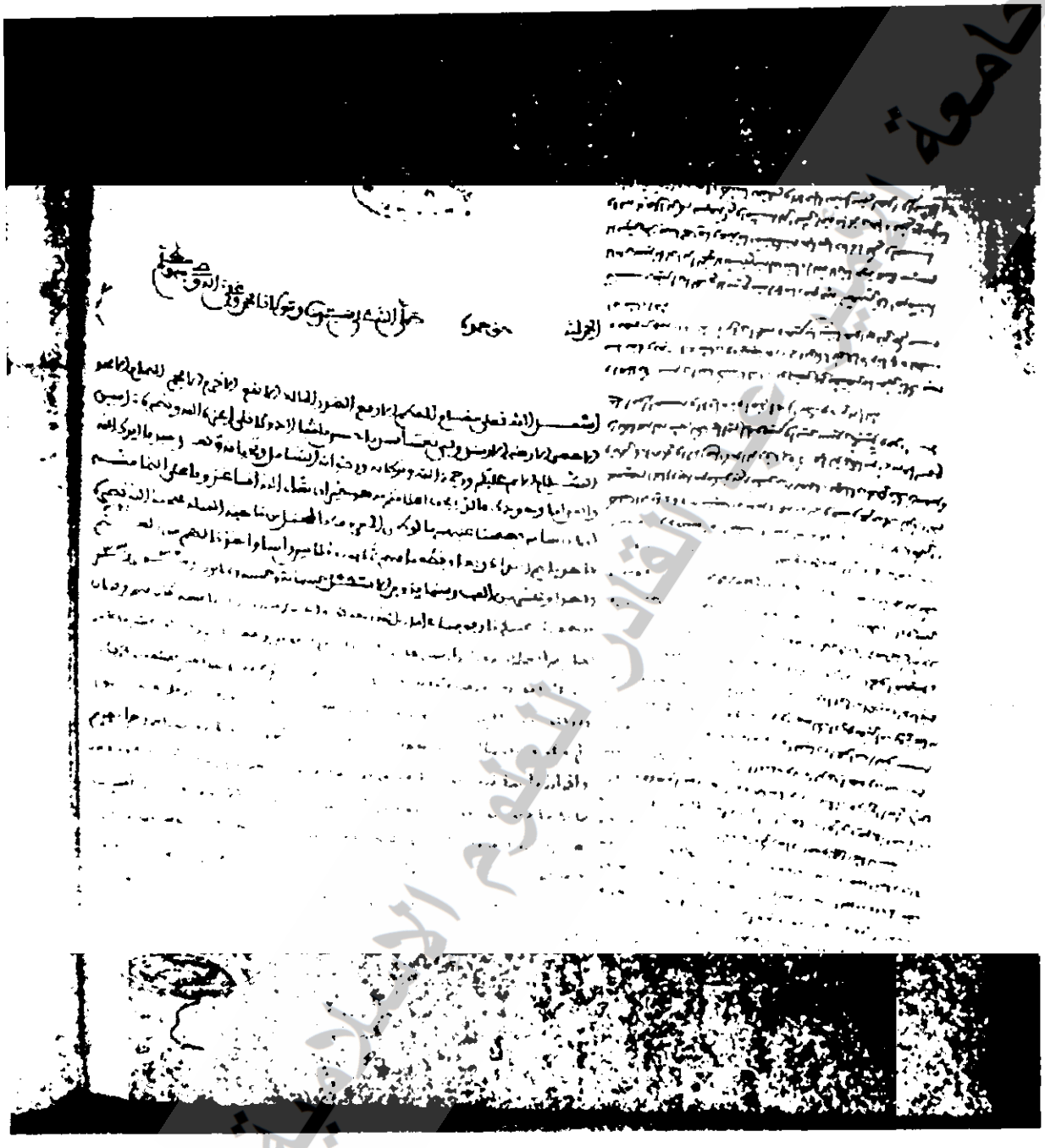

الحمد لله حق حمده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اسعد الله تعالى مقام المعظم الارفع الصدر الملاذ الانفع الاكرم الانجم الهمام الابجد الاحضى الارضى الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي اعزه الله ونصره امين السلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا ايدك الله وابقى لنا وجودك فالذي يجب اعلامكم به هو خير ان شاء الله اننا غزونا على النمامشة اولاد رشاش فصبحنا عليهم بالوطن المعروف بالمحمل من ناحية القبله فمنحنا الله نصره فأخذناهم اخذا دريعا وقطعنا منهم ثمانية وثلاثين راسا واخذنا لهم من الغنم واحدا وعشرين الف وستمايه ومن الابل خمسمايه وخمسة وثمانون و ٣٥ هوير و ٣٣ بقر ورجعنا وعسكرنا وقومنا في امان الله وحفظه واعلم سيدي ان النماشمة كان منهم فرقتان يقال لهم العلاونة والبرارشه جاؤا لنا عام اول وخدموا وجعلنا لهم قايدا واعطوا ما عليهم وهم في الامان والعافية واما هذه الفرقة اولاد رناش عصاة منافقين يقطعون الطرقات ويأكلون اموال الناس ظلما ولهم مرة لم يعطوا شيئا من المطالب وبعثنا لهم فلم يقبلوا ولم يعطوا فامكننا الله منهم بسعدك وساحاقك المنصور فأخذناهم وقتلناهم زجرًا لغيرهم والحمد لله والشكر لله ونسئله سبحانه وتعالى أن يمد لنا في حياتك وعافيتك ونصرك وسلامتك فإنك ما دمت لنا بقيد الحياة جعلني الله فداك ما عندنا الا جميع الخيرات وتمام المسرات هذا سيدنا وقد بلغنا جوابك السعيد ومعه القفطان المجيد وحمدنا الله على سلامة ذاتك جعل الله عيدكم مباركا مبرورًا هناءً وعافية وسرورًا وهكذا كل عام يمر عليكم وانتم طيبون .امنون فرحون مستبشرون .امين والسلام من الفقير لربه سبحانه المتوكل عليه المفوض اموره اليه عبدكم وخادمكم ومقبل الكريمتين يدكم وقدمكم الحاج احمد باي وفقه الله بمنه وأمده بعونه. اوائل ذي الحجة سنة ١٢٤٣.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق السادس: رسالة من الحاج أحمد باي قسنطينة (1826–1837م) إلى الداي حسين باشا (1818–1830م).

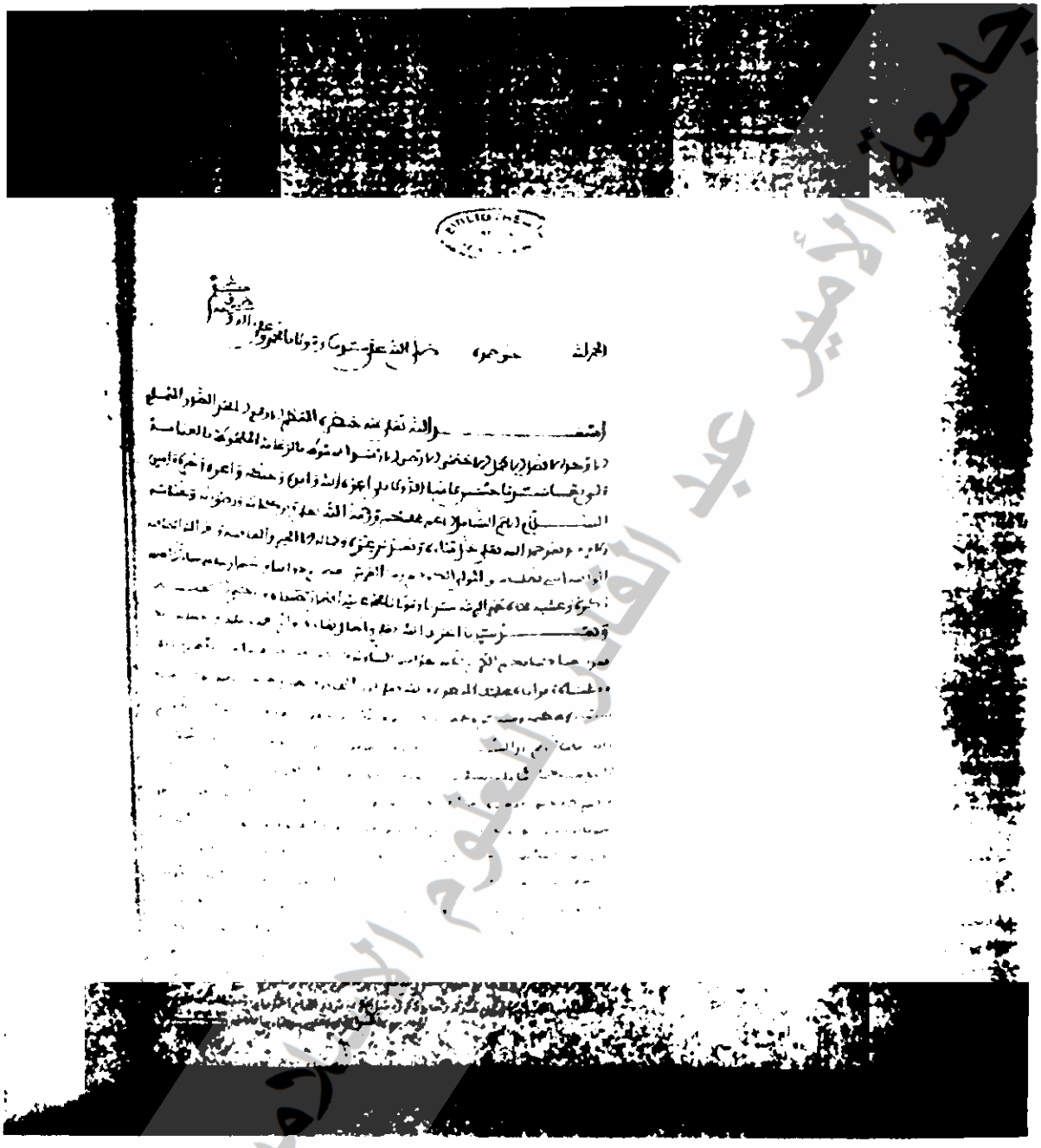

الحمد لله حق حمده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اسعد الله تعالى بمنه حضرة المعظم الارفع الامجد الصدر الهمام الاوحد الافضل الاكمل الاحضى الارضى الارشد المحفوظ بالرعاية الملحوظ بالعناية ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي اعزه الله وايده وحفظه واعزه ونصره. امين السلام الاتم الشامل الاعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته ولانزيد بعد حمد الله تعالى جل ثناءه وتقدّس عزه وكماله الا الخير والعافية ونعم الله الصافية الوافية التي نطلب من الولي الكريم رب العرش العظيم دوامها واستمرارها على سيادتكم العالية بكرة وعشية بجاه خير البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا اعزك الله تعالى واطال بقاءك واتم نعمته عليك واحسانه اليك فقد بلغنا كتابكم الكريم صحبة خدّامكم الشاوش والاصباحية فتلقيناه بالتعظيم والاجلال وقبّلناه وقراناه بمحلتك المنصورة بالله تعالى لدى الخاص والعام خبرتنا فيه ايدك الله ببشارة عظيمة ومسرّة عميمة بزيادة المولود المبارك لمولانا السلطان الاعظم مالك رقاب الامم لازالت ايادي الله محفوفة بمقامه والنصر والظفر ملازمان للعظيم جنابه وان يجعله رحمة شاملة للمسلمين وسيفا قاطعا لرقاب الكافرين وقد حصل لنا فرح وسرور وانشراح وحبور فلعبت الخيل في ميدان السباق ورمينا البارود وضربنا الطبول وكان ذلك اليوم عندنا يوم عيد وموسم جديد استبشر به النّاس وفرح اولادك العسكر بزيادة الصايمة وكتبنا لأهل بلدك قسنطينة بالبشارة المذكورة وفرقنا مكاتبك السعيدة في الحين وقضى كل مكتوب لاهله والنوبة المذكورة فيه ولله الحمد على ذلك وله مزيد الشكر على ما هنالك والمطلوب من المولى الكريم رب العرش العظيم ان ينصر مولانا السلطان الاعظم ويؤيده ويرفع بسيفه كلمة الاخلاص وان يذل اهل الكفر ويمكنه من رقابهم ولات حين مناص كما نطلب من جل وعلا ان يبقى لنا وجودك ويحفظ ذاتك الزكية ويخلد ملكك ويويدك بالعز والنصر ويمدك بالفتح والسعادة والبركة والظفر انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .امين .امين والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادمكم ومقبل الكريمة قدمكم الحاج احمد باتي وفقه الله بمنه امين وذلك يوم الاتنين السابع وعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٤٣.

الملحق السابع : رسالة من سيدي حسن داي الجزائر (1791– 1798م) إلى ملك فرنسا لويس 16.

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

A LOUIS XVI.

- **Alger, le 15 juillet** 1791.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger la bien gardée.

Au plus grand des Souverains chrétiens, à l'élite des chefs des nations qui professent la religion du Messie, notre très grand et très fidèle ami, l'auguste Empereur de France. – Que Dieu couronne de bénédictions sa glorieuse carrière, et dirige ses pas dans le chemin de la justice et de la droiture ! – Salut et prière !

Nous offrons à Votre majesté Impériale nos vœux les plus ardents et les plus étendus pour sa conservation et sa félicité. Puisse-t-elle jouir d'une santé inaltérable et d'une satisfaction sans bornes ! Ainsi soit-il ! par Jésus, fils de Marie.

Nous avons l'honneur de notifier à Votre Majesté Impériale que notre illustre prédécesseur Mohammed, Dey et Gouverneur de notre victorieuse Régence d'Alger, en exécution des décrets de la providence qui a condamné tout être vivant à goûter le calice de la mort, a quitté en dernier lieu cette vie périssable pour passer à l'éternité, et que nous Sidi Hassan, ci-devant Khaznadji, avons immédiatement succédé à ce Prince, – dont le tombeau soit sanctifié ! –

Nous devons, suivant l'usage, envoyer à la Sublime Porte des présents d'une grande valeur à l'occasion de notre heureux avènement, et nous avons à faire à Votre Majesté une demande à cet effet. Nous la prions de destiner à ce voyage le Capitaine Doumergue, qui se trouve actuellement en France, et de vouloir bien lui faire donner le vaisseau que ce navigateur désignera et le lui laisser armer comme il l'entendra. En un mot nous demandons à Votre Majesté Impériale, au nom de l'amitié qui nous unit, qu'il soit consigné au dit Capitaine un vaisseau grand et neuf, pourvu de toutes les munitions nécessaires. C'est ainsi que nous en sommes convenu avec le dit navigateur. La célérité qui sera mise à cette expédition ajoutera un grand prix au bienfait et de nouveaux motifs à notre reconnaissance. Nous osons donc espérer qu'à la réception de cette lettre, votre Majesté Impériale donnera les ordres les plus précis pour l'armement et le départ du vaisseau indiqué.

Que Dieu lui accorde la continuation d'une bonne santé, et nous fasse tous persévérer dans la droite voie, sans permettre que nous nous en écartions ! Ainsi soit-il !

Écrit à Alger, le centre de la guerre contre les infidèles, le 14 de la lune de Zilcadé, l'an de l'hégire 1205, ou le 15 juillet 1791.

– المصدر : E.Plantet, Op. Cit., t.2, p p. 406-408.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سيـــدي حســـن، داي الجـــزائر

إلـــى لـــويس 16

الجـــزائر، 15 جويليـــة 1791م.

الخـــتم

حســـن

داي وحـــاكم الجزائـــر المحروســـة.

إلى أعظم ملوك المسيحيين، إلى خيرة قادة الأمم التي تجهر بدين يسوع المسيح، صديقنا الكبير والوفي إمبراطور فرنسا المعظّم. - ليتوج الله دربه المجيد بالبركات، وليرشده إلى سبيل العدل والاستقامة ! - تحية ودعاء !

نقدم لجلالتك الإمبراطورية أمانينا الحارة لحفظك وسعادتك. لتتمتع بعافية دائمة وسرور بلا حدود! امين ! بقدرة يسوع، ابن مريم.

لنا الشرف بأن نعلم جلالتك الإمبراطورية بأنّ سلفنا الشهير محمد، داي وحاكم إيالتنا المنصورة الجزائر، وتنفيذًا لأوامر العناية الإلاهية التي حكمت على كل الكائنات الحية بتجرّع كأس الموت، قد غادر في آخر المطاف هذه الحياة الفانية إلى دار الخلود، وبأنّنا نحن سيدِي حسن، الخزناجي سابقًا، خلفنا مباشرة هذا الأمير، - فليقدّس قبره !-

ينبغي علينا، حسب العادة، أن نرسل إلى الباب العالي هدايا ثمينة بمناسبة توليتنا السعيدة، ولأجل هذا نتقدّم لجلالتك بطلب. نرجوك أن ترسل في هذه الرحلة القبطان دومارڤ (Doumergue)، الذي يتواجد حاليا بفرنسا، وأن تعطيه السفينة التي يختارها وأن تسمح له بأن يسلّحها كما يرغب. باختصار نطلب من جلالتك الإمبراطورية، باسم الصداقة التي تجمعنا، بأن تودع لدى القبطان المذكور سفينة كبيرة وجديدة، مزودة بكل المؤونة اللازمة. هكذا اتفقنا مع القبطان المذكور. ستضيف السرعة التي ستتم بها هذه البعثة، باعثا جديدًا لامتناننا. نتجرّأ إذًا بأن نأمل بأنّه عند تلقيكم هذه الرسالة، فإنّ جلالتك الإمبراطورية سيقدم الأوامر الأكثر تحديدًا، لتجهيز وسفر السفينة المذكورة.

فلينعم الله عليه بدوام الصحة الجيدة، ولندم جميعًا على الطريق المستقيم، ولا نضل عنه ! آمين !

كتب بالجزائر، مركز الجهاد ضد الكفار، في 14 ذي الحجة، 1205هـــ، أو 15 جويلية 1791م.

الملحق الثامن : رسالة من ملك فرنسا لويس 16 إلى الداي سيدي حسن (1791– 1798م).

LOUIS XVI.

A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

- Paris, le 16 septembre 1791.

Nous avons reçu, très illustre et magnifique Seigneur, avec une grande satisfaction la nouvelle de votre avènement à la dignité suprême de Dey d'Alger, et l'attention que vous avez eue de nous en informer vous-même nous a été infiniment agréable. Les rares qualités dont vous êtes orné et les sentiments d'attachement que vous montrez pour la nation française pouvaient seuls adoucir les regrets que nous a causés la perte de notre ancien ami, votre illustre prédécesseur. Votre empressement a ratifier les traités qui subsistent si heureusement entre la France et la Régence aurait suffi pour nous convaincre de la sincérité de vos désirs pour le maintien de la bonne harmonie, mais vous y avez ajouté de plus une marque de prédilection à laquelle nous attachons un grand prix, celles de donner la préférence à notre pavillon pour transporter à Constantinople l'Ambassadeur que vous envoyer à Sa Hautesse, afin d'obtenir son investiture. M.Vallière, notre chargé d'affaires auprès de vous que nous recommandons à vos bontés, très illustre et magnifique Seigneur, aura l'honneur de vous présenter cette lettre. Il a dû déjà vous prévenir que nous avions donné promptement les ordres nécessaires à cette expéditions. Nous nous en rapportons entièrement aux détails qui vous en seront faits par notre Ministre de la Marine. Vous y reconnaîtrez qu'ils sont absolument conformes à vos vœux. Les nôtres n'auront jamais d'autre objet que la conservation de la paix et de la bonne amitié, ainsi que la gloire et la prospérité de votre Régence, et la présente n'étant à autre fin, je prie Dieu, très illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial des Tuileries de Paris, le 16 septembre 1791.

Louis

المصدر : **E.Plantet, Op. Cit., t.2, p. 408, 409**

لـــويس 16

إلـــى سيـــدي حســـن، داي الجـــزائر

بـــاريس، 16 سبتمبـــر 1691م.

لقد تلقينا، أيها الأشهر والسيد العظيم، بارتياح كبير خبر توليكم رتبة داي الجزائر الرفيعة، ولقد كان لاهتمامكم بإخبارنا بأنفسكم الوقع الجميل في أنفسنا. إنّ الصفات النادرة التي تتمتعون بها ومشاعر الود التي تظهرونها اتجاه الأمّة الفرنسية تستطيع وحدها تخفيف الأسف الذي سبّبه لنا خسارة صديقنا القديم، سلفكم الشهير. إنّ تعجيلكم للمصادقة على المعاهدات التي دامت لحسن الحظ بين فرنسا والإيالة تكفي لإقناعنا بصدق رغبتكم في الإبقاء على الانسجام، لكنكم أضفتم زيادة على ذلك علامة تفضيل نعلق عليها أهمية كبيرة، ألا وهي إيثارك رايتنا لنقل السفير الذي ارسلتموه إلى عظمته في القسطنطينية، حتى تنالوا تأكيده على توليتكم. إنّ السيد فاليار، القائم بأعمالنا لديكم والذي كلفناه لدى سعادتكم، أيها الأشهر والسيد العظيم، سيكون له شرف تبليغكم هذه الرسالة. لقد أخطركم من قبل أنّنا أعطينا على الفور الأوامر اللازمة لهذه البعثة. وقد قدّمنا التفاصيل كاملة والتي سيخبركم بها وزيرنا للبحرية. وستقرّون أنّها مطابقة تماما لما أردتم. لن يكون لأتباعنا هدفًا سوى المحافظة على السلام والصداقة الجيدة، وكذلك مجد وازدهار إيالتكم، وليس لهذا أهدافًا أخرى، أسأل الله، أيها الأشهر والسيد العظيم، أن يحفظك.

كُتِب في قصرنا الإمبراطوري بباريس، في السادس عشر من سبتمبر عام 1791م.

لويـــس

قائمة المصادر والمراجع

❖ أولا : الوثـاق.

▪ الوثـائق غير المنشورة :

1 : - بأرشيف المكتبة الوطنية :

أ - الملف 1642، الرسائل رقم 3، 6، 7، 10، 14، 15، 18.

ب - قائمة لولاة الجزائر في العهد العثماني (مخطوط 1639).

2 / - بأرشيف ولايـة قسنطينـة :

- العلبة 223، الملف 384، الرسائل رقم 81، 93، 99، 101، 102، 106، 109 (حسب أرشيف تونس).

▪ الوثـائق المنشورة :

▪ باللغـة العربيـة :

1. بوعزيز (يحيى)، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780- 1798م)، د.ط، د.م.ج، الجزائر، 1993م.

2. قنان (جمال)، معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619- 1830م)، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

▪ باللغـة الفرنسيـة :

1. **Castries (Henry de)**, Les sources inédites de l'histoire du Maroc, 2ème série, T. 3, Gueuthner, Paris, 1927.

2. **Colin (G.)**, Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie, Ernest Leroux, Paris, 1901.

3. **Devoulx (A.)**, "Ahad Aman, texte turc", Traduit en Arabe par Mohammed ben Moustafa et reproduit en Français, par M.Devoulx fils, In. R.A., N. 4, An. 1859 – 60, p p. 211-219.

4. ..... , Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5. **Plantet (E.)**, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, T.1 et T.2, Bouslama, Tunis, 1981.

❖ ثـانيا : المصادر المطبوعة.

■ باللغـة العربيـة :

1. **ابن حمادوش الجزائري (عبد الرزاق)**، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تقديم وتحقيق وتعليق : أبو القاسم سعد الله، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

2. **أبي راس الناصر (محمد بن أحمد)**، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق : محمد غالم، ج.1، د.ط، منشورات CRASC، الجزائر، 2005م.

3. **الزهار (أحمد الشريف)**، مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1754-1830م، تقديم وتحقيق : أحمد توفيق المدني، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

4. **ابن سحنون الراشدي (أحمد بن محمد بن علي)**، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم : المهدي البوعبدلي، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973م.

5. **شالر (وليام)**، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم : إسماعيل العربي، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

6. **ابن أبي الضياف (أحمد)**، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، مج.1، ج. 2، د.ط، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1963م.

7. **ابن عثمان خوجة (حمدان)**، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

8. **كاتكارت**، مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلّق عليها وقدّم لها إسماعيل العربي، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

9. **المزاري (الآغا عودة)**، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة : يحي بوعزيز، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

10. **مكيافللي (نيقولو)**، الأمير، تعليق بنيتو موسوليني، مقدمة : كريستيان غابوس، تعريب : خيري حماد، تعقيب : فاروق سعد، ط.12، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985م.

11. ابن ميمون الجزائري (محمد)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.

12. الورثيلاني (الحسين بن محمد)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تقديم وتحقيق : محمد بن أبي شنب، ط.2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م.

■ باللغـــة الأجنبيـــة :

1. **Chaillou (L.)**, Textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII[e] siècle, Toulon, ?.

2. **Godefroy et d'autres**, État des royaumes de Barbarie, Tripoly, Tunis, et Alger, 1700, A.Rouen, ?.

3. **Morgan (J.)**, A voyage to Barbary, for the rédemption of captives, performed (in 1720) by the mathurin – trinitarian fathers, France, Comelin, Philemon de la Motte, and jos. Bernard, printed for charles Corbett, London, 1785.

4. **Pananti**, Narrative of a résidence in Algiers, With notes and illustrations by Edward Blaquiere, Esq. R.N. printed for Henry Colburn, London, 1818.

5. **Peyssonnel (J.A)**, Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, Présentation et notes de Lucette Valensi, La découverte, Paris, 1987.

6. **Shaw**, Voyage de Mons[R]. Shaw, M.D. dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant, T. 1, la Haie, ?, 1743.

7. **(L. de) Tassy**, Histoire du royaume d'Alger, Préface : Noël Laveau, André Noushi, Loysel, Paris, 1992.

❖ ثـالثا : المـراجع والدراسـات.

■ باللغـــة العربيـــة :

1. إلتو (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة : محمود علي عامر، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

2. بركات (مصطفى)، الألقاب والوظائف العثمانية، د.ط، دار الغريب، القاهرة، 2000م.

3. التميمي (عبد الجليل)، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تقديم روبار منتران، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972م.

4. الجويلي (محمد)، الزّعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدّس والمدنّس، د.ط. سراس للنشر، تونس، 1992م.

5. جيب (هاملتون) وبوير (هارولد)، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة : عبد المجيد القيسي، القسم الأوّل (I/I)، ط. 1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 1997م.

6. الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ط.7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

7. عبد الرحيم مصطفى (أحمد)، في أصول التاريخ العثماني، ط.2، دار الشروق، القاهرة، 1982م.

8. الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.

9. سبنسر (وليم)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم : عبد القادر زبادية، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

10. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (مقال زيارة الداي حسين باشا لباريس 1831م)، ج. 3، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

11. " " "، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1 وج. 2، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

12. سعيدوني (ناصر الدين)، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

13. " " "، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

14. فيلالي (مختار بن الطاهر)، رحلة الورثيلاني عرض ودراسة، د.ط، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، د.ت.

15. قشي (فاطمة الزهراء)، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، د.ط، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005م.

16. المدني (أحمد توفيق)، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791م)، د.ط. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

17. وولف (جون.ب)، الجزائر وأوربا 1500- 1830م، ترجمة وتعليق : أبو القاسم سعد الله، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م.

■ باللغـــة الفرنسيـــة :

1. **Baudicour (Louis de)**, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, Sagnier et Bray, libraires – Éditeurs, Paris, 1853.

2. **Boyer (P.)**, L'évolution de l'Algérie médiane (Ancien département d'Alger) de 1830 à 1956, Librairie d'Amérique et d'orient Adrien – Maisonneuve, Paris, 1960.

3. **Brahimi (Denise)**, Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVII^{ème} et XVIII^{ème} siècles, S.N.E.D., Alger, 1978.

4. **Dakhlia (J.)**, Le divan des rois, le politique et le religieux dans l'islam, Aubier, Paris, 1998.

5. **Fisher (Godfrey)**, Légende barbaresque, traduit et annoté par Farida Hellal, O.P.U., Alger, 2000.

6. **Gallissot (R.)**, Les accords d'Évian en conjoncture et en longue durée, Préface de D.Djerbal, Casbah éditions, Alger, 1997.

7. **Grammont (H.D. de)**, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), présentation de lemnouar Merouche, Bouchène, Paris, 2002.

8. **Haëdo (D. de)**, Histoire des rois d'Alger, Traduite et annotée par H.D. de Grammont, présentation de Jocelyne Dakhlia, Bouchèn, paris, 1998.

9. **Kaddache (M.)**, L'Algérie durant la période ottomane, O.P.U., Alger, 2002.

10. **Merouche (L.)**, Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane I. Monnaies, prix et revenus 1520-1830, Bouchène, Paris, 2002.

11. ....., Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane II. La course mythes et réalité, Bouchène, Paris, 2007.

12. **Péchot (L.)**, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Gossojo, imprimeur-éditeur, Alger, 1914.

13. **Roux (F.Charles)**, France et Afrique du nord avant 1830, les précurseurs de la conquête (1830 – 1930), collection du centenaire de l'Algérie, Archéologie et histoire, librairie Félix Alcan, Paris, 1930.

14. **Rozet (M.)**, Voyage dans la régence d'Alger, ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique, T. 3, Arthus Bertrand, libraire – éditeur, Paris,1833.

15. **Shuval (Tal)**, La ville d'Alger vers la fin du XVIII^{e} siècle population et cadre urbain, CNRS, Paris, 1998.

16. **Vayssettes (E.)**, Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1830, Présentation de Ouarda Siari-Tengour, Bouchène, Paris,2002.

❖ رابعا : المقالات والدوريات.

▪ باللغة العربية :

1. بالحميسي (مولاي)، "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1988م، ص ص. 101- 109.

2. " " ، "إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان"، مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ بجامعة قسنطينة، العدد الثاني، السنة 1986م، ص ص. 39 - 56.

3. التميمي (عبد الجليل)، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأوّل سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، جويلية / يوليو 1976م،ص ص. 116- 120.

4. سعد الله (أبو القاسم)، "نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائري"، مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1988، ص ص. 138- 149.

5. " " " ، "من أخبار شعبان داي الجزائر، 1695م"، مجلة التاريخ، عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 18، السنة 1985م، ص ص. 107- 123.

6. سعيدوني (ناصر)، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1988م، ص ص. 110-115.

7. العقّاد (صلاح الدين)، "الأحوال الاجتماعية والنظم الإدارية في الجزائر قبيل الغزو الفرنسي"، المجلة التاريخية المصرية، عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد 12، السنة 1964 — 1965م، ص ص. 141- 166.

8. غطّاس (عائشة)، "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1988، ص ص. 116-127..

▪ باللغة الفرنسية :

1. **Bardoux** (J.), " la vie d'un consul auprès de la régence d'Alger ", In. R. A., N.65, An. 1924, p p. 261 - 286.

2. **Berbrugger (A.)**, " La régence d'Alger sous le consulat et l'empire ", In. R. A., N. 15, An.1871, p p. 241. 321. 401.

3. ....., " Un voyage de Paris à Alger en 1731, par le sieur Tollot ", In. R. A., N. 11, An. 1867, p p. 417 – 434.

4. **Berchem (M.V.)**, "L'épigraphie musulmane en Algérie, étude sur les corpu", In. R.A., N. 49, An. 1905, p p. 160 – 191.

5. **Boyer (P.)**, " La révolution dite « des Aghas » dans la régence d'Alger (1659-1671) ", In. R.O. M. M., pub. Par centre de la recherche scientifique et des universités d'Aix-Marseille, n° : 13 – 14, 1er semestre, An. 1973, p p. 159 – 170.

6. ....., " Des pachas triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey (1571-1817) ", In. Revue historique, n° 495, An. 1970, p p. 99 – 124.

7. **Cazenave (Jean)**, " Un consul français en Alger au XVIIIe siècle Langoisseur de la Vallée ", In. R. A., An. 1936, p p. 101 – 122.

8. **Delphin (G.)**, " Histoire des pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait d'une chronique indigène ", traduit et annoté par G.Delphin, In. J. A., Série 19, An. 1922, p p. 161 – 233.

9. **Devoulx (A.)**, " Mort du pacha Mehammed Khodja en 1754 ", In. R. A., N.16, An. 1872, p p. 321 – 326.

10. ....., " Relevé des principaux Français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830", In. R.A., N. 16, An. 1872, p p. 356 – 387, 420 – 450.

11. ....., " Épigraphie indigène du musée archéologique d'Alger ", In. R. A., N. 17, An. 1873, p p. 35, 141, 232, 322, 391 et 473.

12. **Emerit (M.)**, " Alger en 1800, d'après les mémoires inédits de le Maye ", In. Revue d'histoire maghrébine, N.2, Juillet 1974, p p. 171 – 176.

13. ....., " Le voyage de la Condamine à Alger (1731) ", In. R. A., N. 98 An. 1954, p p. 354 – 381.

14. ....., " Un mémoire sur Alger par Pétis de la Croix 1695 ", In A.I.E.O, Faculté des lettres et sciences humaine, université d'Alger, T. XI, An. 1953, p p. 5 – 24.

15. ....., " Les aventures de Thédenat esclave et ministre d'un bey d'Afrique (XVIIIe - siècle)", In. R. A., An. 1948, p p. 143 – 183 , 331 – 362.

16. **Esquer (G.)**, " Les poètes et l'expédition d'Alger (La Bacriade) de Barthélemy et Méry ", In. R. A., N. 60, An. 1919, p p. 112 – 145.

17. Féraud (L.Ch.), " Éphémérides d'un secrétaire officiel sous la domination turque à Alger de 1775 à 1805", In. R. A., N.18, An. 1874, p p. 295 – 319.

18. ....., " Exploitation des forêts de la karasta, dans la Kabylie orientale sous la domination turque ", In. R. A., N.12, An. 1868, p p. 378 – 390.

N. 13 An. 1869, p p. 36 – 46.

19. ....., " Les Harar seigneurs des Hanencha ", In. R.A., N.18. An. 1874, p p. 119, 191, 281 et 321.

20. ....., " Ferdjioua et Zouar'a, notes historiques sur la province de Constantine ", In. R.A., N.22, An. 1878, p p. 5, 81, 161, 241, 321.

21. Grammont (de), " Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII[e] siècle", In. R. A., N.29, An. 1885, p p. 5, 81, 161.

22. ....., " Un académicien captif à Alger (1674-1675) ", In. R. A., N.26, An. 1882, p p. 309-320, 387 – 396.

23. ....., " Correspondance des consuls d'Alger ", In. R. A., N.31, An. 1887, p p. 164 - 212 , 295 – 319 , 341 – 349 , 436 – 477.

N.32, An. 1888, p p. 52 - 80 , 117 – 160, 230 – 238, 308 – 319, 321 – 337.

N.33, An, 1889, p p. 122-176, 219 – 253.

24. Hees (T.), " Journal d'un Voyage à Alger (1675-1676) ", Traduit par G. H.Bousquet et d'autres, In. R.A., N. 101, An. 1957, p p. 85 – 128.

25. Paradis (V.de), " Alger au XVIII[e] siècle ", In. R. A., N.39, An. 1895, p p. 265 – 314.

N.40, An. 1896, p p. 33 – 78 , 256 – 277.

N.41, An. 1897, p p. 68 – 118.

26. Sacerdoti (A.), " Venise et les régences d'Alger, Tunis et Tripoli (1699 – 1764) ", In. R.A., N.101, An. 1957, 273 – 296.

27. Watbled (E.), " Pachas – Pachas – Deys ", In. R.A., N.17, An. 1873, p p. 438 – 443.

❖ خـامسا : الرسائل الجـامعية.

1. أمقران (حليمة)، موقع المحزنية في النظام العثماني في الجزائر، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004، 2005م.

2. حمّاش (خليفة)، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م.

3. شويتام (أرزقي)، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، بحث مقدّم للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م.

4. معّاشي (جميلة)، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى القرن 13هـ (19م)، دراسة اجتماعية سياسية، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 1990-1991م.

❖ سـادسا : القواميس والموسوعات

1. الكيالي (عبد الوهاب)، موسوعة السياسة، ج.1، ط.3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990م.

2. ويستنفلد (ف.)، جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة : عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ؟ .

3. دائرة المعارف الإسلامية، تعريب : ثابت الفندي وآخرون، مج.6 ومج.9، دون معلومات.

4. Kélékian (D.), Dictionnaire turc - français, Imprimerie Mihran, Constantinople, 1911.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العـــلـــم	الصفحـــــة
السيدة بروثون.	70.
بكداش (محمد).	13، 38، 39، 40، 41، 42، 75، 78، 111، 112، 117، 131
بوثان.	59.
بوم (جون).	44، 45.
بونابارت.	25.
بيـــرو	53، 101.
- ت -	
تاسي (لوجي دو).	4، 5، 42، 44، 45، 46، 71، 78، 81، 121، 126، 127.
تاليـــران.	57.
التريكي (محمد) (الداي (1671-1682م)).	4، 6، 9، 10، 15، 26، 27، 28، 29، 35.
- ث -	
ثـــادنـــا.	102، 119، 121.
الثعالبي (عبد الرحمن).	36
- ج -	
الجـــامعي.	40، 117.
الجمعـــي.	41.
جـــوفيل (دو).	48.
- ح -	
حسن شاوش (الداي (1682-1683م)).	3، 6، 7، 27، 28، 29، 30، 35.
حسن (بابا) (الداي (1697-1700م)).	16، 36، 37، 75، 103، 104، 122.
حسن (سيدي) (الداي (1791-1798م)).	9، 18، 22، 23، 55، 56، 57، 77، 105، 113، 122.
حسين خوجة (الداي (1705-1707م)).	16، 39، 40، 41، 78، 97، 111.
حسين (الداي (1818-1830م)).	10، 11، 12، 13، 15، 18، 66، 67، 68، 69، 77، 80، 87، 92، 94، 112، 113، 120، 128، 129.
حسين شاوش (باي قسنطينة).	42.
حسين باشا (تونس).	11.
حسين بن علي (تونس).	6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العـــلـــم	الصفحـــــة
الحلفاوي (محمد بن احمد).	117.
حمادوش (ابن).	9، 109، 110، 114،.
حميدو (الرايس).	64، 128.
- د -	
دارفيـــو	26، 28، 29، 30، 127.
الدرقـــاوي (عبد القادر بن الشريف).	115.
دنكـــور.	26.
دوران (فيليب – جاك) (1698-1705).	36، 37.
دوران (أنطوان ڤابريال) (1720-1730م)	45، 46.
دوسولت.	33، 34.
دوكيـــن.	29، 30، 99.
- ر -	
ابي راس الناصر (محمد بن أحمد).	116، 130.
بن رقية التلمساني (محمد بن عبد الرحمن الجيلالي).	117.
- ز -	
ابن زرفة (محمد المصطفى بن عبد الله).	117.
الزهار (أحمد الشريف).	53، 54، 55، 57، 58، 60، 62، 64، 65، 66، 67، 74، 75، 84، 105، 112، 113، 114.
- س -	
ابن ساسي البـــوني.	40، 41.
سبنســـر (وليم).	22.
السجـــراري (بوعلام بن الطيب).	115.
ابن سحنون الراشدي (أحمد).	41، 117.
سليم الثالث (السلطان العثماني (1789-1807م)).	23، 84.
سليمان (النبي).	84.
سنان (باشا).	6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العـــلـــم	الصفحـــــة
- ش -	
شالر (وليام).	22، 61، 63، 65، 66، 70، 71، 97، 98، 100، 120.
شعبان (خوجة) (الداي (1690-1695م)).	13، 16، 31، 32، 33، 34، 35، 75، 88.
شـــو	104، 123، 127.
- ص -	
صالح باي قسنطينة (1771-1792م).	105، 113.
- ض -	
ابن ابي الضياف (أحمد).	50، 51.
- ط -	
طـــابـــاق.	6.
طـــولـــو.	46.
- ع -	
عبدي (كور) (الداي (1724-1732م)).	14، 17، 45، 46، 47، 77، 83، 122.
عثمان (السلطان العثماني (1754-1757م)).	84.
عثمان خوجة (حمدان بن).	58، 59، 61، 62، 64، 65، 66، 67، 70، 74، 75، 76، 82، 91، 93.
عثمان (خوجة الخيل).	54.
عـــرّوج.	116.
علي سوكَلـــي (1710-1718م).	7، 17، 43، 44، 79، 83، 97، 98.
علي نقسيس (1754-1766م).	10، 11، 18، 51، 52، 53، 54، 83، 102، 109، 112.
علي خوجة الغسّال (الداي (1808-1809م)).	10، 59، 60، 77، 78.
علي خوجة الشريف (الداي (1809-1815م)).	8، 18، 60، 61، 62، 63، 74، 75، 77، 85، 97، 98، 113.
علي خوجة (الداي (1817-1818م)).	15، 65، 66، 67، 74، 75، 80، 86، 87، 94، 97، 120.
علي الخـــزناجي .	109.
علي آغـــا (الحاج).	3، 6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العـــلـــم	الصفحـــــة
علي امبـــارك.	39.
عمر آغـــا (الداي (1815-1817م)).	8، 12، 15، 18، 62، 63، 64، 65، 67، 74، 78، 95، 100، 113.
- ف -	
فـــالـيـــار.	22، 48، 54.
فيليمـــون (الأب).	127.
- ق -	
عبد القادر بن محمد أمقران.	10.
- ك -	
كـــاتكارت.	54، 98، 100، 103.
كـــارلوس الرابع (ملك إسبانيا).	23.
كـــانو (جوان) (الأسقف).	95.
سيدي الكتـــاني.	43.
كلارامبـــو.	39، 44.
كمـــودس.	71.
كـــورسي.	54، 102، 121.
- ل -	
لاكروا (دو).	4، 31، 34، 35، 91.
لاكوندامـــين.	46، 70.
لان (دو).	47.
لـــوفاشي (الأب).	99.
لـــومـــار (روني) (1690-1697م).	35، 90.
لـــومـــار (بونوا) (1732-1735م).	48.
لـــومـــار (أندري - ألكساندر) (1749-1756م).	52، 101، 120.
لـــوماي (القبطان).	57.
لـــويس 14.	24، 39.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العـــلـــم	الصفحـــــة
ســويس 15.	44.
ســويس 18.	24.
- م -	
محمد افندي (الداي (1718-1724م)).	17، 44، 45، 78، 83.
محمد بن بكر (الداي (1748-1754)).	17، 50، 51، 77، 103، 106، 109.
محمد بن عثمان خوجة (الداي (1766-1791)).	14، 18، 53، 54، 55، 75، 77، 100، 106، 107.
الحاج محمد (الداي (1815م)).	61، 62، 63، 74.
محمد (باي تونس (1675-1696م)).	33، 90.
محمد (باي تونس (1756-1759م)).	10.
محمد حاقر (باي قسنطينة (1814-1817م)).	12.
محمد (باي قسنطينة).	12.
محمد بن عثمان الكبير (باي الغرب (1778-1799م)).	116، 117، 119.
الحاج محمد (مساعد آغا الانكشارية).	13.
محمد بن عبد الله الكريم الحنفي.	34.
محمود الأول (السلطان العثماني (1730-1754)).	83، 92.
محمود الثاني (السلطان العثماني (1808-1839م)).	74.
محمود (باشا تونس).	11.
محمود (الرايس).	43.
مراد (باي تونس).	37، 38.
المشرفي (عبد القادر بن عبد الله).	117.
الحاج مصطفى (الداي (1700-1705م)).	10، 16، 37، 38، 39، 41، 111، 116.
مصطفى (الداي (1798-1805م))	8، 14، 15، 18، 23، 56، 57، 58، 59، 74، 77، 85، 105.
مصطفى ابي الشلاغم (باي الغرب).	41.
مصطفى بن المسراتي (باي الغرب).	110.
الحاج مصطفى بن الشيخ مالك.	65، 66.

العـــلـــم	الصفحـــــة
ابن المفتي	4، 6، 32، 37، 38، 39، 41، 43، 47، 49، 115، 116، 130.
المقـــراني.	10.
مكيـــافللي (نيقـــولو).	70.
مـــورفان.	36، 37، 42، 71.
ميـــزومورطو (حسين (1686-1690م)).	15، 29، 30، 31، 32، 35، 75، 78، 99، 116.
ابن ميمون الجزائري.	38، 39، 40، 41، 78، 111، 112، 117.
- ن -	
نـــابليـــون	130.
- هـ -	
هـــاس (تومـــاس).	27، 29.
هـــايدو (دييغو دو).	122، 123.
- و -	
الورثيلاني (الحسين بن محمد).	107، 108، 113، 114، 130، 131، 132.
- ي -	
سيدي يعقوب.	43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
▪ الشكر والتقدير :	
▪ قائمة المختصرات :	
▪ المقدمة :	- أ -
▪ **الفصل الأوّل : "الداي" بين المصطلح والتطور التاريخي**	01
I - ظهور لفظة "داي"كلقب للحاكم واستمرار استخدامها.....	02
II - ألقاب الداي ومكانته بين مراتب الإدارة العثمانية.....	09
▪ **الفصل الثاني : تراجم دايات الجزائر**	26
I - فترة الحكم المزدوج : الدايات والباشاوات (1671-1711م).....	26
II - فترة الحكم الأحادي : دايات - باشاوات (1711-1830م).....	43
▪ **الفصل الثالث : الداي ونظام الحكم**	70
I - نظام الحكم	70
II - سلطة الداي ووظائفه.....	81
▪ **الفصل الرابع : تجليات صور الدايات في الكتابات الأجنبية والمحلية**	96
I - الكتابات الأجنبية.....	96
II - الكتابات المحلية.....	107
III - منطلقات صور الدايات.....	118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضوع	الصفحة
▪ الخاتمة	133
▪ الملاحق	136
▪ قائمة المصادر والمراجع	152
▪ فهرس الأعلام	161
▪ فهرس الموضوعات	168

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية